وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
Ministry of Endowments and Islamic Affairs
State of Qatar • دولة قطر

تهذيب الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي

(ت ٣٨٤ هـ)

المجلد الرابع

تحقيق وتهذيب

المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

أوقاف
AWQAF

يوزع مجانًا
ولا يجوز بيعه

تهذيب الفرج بعد الشدة

المجلد الرابع

٤

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

الدار الشامية للنشر والتوزيع

المكتب العلمي للدار الشامية

محمود محمد هلال الشيخ
إبراهيم محمد بركات رقوقي
أنس محمود مسلماني

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

إخراج
الأستاذ محمد سنوبر

إشراف
زاهر بصبوص

الدار الشامية - اسطنبول

الجوال: 56 08 735 534 0090
الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

وزارة الأوقـــاف والشـــؤون الإسلاميــــة
Ministry of Endowments and Islamic Affairs
State of Qatar • دولـــة قطـــر

أوقاف
AWQAF

تهذيب الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي عليّ المحسّن بن عليّ التنوخيّ

ت ٣٨٤ هـ

المجلّد الرابع

تحقيق وتهذيب

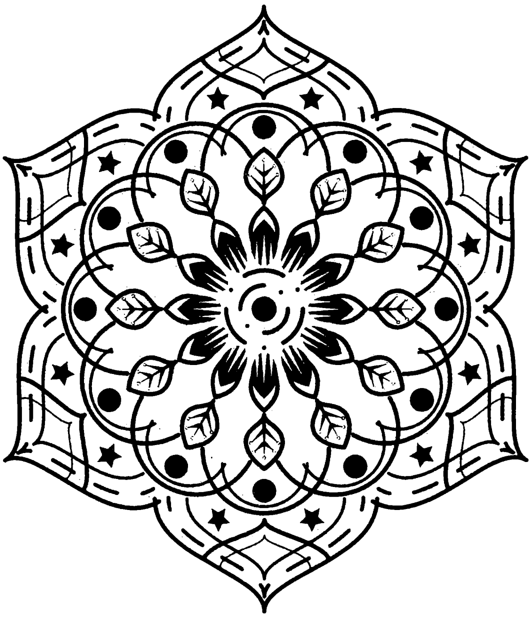
المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

البَابُ الثّامِنُ

في مَنْ أُشْفِيَ عَلَى أَنْ يُقْتَل فَكَانَ الخَلاصُ مِنَ القَتْلِ إِلَيْهِ أَعْجَل



[٨: ١] [إبراهيمُ بنُ ذكوانَ الحرَّانيُّ ينجو من قتل المهديِّ]

ذكر محمَّدُ بنُ عُبدُوسٍ في كتاب «الوزراء»: أنَّ إبراهيمَ بنَ ذَكْوانَ الحَرَّانيَّ الأَعوَرَ الكاتِبَ، صاحبَ طاقِ الحَرّانيِّ بِبَغداد[1]، كانَ خاصًّا بالمهدي، فلمَّا أنفذَ المهديُّ ابنَه موسى إلى جُرجانَ، أنفذَ معه إبراهيمَ الحَرّانيَّ، فَخُصَّ إبراهيمُ بموسَى ولَطُف مَوضِعُه منهُ، واتَّصلَ بالمهديِّ عَنهُ أَشياءُ تزَيَّدَ فيها عَلَيهِ أعداؤه وكثَّرُوا.

فكتبَ المهديُّ إلى موسَى في حَمْلِهِ إليهِ، فضَنَّ به، ودافعَ عنهُ، فكتب إليه المهديُّ: إن لم تَحْمِلْه خَلَعْتُك من العَهد، وأسقطتُ منزلتَكَ.

فَلَمْ يَجِدْ موسى بُدًّا من حمله، فحَمَلَه مع بعضِ خَدَمِه مُرَفَّهًا مُكَرَّمًا، **وقال للخادِمِ**: إذا دَنَوتَ من مَحَلِّ المهديِّ فقَيِّدْ إبراهيمَ، واحْمِلْه في مَحْمَلٍ بغيرِ وطاءٍ ولا غطاء، وأَلْبِسْهُ جُبَّةَ صوفٍ، وأَدْخِلْهُ إليه بهذه الصُّورَةِ.

---

(١) **طاق الحرَّاني**: محلَّة ببغداد بالجانب الغربيِّ، تنسب **لإبراهيم بن ذكوان بن الفضل الحرَّاني**، مولى المنصور، ووزير الهادي، وكان صاحبَ أمرِه كلِّه، ثمَّ قلَّده ديوان الأزمة. ينظر: «التنبيه والإشراف» (١/ ٢٩٨)، و«معجم البلدان» (٤/ ٥)، و«الفخري في الآداب السلطانية» (ص: ١١٩).

فامْتَثَلَ الخادِمُ ما أُمِرَ به في ذلك، واتَّفَقَ أنَّه ورد إلى العَسكَرِ[1] والمهديُّ يُريدُ الرُّكوبَ إلى الصَّيد، وهو إذ ذاكَ بالروذبار[2]، فبَصُرَ بالموكبِ، فسَأَلَ عنهُ، فقيل: خادِمٌ لموسَى، ومعهُ إبراهيمُ الحَرَّانيُّ. **فقال:** وما حاجتُنا إلى الصَّيد؟ وهل صيدٌ أطيبُ من صيدِ إبراهيمَ الحَرّانيِّ؟ عليَّ به.

قال إبراهيمُ الحرانيُّ: فأُدْنِيتُ منهُ وهو على ظهر فَرَسِه. **فقال:** إبراهيم. **قلت:** لبَّيك يا أميرَ المُؤمنينَ.

قال: لا لبَّيك، والله لأَقتُلَنَّك، ثمَّ والله لأَقتُلَنَّك، ثمَّ والله لأَقتُلَنَّكَ، امضِ به، يا خادِمُ إلى المضرب.

فحُمِلتُ[3]، وَقد يئستُ من نَفسِي[4]، ففَزِعتُ إلى الله تعالى بالصلاة والدعاء[5].

وانصَرف المهديُّ فأكلَ اللَّوْزِينَجْ المسمومَ المشهورَ خَبرُه، فماتَ من وقته وتخلَّصتُ.

---

(١) في (ل): (المعسكر).

(٢) كذا في النسخ، وصوابه: (الرَّذّ) قريةٌ بماسَبَذَان، فهو الموضع الذي مات فيه المهدي، وفي «التنبيه والإشراف» للمسعودي: (بالرذ والراق). ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ١٦٨)، و«معجم البلدان» (١/ ٤٦١).

(٣) (فحملت) ليست في (ض)، وفي (ل): (فصار بي الخادم إلى المضرب).

(٤) (من نَفسِي) في (ر): (من الفرج ومن نَفسِي).

(٥) (بالصلاة والدعاء) في (ر): (بالدعاء والابتهال).

وذكر ابنُ عُبدُوسٍ بعد هذا: أنَّ الهادي لمَّا بَلَغَه موت المهديِّ جاء من جُرجانَ إلى بَغداد على دَوابِّ البَريد، وما سُمِعَ بخليفةٍ رَكِبَ دَوابَّ البَريد غيرَه، فدخل بغدادَ والربيعُ مولى المنصور على الوزارة كما كانَ يتقلَّدُها للمهديِّ، فصَرفَهُ وقلَّدَ إبراهيمَ بنَ ذكوانَ الحرَّانيَّ(١).

---

(١) قوله: (وذكر ابن عبدوس بعد هذا... ذكوان الحَرّاني) ليس في (ض، ل، ر)، وأثبتناه من (ف). ينظر: «الوزراء والكتاب» (ص: ١٦٧، ١٦٨).

[٨: ٢] [(١) إبراهيمُ بنُ المهديِّ ينجو من قتلِ المأمونِ][(١)]

وقال محمَّد بن عُبدوسٍ في كتاب «الوزراء»: لما ظَفِرَ المأمونُ بإبراهيمَ بنِ المهديِّ؛ حَبسه عِند أحمدَ بنِ أبي خالِدٍ، فلم يزل في أَزَجِه[(٢)].

فحكى يوسُفُ بنُ إبراهيمَ مولى إبراهيمَ بنِ المهديِّ[(٣)]، قال: لمَّا وجَّه المأمونُ بإبراهيمَ إلى أحمدَ بنِ أبي خالِد ليَحبِسَه عنده؛ دخل إبراهيمُ إلى أحمدَ، فقال له إبراهيمُ: الحَمدُ لله الَّذي مَنَّ عليَّ بمصيري إليك، وحصولي في دارك وتحت يدك، ولم يَبْتَلِني بغَيرِك.

قال إبراهيم: فقَطَّبَ أحمدُ، وبَسَرَ[(٤)] في وجهي، وقال: يا إبراهيم، لقد حَسُنَ ظَنُّكَ بي، إذ تتوهَّمُ أنَّ أميرَ المُؤمنينَ إن أمرني بضَربِ عُنُقكَ أنِّي أتعدَّى ذلك إلى غير ما أَمَرَني به فيك!

---

(١) هذه القصة ليست في (ض، ل)، وأثبتناها من (ر، ف، ن).

(٢) الأَزَجُ: بيتٌ يُبنَى طولًا. ينظر: «لسان العرب» (أ ز ج: ٢/ ٢٠٨).

(٣) هو أبو الحسن الكاتب، كان في خدمة إبراهيم بن المهدي، قدم دمشق سنة (٢٢٥هـ)، وكان من ذوي المروءات، له كتاب في «أخبار الأطباء»، وكانت وفاته بمصر، في أيام ابن طولون نحو (٢٦٥هـ). ينظر: «تاريخ دمشق» (٧٤/ ٢١٣).

(٤) أي: عبس. ينظر: «لسان العرب» (ب س ر: ٤/ ٥٨).

قال: فأَدَرْتُ عيني في مَجلِسه فتبيَّنتُ فيمَن حَضَرَ من أهل خُراسان إنكارًا لقَوله؛ **فقلت:** صَدَقْتَ يابنَ أبي خالِدٍ الأحول، إن قتلتَني بأمرِ أمير المؤمنينَ كنتَ غيرَ مَلُومٍ، وكذلكَ لو أَمَرَني بالشقِّ عن قَلبِكَ وكَبِدِك فعلتُ ذلك، وكنتُ غيرَ ملومٍ.

وَكذلك فلم[1] أَحمد رَبّي -وَإن كانَ حمدُه واجِبًا في كلِّ حالٍ- لحسن ظَنّي بك، ولكنِّي علمتُ أنَّ لأميرِ المؤمنينَ خَزَنَةَ سيوفٍ، وخَزَنَةَ أقلامٍ، وأنَّه متى أرادَ قتلَ إنسانٍ دَفَعَه إلى خَزَنَة السيوفِ، ومتى أرادَ مناظَرَتَه دَفَعَه إلى خَزَنَة الأقلام، فحَمِدتُ الله تعالى على ما مَنَّ به عليَّ من إحلالِه إيَّايَ مَحَلَّ مَن يُساءَلُ، لا مَحلَّ مَن يُعاجَل.

قال: فَرَأَيتُ وجوهَ كلِّ مَن حولَه قد أَشْرَقَتْ وأَسْفَرت، وأُعجِبوا بما كانَ منِّي.

فقال أحمد بن أبي خالدٍ: النَّاسُ يتكلَّمونَ على قَدرِ أنفسهم وآبائهم، وأنت كلامُك على قَدرِ المهديِّ وقدرِ نَفسِك، وكلامي على قَدْرِ خُلُقِي وقَدرِ يزيدَ الأحول[2]، وإنِّي قد اسْتَقَلتُكَ ممَّا سبق منِّي فأَقِلْني أَقالَ الله عَثْرَتَكَ، وسَهَّلَ أمرَكَ، وعَجَّلَ خلاصَك.

فقلتُ: قد أقالَ الله عَثْرَتَك.

---

(١) في (ف): (لم).

(٢) هو يزيد بن عبد الرحمن، أبو خالد الأحول، مولى عاصم بن الوليد بن عتبة بن ربيعة، ذكره أبو الحسين الرازي في تسمية كتاب «أمراء دمشق». ينظر: «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٢٩٤).

قال: وما مَضَتْ لي في داره خمسةٌ وخمسونَ لَيلَةً حتَّى صارَ إليَّ في نصف اللَّيل، فأخرَجَني وألقَى عليَّ دِرْعًا، وظاهَرَ بدُرَّاعَةٍ[1]، وحملني على دابَّة، وهو يركُضُ إلى الجانِب الغربيِّ، فوقف بين الجسر والخُلْد[2]، فوقع في نَفسي أنَّ إلْقاءَه عليَّ الدِّرْع إنَّما هو لإيراده إيَّايَ على المأمون، فأرادَ أن يَقِيَني بادِرَتَه، فعملت على أنه إن ورد عليَّ أمرٌ تماوَتُّ[3].

فخَلَّفَني مع أصحابه ومضى يركض، ثمَّ عاد إليَّ، **فقال:** يقول لك أميرُ المؤمنينَ: يا فاسق، ألم يكن لك في السَّابِقِ القَديمِ مِن فِعلِكَ كفايَةٌ تُحَوِّلُكَ عمَّا كانَ مِنك، في[4] اللَّيلَة الَّتي وَثَبْتُ فيها على ابن عائِشَةَ وابنِ الإفريقيِّ ومَن يُتابِعُهما، وضَرَبْتُهم، حتَّى اضطرُّوني إلى أن ركبتُ إلى المُطبِقِ لمحاربتهم، حتَّى أظفرني الله تعالى بهم فقتلتُهم[5]، وأنا مُلحِقُكَ بهم، فاحتجَّ عن نَفسِك إن كانت لك حجَّةٌ، وإلَّا فإنَّك لاحِقٌ بهم.

---

(١) **الدُّرَّاعة:** مثل القميص، إلَّا أنها ضيقة الكمين. وقيل: جُبَّةٌ مشقوقة المُقَدَّم. ينظر: «النظم المستعذب» (١/ ١٩٢)، و«لسان العرب» (د ر ع: ٨/ ٨٢).
ومعنى «ظاهَرَ»: جَمَعَ وَلَبِسَ إحداهما فَوْقَ الأُخرى، وكأنَّه من التظاهر التعاون والتَّسَاعُدِ. ينظر: «لسان العرب» (٤/ ٥٢٥).

(٢) **الخُلْد:** قصرٌ بناه المنصورُ ببغداد على شاطئ دجلة سنة (١٥٩هـ)، وكان موضعَ البيمارستان العضديّ، وبنيت حواليه منازلُ فصارت محلَّةً كبيرةً عُرِفَت بالخُلد، والأصل فيها القصرُ المذكور. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٣٨٢).

(٣) في (ر، ن): (وعلمتُ أنَّه إن وَرَدَ عليَّ أمر أتماوت).

(٤) في (ن، ف) زيادة: (هذه).

(٥) **كان ابنُ عائشةَ** إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهابِ بنِ إبراهيمَ الإمامِ بنِ محمَّدِ بنِ عليِّ ابنِ عبدِ الله بنِ عبَّاس، وعائشة هي عائشةُ بنتُ سليمان جدَّتُه أمُّ أبيه،=

فعلمتُ أنِّي أحتاجُ إلى إغضابِه، **فقلتُ**: يا أبا العَبَّاس، دمي في عُنُقك، فاتَّقِ الله ولا تَقْتُلْني.

فقال: يا هذا، ما الَّذي يَتَهَيَّأُ لي أن أعمل؟ وهل يمكنني دفعُ شَيءٍ يأمُرُني به؟

فقلتُ: لا، وإنَّما أُريد أن تَحقُن دَمِي، بأن تُؤدِّيَ عنِّي ما تسمعه منِّي، وإنَّما تَقْتُلُني إذا أَجَبتُه بجوابٍ فأدَّيتَ عنِّي غَيرَه تقديرًا منكَ أنَّه أصلحُ وأدعى إلى سلامتي، فلا يُتَلَقَّى قولُك بالقَبولِ، فأَدِّ قولي كما أقولُ.

فقال أحمدُ بنُ أبي خالِدٍ: عليَّ عهدُ الله أن أُؤَدِّيَ ما تقول.

فقال: تقول له: يا أميرَ المؤمنينَ، إن كنتَ تَعقِلُ فأنت تعلم أنِّي لا أعقل. فما أشكُّ أنَّه سيستعيدُ مِنكَ القَولَ، فأَعِدْه.

وتقول له: يقول لك: يا أميرَ المؤمنينَ، اسْتَتَرْتُ عنك وأنت خارجٌ عن البَلَدِ، وأنا نافِذُ الأمر فيهِ، ومعي عالَمٌ من النَّاس، وأَثِبُ بِكَ وأنت في مدينتكَ ومدينة آبائِك، وأنا أَسيرٌ في سَرَبِ ابنِ أبي خالِدٍ، مع نَفَرٍ مُحَبَّسِين، مُثْقَلِين بالحديد! هذا ما لا يَفْعَلُه عاقل.

فأدَّى أحمدُ رسالَتَه إلى المأمون، **فقال**: صَدَقَ، فَارْدُدْه إلى مَوضِعه.

= ومحمَّدُ بنُ إبراهيمَ الإفْرِيقِيُّ، وغيرهم من القوَّاد؛ يدعون إلى إبراهيم بن المهدي، فأخذهم المأمون وحبسهم في المُطبِقِ، ثمَّ في سنة (٢١٠هـ) قتلهم وصلبهم، وذلك لما بلغه أنهم يريدون نقب السجن، ثم بعد ذلك قبض على ابن المهدي متنكرًا بزي امرأة. ينظر: «كتاب بغداد» (ص: ٩٧)، و«المنتظم» (١٠/ ١٩٨)، و«الكامل» (٥/ ٥٤١).

فركض أحمدُ إليَّ وهو يُنادي: سلامةٌ سلامةٌ، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وانصَرف إلى منزِله.

قال ابن عُبدوسٍ: فأَقامَ فيه إلى أن انصَرفَ المأمونُ لنكاح بُورانَ[1]، فأَشْخَصَه معه إلى فَمِ الصِّلْح[2]، وسَأَلَتْه بُورانُ بنتُ الحسنِ بنِ سهلٍ، فَرَضِيَ عَنهُ[3].

(١) قيل: اسمها خديجة، تزوَّجها المأمون سنة (٢٠٢هـ)، كانت بارعة في الحسن، صاحبة عقل وكمال وعفة، وسألته الرضا عن إبراهيم بن المهدي ففعل، (ت: ٢٧١هـ). ينظر: «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» لابن الدمياطي (٢١/ ٢٠٣).

(٢) **فَم الصِّلح:** نهر كبير فوق واسط، فيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون، وفيه بنى المأمونُ ببوران، قال ياقوت: وهو الآن خرابٌ إلَّا قليلاً. ينظر: «معجم البلدان» (٤/ ٢٧٦).

(٣) ينظر: «كتاب بغداد» (١٠١ – ١٠٢)، و«تجارب الأمم» (٤/ ١٥٧).

[٨: ٣] [(٢) روايةُ أُخرى لعفوِ المأمونِ عن إبراهيمَ بنِ المهديِّ]

وحدَّثني أبو العلاء الدَّلالُ البَصريُّ[١] بها، **قال:** حدَّثني أبو نَصْرٍ[٢] بنِ أبي دُؤادَ، عن أبيه أحمدَ القاضي[٣]، **قال:** كنت يَومًا عند المأمون وقد جاؤوهُ بإبراهيمَ بن المهديِّ، وفي عُنُقه ساجورٌ[٤]، وفي رِجْليه قَيْدان، فوقف بين يديه، [ض/١٦٠] **فقال له المأمون:** هِيْه يا إبراهيمُ، إنِّي استشرتُ في أمرِك، فأُشِيرَ عليَّ بقَتْلِك، فَرَأَيتُ ذنبك يَقصُرُ عن واجِبِ حقِّ عمومتك. [ر/١٠٦]

فقال: يا أمير المؤمنينَ، أبيتَ أن تأخُذَ حَقَّك إلَّا من حيثُ عوَّدَك الله تعالى، وهو العَفوُ عن قدرة.

فقال المأمون: ماتَ -واللهِ- الحقدُ عند هذا العذر، يا غلام[٥]، لا يتَخَلَّف أحدٌ من أهل المملكةِ عَن الرّكوب بين يديه، ويُحمَلُ بين يَدَيهِ عشرةُ بِدَرٍ[٦]، وعشرُ تُخُوتٍ ثياب[٧].

---

(١) وهو عبد الوهاب بن علي بن أحمد، أبو العلاء الدلال، ترجم الخطيبُ لابنه محمد. ينظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٦٦٥).

(٢) (أبو نصر) في (ر): (القاضي أبو منصور)، وفي (ف): (أبو مضر).

(٣) (عن أبيه أحمد القاضي) في (ر، ك، ف): (قال: حدثني أبي عن أبيه).

(٤) **السَّاجُور**: القلادة أو الخشبة التي توضَع في عُنُقِ الكلبِ. ينظر: «لسان العرب» (س ج ر: ٤/ ٣٤٧).

(٥) (ماتَ، والله الحقد، عِند هَذا العذر يا غلام) ليست في (ض، ل).

(٦) جمع **بَدرَةُ**: وهي كيسٌ ممتلئٌ بالدراهم. ينظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» (١/ ٣٠٢).

(٧) **التَّخْتُ**: وعاءٌ تُصَانُ فيه الثيابُ، فارسي، وقد تكلمت به العرب. ينظر: «لسان العرب» (ت خ ت: ٢/ ١٨).

قال: فما رأيتُ إنسانًا جِيءَ به وهو مذنبٌ، فخرجَ وهو مُثابٌ، وأهلُ المملكة كلُّهم يَسعَون بين يديه إلَّا إبراهيمُ[1].

(١) (كلهم يسعون بين يديه إلا إبراهيم) في (ر): (بين يديه إلا هو).

[٨: ٤] [(٣) روايةُ أُخرى لعفوِ المأمونِ عن إبراهيمَ بنِ المهديِّ]

وجدتُ في كتابِ أبي الفرجِ المخزوميِّ الحَنْطَبيِّ: أنَّ إبراهيمَ بنَ المهديِّ لمَّا طالَ استتارُه من المأمونِ ضَاقَ صَدرُه، فَخرجَ لَيلَةً من مَوضِعٍ كانَ فيهِ مُسْتَخفيًا، يُريد مَوْضِعاً آخرَ، في زِيِّ امرَأَةٍ، وكانَ عَطِرًا؛ فعَرَضَ له حارسٌ، فلمَّا شَمَّ رائِحَةَ الطِّيب ارتابَ به، فكلَّمَهُ فلم يُجِبْه، فعَلِمَ أنَّه رجل، فضَبَطَه.

فقال له: خُذ خاتمي، فثَمَنُه ثلاثونَ ألفَ دِرهَمٍ[1] وخَلِّني. فأبى، وعَلِقَ به، وحَمَلَه إلى صاحب الشُّرطة، فأتى به إلى المأمون.

فلمَّا أُدخِلَ دارَه، وعَرَفَ خَبَرَه؛ أمرَ أن يُدخَلَ إليه -إذا دَعَا به- على الحالِ الَّتي أُخِذَ عليها.

ثمَّ جلس مَجلِسًا عامًّا، وقامَ خطيبٌ بحضرَته، يخطُبُ بفضله، وما رَزَقَه الله -جلَّت عَظَمَتُه- من الظَّفَر بأعدائِه وبإبراهيمَ.

وأُدخِلَ إبراهيمُ بين يديه[2]، فَسَلَّمَ على المأمونِ، **وقال**: يا أمير المُؤمنينَ، إنَّ وليَّ الثأرِ مُحَكَّمٌ في القصاص، والعَفوُ أقربُ للتقوى، ومَن تناوَلَته يَدُ الاغترارِ

(١) في (ض، ل): (دينار).

(٢) (بين يديه) في (ف): (بزِيِّه ذلك).

بما مُدَّ له من أسبابِ الرَّجاءِ؛ أَمِنَ[١] عاديةَ الدَّهر، وقد جَعَلَكَ اللهُ تعالى فَوقَ كلِّ ذي عَفو، كما جعلَ كلَّ ذي ذَنبٍ دوني، فإن تعاقِبْ[٢] فبِحَقِّك، وإن تعفُ فبِفضلك، **ثمَّ قال**: [من المجتث]

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَخُذْ بِحَقِّكَ أَوْ لا فَاصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَنْهُ
إِنْ لم أَكُنْ في فِعَالي مِنَ الكِرامِ فَكُنْهُ

وقال أيضًا[٣]: [من المجتث]

أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلُ
فَإِنْ عَفَوتَ فَمَنٌّ وَإِنْ جَزَيْتَ فَعَدْلُ

فَرَقَّ له المأمونُ، وأَقبلَ على أخيه أبي إسحاقَ المعتصمِ وابنِه العباسِ والقُوَّادِ، **وقال**: ما ترَونَ في أمره؟

فقال بعضُهم: تضربُ عُنُقَه. **وبعضهم قال**: يُقْصَصُ لحمُه إلى أن يَتْلَفَ[٤]، **وبعضهم قال**: تُقطَعُ أطرافُه ويُترَكُ إلى أن يموت.

---

(١) (أمن) في المطبوع: (لم يأمن)، وهو خطأ. ينظر: «أمالي القالي» (ص: ١٦٠)، و«تاريخ بغداد» (٧/ ٦٨).
(٢) في (ف): (تأخذ).
(٣) (وقال أيضًا) في (ض، ل): (وأنشد في الحال).
(٤) (إلى أن يتلف) في (ض، ل): (ويُطْعَمه إلى أن يموت)، وقوله: (وبعضهم قال: يُقْصَصُ... يَتْلَفَ) ليس في (ف).

فكلٌّ أشارَ بقتله، وإنَّما اختلفوا في القِتْلَة.

فقال المأمونُ لأحمدَ بنِ أبي خالدٍ: ما تقول أنتَ يا أحمد؟

فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، إن قَتلتَ وَجَدْتَ مثلَكَ قد قتلَ مِثْلَه كثيرًا، وإن عَفَوتَ عنه لم تَجِدْ مثلَكَ عَفَا عن مثلِه، فأَيُّمَا أحبُّ إليك: أن تفعلَ فِعْلًا تَجِدُ لك فيه شركاءَ، أو تتفرَّدُ بالفضلِ؟

فأطرَقَ المأمون طويلًا[1]، ثمَّ رفع رأسَه، **فقال**: أَعِدْ ما قلتَ يا أحمد.

فأعادَه، **فقال**: بل نتفرَّد بالفَضلِ، ولا رأيَ لنا في الشِّركَة.

فكشف إبراهيمُ المِقْنَعَةَ[2] عن رَأسِه، وكبَّر تكبيرَةً عاليةً، **وقال**: **عفا** -والله- عنِّي أميرُ المؤمنينَ، بصَوتٍ كاد الإيوانُ أن يتزعزعَ منه، وكانَ طَويلًا، آدمَ، جَعْدَ الشّعرِ، جَهيرَ الصَّوت.

فقال له المأمون: لا بأس عليك يا عَمّ. وأمَرَ بحبسِه في دارِ أحمدَ بن أبي خالد.

فلمَّا كان بعدَ شهرٍ أحضرهُ المَأمون، **فقال له**: اعتذر من ذَنبِك.

فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، ذنبي أجلُّ مِنْ أن أتفوَّهَ فيه بِعُذرٍ، وعفوُ أميرِ المؤمنينَ أعظمُ من أن أَنْطِقَ معه بِشُكْرٍ، ولكنِّي أقول: [من الكامل]

تَفْدِيْكَ نَفْسِي أَنْ تَضِيقَ بِصَالحٍ والعَفْوُ مِنْكَ بِفَضْلِ خُلْقٍ وَاسِعِ

---

(١) في (ر): (مَلِيًّا).

(٢) وهي ما تَسْتُرُ به المرأةُ رأسها. ينظر: «طلبة الطلبة» (ص: ٥٦).

إنَّ الَّذِي خَلَقَ المَكَارِمَ حَازَها[1] في صُلْبِ آدَمَ لـلإمـامِ السَّابعِ
مُلِئَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً وتَـظَـلُّ تَكْلَؤُهُمْ بِقَلْبٍ خَاشِعِ
فَعَفَوْتَ عَمَّن لم يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ عَـفْـوٌ ولـم يَشْفَعْ إليكَ بِشَافِعِ
وَرَحِـمْـتَ أَطْفالًا كـأَفْـرَاخِ القَطَا وَحَـنِـيـنَ والِـــدَةٍ بِـقَـلْـبٍ جَـازِعِ
رَدَّ الـحَـيـاةَ إلـيَّ بَـعْـدَ ذَهـابِـهَـا كَرَمُ المَلِيكِ العَادِلِ المُتَوَاضِعِ[2]

فقال المأمون: لا تَثْرِيبَ عليك يا عَمّ، قد عَفَوتُ عَنك، فاسْتَأْنِفِ الطَّاعَةَ مُتَحَرِّزًا من الظِّنَّةِ يَصْفُ عَيشُك. وأَمَرَ بإطلاقه، وبرَدِّ مالِه وضِياعِه.

فقال إبراهيم يشكره: [من البسيط]

رَدَدْتَ مَالي وَلَـمْ تَبْخَلْ عَليَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي
فَأُبْتُ عَنْكَ وَقَـدْ خَوَّلْتَنِي نِعَمًا هُمَا الحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمِ
فَلَو بَذَلْتُ دَمِـي أَبْغِي رِضَـاكَ بِهِ وَالمالَ حَتَّى أَسُلَّ النَّعلَ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَّةٍ رَجَعَتْ إِلَيكَ لَوْ لَمْ تُعِرْهَا كُنْتَ لم تُلَمِ
وَقَامَ عِلْمُكَ بي فَاحْتَجَّ عِندَكَ لي مَـقَـامَ شَـاهِـدِ عَــدْلٍ غَيرِ مُتَّهَمِ

فقال المأمون: إنَّ من الكلام كلامًا كالدُّرِّ، وهذا منه.

---

(١) في (ح): (جازها).
(٢) هذا البيت ليس في (ض، ل، ر) وأثبتناه من (ف). والقصيدة طويلة وهذه أبيات منها، انظر تمامها في «كتاب بغداد» لابن طيفور (١٠٢- ١٠٤).

وأمر لإبراهيمَ بخِلَعٍ ومالٍ -قيل: إنَّه[1] ألف ألف دِرهَم- **وقال:** إنَّ أبا إسحاقَ والعبَّاس[2] أشارا عليَّ بقتلك.

فقال إبراهيم: فما قلتَ لهما يا أمير المؤمنينَ؟

قال: قلتُ لهما: إنَّ قرابَتَه قريبَةٌ، ورَحِمَه ماسَّةٌ، وقد ابتدأنا بأمرٍ يَنبَغي أن نَسْتَتِمَّه[3]، فإن نَكَثَ فاللهُ مُغَيِّرٌ ما به.

فقال إبراهيم: أما إنَّهما قد نصحاك -لعمر الله- ولكن أَبَيتَ إلَّا ما أنت أَهلُه، وَدَفَعْتَ ما خِفتَ بما رَجَوتَ.

فقال المأمونُ: قد مات حِقدِي بحياة عُذرِك، وقد عَفَوتُ عنك، وأعظمُ من عفوي عنك أنِّي لم أُجَرِّعكَ مرارَةَ امتنان الشافعين[4].

---

(١) في (ض، ل) زيادة: (مئة).

(٢) في (ض، ل): (ولدي أبا إسحاق وأبا العباس)، وفي المطبوع: (أبا إسحاق وأبا عيسى)، وكلاهما خطأ؛ لمخالفته ما مرَّ سابقًا (٤/ ١٨). ينظر: «مرآة الزمان» (١٤/ ٦٩)، «تاريخ الإسلام» (٥/ ٥٢٠).

(٣) في (ض، ل) (نُتَمِّمَه).

(٤) ينظر: «المنتظم» (١٠/ ٢١٣ - ٢١٥)، و«تهذيب الرياسة» (ص: ٢٠٤- ٢٠٥).

[٨: ٥] [(٤) روايةُ أُخرى لعفوِ المأمونِ عن إبراهيمَ بنِ المهديِّ]

ووجدتُ الخَبَر على خلاف هذه الرِّوايَة:

فأخبرني أبو الفرج الأصبهانيِّ، قال: أخبرني عليُّ بن سُلَيمانَ الأَخفَشُ[١]، قال: حدَّثنا محمَّدُ بن يزيدَ النَّحْوِيُّ، عن الجاحظِ. وأخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ، قال حدَّثنا يَمُوتُ بنُ المُزَرَّع[٢]، عن الجاحظِ قال: أرسلَ إليّ ثُمامَةُ يوم حَبَسَ المأمونُ إبراهيمَ بنَ المهديِّ، وأمرَ بإحضار الناسِ على مَراتِبهم، فحَضَروا، وجيء بإبراهيم.

قال أبو الفرج: وأخبرني عمِّي[٣]، قال: حدَّثني الحسنُ بن عُليلٍ، قال:

---

(١) هو عليُّ بنُ سليمان بنِ الفضل البغدادي، أبو الحسن الأخفش (الصَّغير) النحوي، كان ثقةً، لم يكن متَّسعًا في الأدب، (ت: ٣١٥هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٨٨). «تاريخ الإسلام» (٧/ ٢٩٥).

(٢) هو أبو بكر، يموتُ بنُ المزرَّع -بفتح الرَّاء، والمحدِّثون يكسرونها- بن يموت، البصري العبدي الأديب، وقد سمَّى نفسَه محمَّدًا، ولقبه: يموت، وذكره الخطيبُ في «تاريخه» في المحمدين، ثمَّ ذكره في حرف الياء، وهو ابن أخت أبي عثمان الجاحظ، قدم بغداد سنة (٣٠١هـ)، وهو شيخ كبير، وكان أديبًا أخباريًّا، له ملحٌ ونوادر، (ت: ٣٠٣هـ، وقيل: ٣٠٤هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٤/ ٤٩٦) (١٦/ ٥٢٣)، و«وفيات الأعيان» (٧/ ٥٣)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ٨٣)، و«بغية الوعاة» (٢/ ٣٥٣).

(٣) هو الحسن بن محمَّد، وقد سبقت ترجمته (١/ ٤٠٩).

حدَّثني[١] مُحَمَّدُ بنُ عَمرٍو[٢] الأنباريُّ، من أبناءِ خُراسانَ[٣]، **قال**: لما ظَفِرَ المأمونُ بإبراهيمَ بنِ المهديِّ أحبَّ أن يُوَبِّخَه على رُؤوس النَّاس. **قال**: فجيء بإبراهيمَ يَحْجُلُ في قيودِه[٤] فوقف على طَرَفِ الإيوان، **فقال**: السَّلامُ عليك، يا أميرَ المؤمنينَ ورحمةُ الله تعالى وبركاته.

فقال له المأمونُ: لا سلَّمَ الله عليك، ولا حفظك، ولا كَلأَكَ، ولا رعاكَ، يا إبراهيم.

فقال له إبراهيم: على رِسْلِكَ يا أمير المؤمنينَ، فقد أصبَحْتَ وليَّ ثَأْرِي، والقُدرَةُ تُذهِبُ الحفيظةُ، **ومَن مُدَّ له الاغترارُ في الأمل[٥] هَجَمَتْ به الأناةُ على التَّلَف**، وقد أصبحَ ذَنْبي فَوقَ كلِّ ذنبٍ، كما أنَّ عفوكَ فَوقَ كلِّ عَفوٍ - وقال ابن عليلٍ في خبره: وقد أصبحتَ فوقَ كلِّ ذنبٍ، كما أصبحَ كلُّ ذي عفوٍ دونك[٦]-، فإن تُعاقِبْ فَبِحَقِّك، وإن تَعْفُ فبِفَضْلِك.

قال: فَأَطرَقَ مَلِيًّا ثمَّ رفع رَأسه، **وقال**: إن هَذَينِ أشارا عليَّ بقتلك.

---

(١) قوله في (وَوجدت الخَبَر... عليل، قال: حَدثني) في (ض، ل، ر): (وقال).

(٢) في (ض، ل): (عمر).

(٣) كذا في «الأغاني»، وفي (ض، ل، ف، ك، غ)، وليست في باقي النسخ، وفي المطبوع: (من أنبار خُراسانَ). **والأنبار** مدينة قرب بلخ، وهي قصبةُ ناحيةِ جوزجان، وبها كان مقام السلطان. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٢٥٧).

(٤) **الحَجْل**: القيدُ، وحَجَلَ: مَشَى في القيد. ينظر: «لسان العرب» (ح ج ل: ١١/ ١٤٤).

(٥) في (ض، ل): (للأمل).

(٦) قوله: (وقال ابن عليلٍ... دونك) ليس في (ض، ل)، وأثبتناه من (ف).

فالتفتَ فإذا المعتصِمُ والعبَّاسُ بن المأمون[1]، **فقال**: يا أميرَ المؤمنين، أمَّا حقيقةُ الرأي في مُعظَمِ تدبيرِ الخلافةِ والسياسةِ فقد أشارا عليكَ به، وما غشَّاك؛ إذ كان منِّي ما كان، ولكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ عوَّدك عادةً من العفوِ جريتَ عليها، دافعًا ما تخافُ بما ترجو، فكفاكَ اللهُ تعالى.

فَتَبَسَّمَ المَأمونُ، وأَقبل على ثُمامَةَ، **وقال**: إنَّ من الكَلامِ ما يفوق الدُّرَّ، ويَغلِبُ السِّحْر، وإنَّ كلامَ عمِّي مِنهُ، أطلقوا عن عمِّي حَديدَه، ورُدُّوه إليَّ مُكرَّمًا.

فلمَّا رُدَّ إلَيهِ؛ قال: يا عَم، صِرْ إلى المنادمةِ، وارْجِعْ إلى الأُنْس، فلن ترى منِّي أبدًا إلَّا ما تحبُّ[2].

فلمَّا كانَ من الغَدِ بَعَثَ إليه عمُّه دَرَجًا[3] فيه هذه الأبيات: [من الكامل]

يَا خَيْرَ مَنْ ذَمَلَتْ[4] يَمانِيَةٌ بِهِ ... بَعْدَ الرَّسُولِ لآيِسٍ أو طَامِعِ
وَأَبَرَّ مَنْ عَبَدَ الإلَهَ على الهُدَى ... عَيْنًا[5] وَأَحْكَمَهُ بِحَقٍّ صَادِعِ

---

(١) في (ض، ل): (والتفت إلى المعتصم والعباس).

(٢) في المطبوع هنا زيادة: (فلقد حُبِّبَ إليَّ العفو، حتَّى خفت أن لا أؤجرَ عليه، أما أنَّه لو علم الناس ما لنا في العفو من اللَّذة؛ لتقربوا إلينا بالذنوب، لا تثريبَ اليوم عليك، يا عم، يغفر الله لنا ولك، ولو لم يكن في حقِّ نسبك ما يبلغ الصفحَ عن إساءتك، ولو لم يكن في حقِّ قرابتك، ما يستحقُّ العفو عن جُرمك؛ لبلغتَ ما أمَّلت بحسن تنصُّلك، ولطف توصُّلك، ثم أمر بردِّ ضياعه وأمواله إليه)، وليست في النسخ، ولا في أغلب المصادر، وذكر نحوها «زهر الآداب» (٢/ ٦٠٩)، و«كنز الدرر» (٥/ ١٩١).

(٣) **الدَّرجُ**: الذي يُكتَبُ فيه. ينظر: «مختار الصحاح» (د ر ج).

(٤) في (ف): (حملت). **وذَمَلَت**: سارت سيراً ليِّناً. ينظر: «لسان العرب» (ذ م ل: ١١/ ٢٥٩).

(٥) في «الأغاني»: (نفسًا).

عَسَلُ [الفَوَارِعِ][1] ما أُطِعْتَ فَإِنْ تُهَجْ فالمَوتُ في جُرَعِ السِّمامِ[2] النَّاقِعِ
مُتَيَقِّظًا حَـذِرًا وَمَـا تَخْشَى العِدَا نَبْهَانَ مِنْ وَسنَاتِ[3] لَيلِ الهاجِعِ[4]
واللهُ يَـعْـلَـمُ مـا أَقـــولُ فَإِنَّها جَهْدُ الأَلِـيَّـةِ مِـنْ حَنِيفٍ[5] راكعِ
قَسَمًا وَمَـا أُدْلـي إليكَ بِحُجَّةٍ إِلَّا الـتَّـضَـرُّعَ مِـنْ مُـقِـرٍّ خَـاشِـعِ
مَا إِنْ عَصَيتُكَ والـغُـواةُ تَمُدُّني أَسْـبـابُـهـا إلَّا بِـنِـيَّـةِ طـائـعِ
حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ حَبَائِلُ شِقْوَتِي بِرَدًى على حُفَرِ المهالِكِ هَائعِ[6]
لم أَدْرِ أَنَّ لمثْلِ ذَنْـبِـي غَـافِـرًا فَأَقَمتُ أَرْقُـبُ أَيَّ حَتْفٍ صَـارِعِ
رَدَّ الـحَـيـاةَ إلـــيَّ[7] بعد ذهابها وَرَعُ الإمــامِ القَاهِرِ المُتَواضِعِ
أَحْـيَـاكَ مَـنْ وَلَّاكَ أَطْــوَلَ مُـدَّةٍ وَرَمَـى عَـدُوَّك في الوَتِينِ بِقَاطِعِ

---

(١) في (ض، ل، ف، غ): (القوارع)، وفي (ض، ل): (غسل)، وليست في باقي النسخ، والمثبت من «الأغاني» (١٠/ ٣٢٢)، و«تاريخ الطبري» (٨/ ٦٠٤). **والفوارع**: جمع فارعة، وهي العالي المرتفع، وفارعة الجبل أعلاه. ينظر: «لسان العرب» (ف ر ع: ٨/ ٢٤٧).

(٢) (جرع السمام) في (ل): (جزع السهام). **والسِّمام**: جمع سَمٍّ الحية. ينظر: «معجم ديوان الأدب» (٣/ ٩٤).

(٣) جمع وَسْنَة، وهي ثَقلَةُ النَّومِ، وقيل: النُّعاس، وهو أوَّل النَّومِ. ينظر: «لسان العرب» (و س ن: ١٣/ ٤٤٩).

(٤) قوله: (وَأَبَرَّ مَنْ عَبَدَ الإِلَهَ... لَيلِ الهاجِعِ) ليس في المطبوع.

(٥) (ض) (كَئيبٍ).

(٦) أي: مظلم. ينظر: «تاج العروس» (هيع: ٢٢/ ٤١٩).

(٧) (رد الحياة إلي) في المطبوع: (يرد الحياة علي).

إنَّ الَّـذي قَسَمَ الفَضَائِل حَازَها في صُـلْـبِ آدَمَ لِـلْإِمـامِ السَّابعِ
كَـمْ مِـنْ يَـدٍ لـكَ لا تُحَدِّثُني بها نَفْسِي إذا آلَـتْ إلـيَّ مَطَامعي
أَسْـدَيْـتَـهَـا عَـفْـوًا إلـيَّ هَنِيئَةً فَشَكَرتُ مُصْطَنَعًا لأَكْـرَمِ صَانعِ
وَرَحِـمْـتَ أَطْـفَـالًا كَـأَفْـراخِ القَطَا وَحَنِينَ عانِسَةٍ[1] كقَوسِ النَّازعِ[2]
وعَفَوْتَ عَمَّن لم يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ عَـفْـوٌ وَلـم يَشْفَعْ إليكَ بِشَافعِ
إلَّا العُلُوُّ عَـنِ العُقُوبَةِ بَعْدَ ما ظَفِرَتْ يـداكَ بِمُسْتَكِينٍ خاضِعِ

قال: فبكى المأمونُ، **ثمَّ قال:** عليَّ به. فأُتِيَ به[3]، فخَلَعَ عليه وأمر له بخَمسَةِ آلافِ دينارٍ، **ودعا الفرَّاشَ فقال:** متى رأيتَ عمِّي مُقْبِلًا فاطرَحْ له مُتَّكأً. وكانَ يُنادِمُه لا يُنكِر منهُ شَيئًا[4].

---

(١) **عنست المرأة:** طالَ مُكْثُهَا في منزلِ أهلها بعدَ إدراكها ولم تتزوَّجْ حتَّى خَرَجَتْ من عِدَادِ الأبكارِ. ينظر: «المصباح المنير» (ع ن س).

(٢) في (ض، ل) (والدة بقلب جازع).

(٣) (فأتي به) ليست في (ل).

(٤) ينظر: «الأغاني» (١٠/ ٣٢٢)، و«أمالي ابن المزرع» (ص: ٥٣)، و«تاريخ الطبري» (٨/ ٦٠٤)، و«الكامل في التاريخ» (٥/ ٥٤٣).

[٨: ٦] [(٥) روايةٌ أُخرى لعفوِ المأمونِ عن إبراهيمَ بنِ المهديِّ]

قال أبو الفرج: وروى بعضَ هذا الخَبَرِ محمَّدُ بنُ الفضلِ الهاشِميِّ، فقال فيه: لما فَرَغَ المأمون من خِطابِهِ دَفَعَه إلى ابنِ أبي خالدٍ الأَحولِ، **وقال:** هو صديقُكَ، فخُذْه إليك.

فقال: وما يُغنِي هذا عنه وأميرُ المؤمنينَ ساخِطٌ عليهِ، أَمَا إنِّي وإن كنتُ صديقًا له، لا أمتنعُ من قولِ الحقِّ فيه.

فقال: قل، فإنَّك غيرُ مُتَّهمٍ.

فقال -وهو يُريدُ التسلُّقَ إلى العفو عَنهُ-: إن قتلتَه فقد قتلَ المُلوكُ قبلكَ أقلَّ جُرمًا منهُ، وإن عَفوتَ عَنهُ عَفَوت عَمَّن لم يَعْفُ من قبلكَ عن مثلِه.

فسكتَ المأمونُ ساعَةً، ثمَّ تمثَّل: [من الكامل]

فَلَئِنْ عَفَوتُ لَأَعْفُوَنْ جَلَلًا ... وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمِي
قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا -أُمَيْمُ- أَخِي ... فَإِذَا رَمَيْتُ أَصَابَنِي سَهْمِي[1]

---

(١) البيتان للحارث بن وَعْلَةَ الجَرْمِي. وقد أوردهما المؤلِّف هنا كما ذكرهما في «الأغاني»، لكن في «الحماسة» بتقديم الثاني على الأول. ينظر: «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (ص: ١٤٩).

قال مؤلِّف هذا الكتاب: وروى أبو تمامٍ الطائيُّ هذين البيتين في اختياراته التي سمَّاها «الحماسة» فقدَّم البيت الثاني [من][1] البيتين وهو أشبهُ، **وقال:**

ولئن سطوتُ لأوهنن عظمي

رجع الحديثُ إلى حديث أبي [الفرج][2]، قال: فقال المأمون[3]: خُذهُ إليكَ مُكَرَّمًا.

فانصَرفَ به، وكتبَ إلى المأمون قصيدتَه العينيَّة، فلمَّا قَرَأَها رَقَّ له وأَمَرَ بردِّه إلى مَنزِله، ورَدِّ ما قُبِضَ من مالِه وضياعِه وأملاكِه.

وفي خبر عَمِّي[4]، عن الحسنِ بن عليلٍ، قال: وحدَّثني محمَّدُ بنُ إسحاقَ الأشعريِّ، عن أبي داودَ[5]: أنَّ المأمونَ تقدَّم إلى محمَّدِ بنِ يزدادَ لمَّا أطلقَ إبراهيمَ: أن يمنعَه من دارَي الخاصَّةِ والعامَّة، ويوكِّلَ به رجلًا من قِبَلِه يَثِقُ به؛ ليُعَرِّفَه أخبارَه، وما يتكلَّمُ به.

فكتب إليه المُوَكَّلُ يومًا: إنَّ إبراهيمَ لما بَلَغَه مَنعُه مِن دارَي الخاصَّةِ والعامَّة، تمثَّلَ: [من البسيط]

---

(١) في (ف): (على).

(٢) في (ف): (الحسن).

(٣) قوله: (قال مؤلِّف... فقال المأمون) في (ض، ل): (ثم قال لابن أبي خالد)، وأثبتناه من (ف).

(٤) هو الحسن بن محمد، وقد سبقت ترجمته (١/ ٤٠٩).

(٥) قوله: (وفي خبر عَمِّي... أبي داود) في (ض): (وعن ابن أبي داود)، وفي (ل): (وعن ابن داود). وفي «الأغاني»: (عن أبي داود).

يا سَرْحَةَ[1] الماءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُه   أَمَـا إِلَيْكِ طريقٌ[2] غَيْرُ مَسْدُودِ
لِحَـائِـمٍ حَـامَ حَتَّى لا حِيَـامَ بِهِ   مُحَلَّأٍ[3] عَنْ طَرِيقِ الماءِ مَطْرُودِ

فلمَّا قَرَأَها المأمونُ بكى، وأمر بإحضاره من وقته مُكَرَّمًا، وإنزالِه في مرتبته، فَصَارَ إليه مُحَمَّد فبشَّره بذلك، وأمره بالركوبِ، فركب، فلمَّا دخلَ على المأمون قبَّل البساطَ، **وقال:** [من البسيط] [ض/ ١٦٢]

البِرُّ بي مِنْكَ وَطْءُ العُذْرِ عِنْدَكَ لي   دُونَ اعْتِذارِي فَلَمْ تَعذِلْ وَلَمْ تَلُمِ
وَقامَ عِلْمُكَ بي واحْتَجَّ عِنْدَكَ لي   مَـقَـامَ شَـاهِـدِ عَـدْلٍ غيرِ مُتَّهَمِ
رَدَدْتَ مالي وَلَـمْ تَمْنُنْ عَلَيَّ بِهِ   وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي
فَأُبْتُ مِنْكَ وَقَـدْ كَافَأْتَنِي نِعَمًا   هُمَا الحَيَاتَانِ مِنْ مَوتٍ وَمِنْ عَدَمِ
تَعْفُو بِعَدْلٍ وَتَسْطُو إِنْ سَطَوتَ بِهِ   فَلا عَدِمْنَاكَ مِـنْ عَـافٍ وَمُنْتَقِمِ

فقال له: اجلِس يا عَمِّ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، فلن ترى منِّي أبدًا ما تكره، إلَّا أن تُحدِثَ حَدَثًا، وأرجو أن لا يكونَ ذلك منكَ أَبَدًا إن شاءَ الله تعالى[4].

---

(١) **السَّرْحَةُ**: من كبارِ الشجر، وقيل: السرحُ كلُّ شجرٍ لا شوكَ فيها. والعربُ تكنِّي عن المرأة بالسرحةِ النابتةِ على الماء، ومنه هذا البيت. ينظر: «تهذيب اللغة» (٤/ ١٧٤).

(٢) في (ض): (سبيل).

(٣) **مُحَلَّأٍ**: ممنوعٍ من الماء، يقال حَلَّأْتُ الإبلَ عن الماء؛ إذا طَرَدتها عنه. ينظر: «مقاييس اللغة» (٢/ ٩٥).

(٤) ينظر: «الأغاني» (١٠/ ٣٢٢- ٣٢٤).

[٨: ٧] [(٦) روايةٌ أُخرى لعفوِ المأمونِ عن إبراهيمَ بنِ المهديِّ]

وحدَّثني أبو الفرجِ الأصبهانيِّ، **قال:** حدَّثني عليُّ بنُ سُلَيمانَ الأخفَشُ، ومحمَّدُ بنُ خلفَ بنِ المَرزُبان، **قالا:** حدَّثنا محمَّدُ بنُ يزيدٍ النَّحْوِيُّ -يعنيان: أبا العَبَّاسِ المبرِّد، **قال:** حَدَّثنا **الفضلُ بنُ مروانَ، قال**[1]: لما دخلَ إبراهيمُ بنُ المهديِّ على المأمون وقد ظَفِرَ به، كَلَّمَه إبراهيمُ بكلامٍ كانَ سعيدُ بنُ العاصِ كلَّم به مُعاويةَ بنَ أبي سفيانَ في سَخْطَةٍ سَخِطَها عليهِ، واستعطَفَه به، وكانَ المأمونُ يحفظُ الكَلامَ، **فقال له:** هيهاتَ يا إبراهيم، هذا كلامٌ قد سَبَقَك بِهِ فَحلُ بني العاصِ[2] وقارِحُهم سعيدُ بن العاصِ، وخاطَبَ به معاويةَ. [ض/ ١٦١]

فقال له إبراهيم: فكان مَه؟ يا أمير المؤمنين[3]، وأنتَ أيضًا إن عَفَوتَ فقد سَبَقَك فَحلُ بني [حَرْبٍ][4] وقارِحُهم إلى العَفو، فلا تكن حالي عندك في ذلك

(١) ما سبق من السند في (ض، ل): (وقال الفضل بن مروان)، وفي (ر): (وقيل بإسناد عن الفضل بن مروان).

(٢) في (ض، ل) زيادة: (بن أمية).

(٣) وفي (ر، ن): (وكان منه ما كان)، وليست في (ض). و(مَهْ) هنا أصلُها (ما) الاستفهامية، أبدلت الألف هاءً. ينظر: «المحكم» لابن سيده (١٠/ ٥٨٠)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٢/ ٤٠٧).

(٤) في النسخ: (حَارث)، والتصويب من «الأغاني» (١٠/ ٣٢٧).

أبعدَ من حال سعيدٍ عند مُعاوية، وأنا أقربُ إليك من سعيدٍ إلى مُعاوية، وإنَّ أعظم الهُجْنَةِ(١) أن تسبقَ أُميَّةُ هاشمًا إلى مَكرُمَة.

فقال له: صدقت يا عَمّ، وقد عَفَوتُ عنك(٢).

---

(١) في (ر): (المحنة). **والهجنةُ**: العيب. ينظر: «المحيط في اللغة» (٣/ ٣٨٠).

(٢) ينظر: «الأغاني» (١٠/ ٣٢٧)، و«تاريخ دمشق» (٤٨/ ٣٦٩)، و«المنتظم» (١٠/ ٢١٦).

[٨: ٨] [(٧) روايةُ أُخرى لعفوِ المأمونِ عن إبراهيمَ بنِ المهديِّ]

ووجدتُ في بعض الكتب: أنَّه لما حَصَلَ إبراهيمُ بنُ المهديِّ في قَبضَة ابنِ أخيه المَأمون، لم يشُكَّ هو ولا غيرُه أنَّه مقتولٌ، فأطال حَبسَه في مَطْمُورةٍ(١) بأَسْوَءِ حالٍ وأقبَحِها.

قال إبراهيم: فأَيستُ من نَفسي، ووَطَّنتُها على القَتلِ، وتعزَّيتُ(٢) عن الحياة، حتَّى صرتُ أتمنَّى الموت؛ للرَّاحة من العَذاب، وما أُؤَمِّلُه في الآخِرَة من حُصول(٣) الثَّواب.

فبينا أنا كَذَلِك إذ دخل إلي أحمدُ بنُ أبي خالِدٍ مبادِرًا، **فقال:** اعْهَدْ، فقد أمرني أميرُ المؤمنينَ بضَربِ عُنُقك.

فقلتُ: أَعطِني دَواةً وقِرطاسًا. فكتبتُ وَصيَّةً ذكرتُ فيها كلَّ ما احتجتُ إليهِ، وأَسْندتُها إلى المأمون، وشَكْلَةَ والدتي(٤)، ونهضتُ فتطوَّعتُ رَكعاتٍ، ومضى أحمدُ.

---

(١) **المطمورة:** بيتٌ يُبنَى تحت الأرض، يُحبَسُ فيه. ينظر: «المصباح المنير» (ط م ر).

(٢) في (ض): (وثويت).

(٣) (حصول) ليست في (ض، ل).

(٤) هيَ شَكْلة، أم إبراهيم ابن المهدي كانت عاقلة لبيبة، بعث المأمون إليها يسألها عن ولدها =

وفَرَغْتُ من الصَّلاة، وجلستُ أتوقَّعُ القَتلَ، فعاد إليَّ أحمدُ بعد ساعتَين، **فقال**: أمير المؤمنينَ يُقرِئُك السَّلامَ، ويقول لك: أنا أحمَدُ اللهَ -جلَّتْ عَظَمَتُه- الَّذي وفَّقَنِي لصِلَةِ رَحِمك، والصَّفحِ عنك. وقد أمَّنك، وردَّ عليك نِعمَتَك وجميعَ ضِياعك وأملاكك، فانصَرِفْ إلى دارك.

قال: فَبَدَأتُ أدعو للمأمونِ، وغَلَبَ[1] البكاءُ عليَّ والانتحاب، وهو يطالبني بِالجوابِ، وأنا غير مُتمَكِّنٍ مِنهُ.

فقال لي أَحمد: لقد رَأَيتُ منك عجبًا، أخبَرتُك أنِّي أُمِرتُ بِضَرب عُنُقك فلم تجزع ولم تَبْكِ، ثمَّ أخبَرتُك بتفضُّلِ أمير المؤمنينَ عليك وصَفْحِه عنك، فلم تتمالك من البكاء. [ر/١٠٧]

فقلت له: أمَّا السكونُ[2] عند الخَبَرِ الأوَّل؛ فلأنِّي لم أتوهَّم مُنذُ ظَفِرَ بي أن أَسْلَمَ من القَتل، فلمَّا وَرَدَ عليَّ ما لم أَشُكَّ فيهِ لم أجزع، ولم أَبْكِ.

وأمَّا بُكائي عند الخَبَرِ الثاني، فواللهِ العظيمِ شأنُه ما هو لسروري بالحياةِ، ولا لرجوعِ النِّعمَة، ولا بُكائي[3] إلَّا لما كانَ منِّي من قطيعةِ الرَّحِمَ ممَّن كان عِندَه -بعد استحقاقي منهُ القَتلَ- مثلُ هذا الصَّفحِ الَّذي لم يُسمَعْ بمثلِه في جاهِليَّةٍ

= إبراهيم أين اختفى وتهددها وتوعدها إن لم تدله عليه، فقالت: يا أمير المؤمنين أنا أمٌّ من أمَّهاتك فإن كان ابني عصى الله فيك فلا تعصِ الله فيَّ، فرقَّ المأمون لها وأمسك عنها ولم يراجعها بعد ذلك. ينظر: «وفيات الأعيان» (١/ ٣٩)، و«الوافي بالوفيات» (١٦/ ١٠٢).

(١) (وغلب) في (ض، ل): (وغلبني البكاء فمكثت أبكي ساعات لا أستطيع الجواب بحيلة لغلبة).

(٢) في (ض، ر): (السكوت).

(٣) (ولا بكائي) ليست في (ض، ل).

ولا إسلامٍ؛ بأنَّ أحدًا أتى بِمثلِهِ، فقد حاز أميرُ المؤمنينَ الثَّوابَ من الله تعالى في صِلَةِ رَحِمِه، وبُؤْتُ بالمأثَمِ في قطيعة رَحِمي، وأظهَرَ إحسانُه إساءتي، وحِلمُه جَهْلي، وفَضْلُه نَقصِي، وجوابي هو ما شاهدتَ وسمعت.

فرجع أحمدُ إلى المأمون فحدَّثه، ثمَّ رجعَ إليَّ من عنده بمالٍ وخِلَعٍ ومركوبٍ، فانصَرَفتُ به إلى داري ونِعمَتي وأهلي(١).

(١) (وأهلي) ليست في (ض، ل).

[٨: ٩] [موقفٌ آخرُ للمأمون مع إبراهيمَ بنِ المهديِّ][(١)]

حدَّثني عليُّ بن هِشامٍ، ابنُ [أبي] قِيراطٍ الكاتِبُ البَغداديُّ، **قال**: حدَّثني أبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ إسماعيلَ الأنباريُّ الكاتِبُ، المعروفُ بِزَنْجِيٍّ، **قال**: حدَّثنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بن محمَّدِ بنِ ثَوابةَ، **قال**: سَمِعت موسَى بنَ عبد الملك، يُحَدِّثُ عن **أحمدَ بنِ يوسُفَ الكاتِب**، **قال**: كنتُ أُنادِمُ المأمونَ، وأنا أتقلَّد له ديوانَ المشرقِ وديوانَ الرسائل، قبلَ وزارتي له، وكان كثيرًا ما أُنادِمُه على الانفِراد، ورُبَّما جَمَعَ بيني وبين اليَزِيديِّ وإسحاقَ بنِ إبراهيمَ المَوْصِلي[(٢)].

فلمَّا رضِيَ عن إبراهيمَ بنِ المهديِّ ونادَمَه صار لا يكاد ينادمُ معه غيرُه[(٣)] وغيري، ورُبَّما حضَرَ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوصِليُّ.

---

(١) هذا الخبر ليس في (ض، ل).

(٢) (وإسحاق بن إبراهيم الموصلي) ليست في (ر)، وأثبتناها من (ف).

واليزيديُّ الذي كان ينادم المأمون اثنان، ابنا أبي محمد اليزيدي يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، **وهما**: **محمد** وكان من أهل الأدب واللغة، شاعراً مدح الرشيد، والمأمون. **وإبراهيم** أبو إسحاق، من أئمة العربية، ولعلَّه هو المقصود. ينظر: «تاريخ بغداد» (٤/ ٦٥١)، و«إنباه الرواة على أنباه النحاة» (٤/ ٣٧)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ٥٢٧).

(٣) (معه غيرُه) في (ن): (مع غَيرِه).

فنحن ذات يومٍ على منادمةٍ، ومعنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ، إذ أنشد إبراهيمُ بنُ المهديِّ: [من البسيط]

صُونُوا جِيَادَكُمُ واجْلُوا سِلاحَكُمُ وَشَمِّروا إنَّها أَيَّامُ مَنْ غَلَبَا

فاستعادَه المأمونُ مِرارًا، وبان لي في وجهِه الغيظُ والغَضَبُ، والهَمُّ وزَوالُ الطَّرب، ولم يَفْطُنْ لذلك إبراهيم.

وتَرَكَ المأمونُ القَدَحَ الَّذي كانَ في يده ونَهَضَ، فظَنَّناه يُرِيد الوضوءَ؛ ثم غاب[1] فما شعرنا إلَّا وقد استدعانا إلى مجلِسٍ آخرَ، فإذا هو جالسٌ على سَرير الخلافَةِ، بقَلَنْسُوَةٍ، وثيابِ الهيبةِ، وبين يديهِ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المُصْعَبِيُّ، وجِلَّةُ القوَّاد.

فاستدعى إبراهيمَ بزِيِّه، فَحَضَرَ بأَخَسِّ صُورَةٍ وأَقْبَحِها، وعليهِ ثيابُ المنادمةِ، لِيَفضَحهُ بذلك.

فلمَّا وقفَ بين يديهِ؛ **قال له**: يا إبراهيم، ما حملكَ على الخُروج عليَّ، والخطبَةِ لنفسك بالخلافة.

قال أحمدُ بنُ يوسُفَ: وقد كنتُ لما أَبْطَأَ المأمونُ عن مجلِسِ المنادمة؛ تعرَّفتُ الصّورَةَ، فلمَّا استدعاني جِئتُ وقد خلعتُ ثيابَ المنادمة ولبستُ ثيابَ العَمَل.

---

(١) (ثمَّ غابَ) ليست في (ر).

فلمَّا سألَ المأمونُ إبراهيمَ عن ذلك، في مثل ذلك المجلسِ؛ علمتُ أن الصَّوتَ قد ذكَّرَه ما كانَ من إبراهيم، ولم أَشكَّ في أنَّه سيقتُلُه[١].

فأقبل عليه إبراهيمُ بوجهٍ صفيقٍ، وقلبٍ ثابتٍ، وقال: يا أميرَ المؤمنينَ، لستُ أخلو من أن أكونَ عندكَ عاقلًا أو جاهلًا، فإن كنتُ جاهِلًا فقد سقط عنِّي اللومُ من الله تعالى، ثمَّ مِنكَ، وإن كنتُ عاقِلًا فيجب أن تعلمَ أنِّي قد علمتُ أن محمَّدًا أخاك مع أمواله وذخائره، وأموالِ والدَتِه وكثرةِ ضياعها وأموالها[٢]، والأعمالِ الَّتي كانت في يده وارتفاعِها، ومحبَّةِ بني هاشمٍ له، **لم يَثْبُتْ لك**، وهو الخليفَةُ، وأنت أميرٌ من أمرائه، فكيف كنتُ أَثبُتُ أنا لك؟ وأنا في قومٍ أكثرُ رزقِ الرجلِ منهم ثلاثونَ درهمًا في الشَّهر، وقد غلبني على بغدادَ ابنُ أبي خالِدٍ العيَّارُ[٣] وأصحابُه؛ يقطعون، ويَضرِبُون، ويَحبِسُون، ويُطلِقُون، واللهِ العظيمِ[٤] شَأْنُه، ما دخلتُ فيما دخلتُ فيه إلَّا لأُبقِيَ هذا الأمرَ عليكَ وعلى أهلِ بَيتِك، لمَّا رأيتُ الفضلَ بنَ سَهلٍ قد حَمَلَه البَطَرُ والرَّفضُ على أن أَخْرَجَ الخلافَةَ عنك، فأردتُ ضبطَ الأمرِ، إلى أن تتسلَّمَه[٥].

قال: فرأيتُ المأمونَ وقد أسفر وجهُهُ، **وقال**: عليَّ بنافذٍ[٦] الخادِمِ، فأُحضِرَ؛ فقال له: رُقعَةٌ سلَّمتُها إليكَ بمَرْوَ، قبل رحيلي عنها، وأمرتُك بحفظها، هاتِها.

---

(١) (ما كانَ من إبراهيم، ولم أشك في أنَّه سيقتله) ليست في (ر)، وهي من (ف).

(٢) (ضياعها وأموالها) في (ف): (صنائعها).

(٣) في (ف): (الأعور).

(٤) (والله العظيم) في (ف): (ووالله).

(٥) في (ر): (تقدَّم فتسلمه).

(٦) في (ف): (بناقد)، وفي (ر، ن، ح، ط): (بنبا)، وفي (س): (منا)، والمثبت من (ك) والمطبوع =

فمضى وجاء بسَفَطٍ، ففَتَحَه وأخرجَ منه الرُّقعةَ، فإذا مكتوبٌ فيها بِخَطِّ المأمون: لَئِن أظفرني الله -جلَّ وعزَّ- بإبراهيمَ بنَ المهديِّ، لأسألنَّه بحضرة الأولياءِ والخاصَّةِ من أهل بيتي وأجنادي عن السَّبَب الَّذي دعاهُ إلى الخُروج عليَّ، فإن ذَكَرَ أنَّه إنَّما أرادَ بذلك حِفظَ الأمر عليَّ وعلى أهل بيتي، لِمَا جرى في أمرِ عليِّ بن موسَى[1]؛ لأُخَلِّينَّ سبيلَه، ولأُحْسِنَنَّ إليهِ، ولَئِن ذَكَرَ غيرَ ذلك من العُذرِ كائِنًا ما كانَ؛ لأضرِبَنَّ عُنُقه.

قال أحمدُ بن يوسُفَ: ولم يكن بحضرَتِهِ كاتبٌ غيري، فدفعها إليَّ، وقال: يا أحمد، ادفعها إليه.

ثمَّ قال: يا عَمِّ، خُذ براءتَكَ من أحمدَ، وعُدْ إلى مجلسِكَ الذي خلَّفتُك فيهِ.

قال: فَسلَّمتُ الرقعةَ إليه، وعُدْنا إلى مَوْضِعنا ومَجلِسنا، فَطرح إبراهيمُ نفسَه مغشيًّا عليه.

فما شعرنا إلَّا بالمأمون قد رَجَعَ بِثياب بِذْلَتِه، فقمنا إليه، ثمَّ جَلَسَ فجلسنا، **فقال:** ارجعوا إلى ما كُنَّا فيه، وأتممنا يومنا ذلك معه[2].

= و«مرآة الزمان» (١٤/ ٢٩٧).

(١) هو علي (الرضا) بن موسى، وقد سبقت ترجمته (١/ ١٦٢). ينظر: «مرآة الزمان» (١٤/ ٢٩٧).

(٢) ينظر: «مرآة الزمان» (١٤/ ٢٩٦).

[٨: ١٠] [صاحبُ السُّرُوجِ ينجو من قَتْلِ كسرى أبرويز]

ووجدتُ في بعض الكتب: أن كسرى أبرويز(١) ركب يومًا فَرَسَه الشِبْدِيزَ، فَتَلَكَّأَ عَلَيهِ، فجَذَبَ عِنانَهُ فانقطعَ.

فاستَحضرَ صاحب السُّروجِ، وقال: يكون عنانُ مثلي ضَعيفًا يَنقَطِع! اضربوا عُنُقَه.

فقال: أيُّها الملك، اسمَع، وأَنْصِفْ.

قال: قُل.

قال: ما بقاءُ جلدَةٍ يتنازَعُها مَلِكان، مَلِكُ النّاسِ(٢)، ومَلِكُ الدَّوابِّ.

فقال: زِه زِه(٣)، أَطْلِقُوا عَنهُ، وأعطوهُ اثني عَشَرَ ألفَ دِرهَمٍ، وعفا عنه(٤).

---

(١) في (ش، ج): (أنوشِروان)، وقد سبقت ترجمته (١/ ٣٩٢).

(٢) في (ض، ل): (الأنس).

(٣) زِه: كلمة استحسان، بمعنى: حسنًا، أو أحسنت. ينظر: «قاموس الفارسية» (ص: ٣٢٨).

(٤) (اثنى عشر ألف دِرهَم، وعفا عنه) في (ض، ل): (عشرة آلاف دينار).

[٨: ١١] [الوضَّاحُ بنُ خيثمةَ ينجو من القتل][1]

حكى محمَّدُ بنُ عُبدُوسٍ في كتاب «الوزراء»: قال [عمر بن شَبَّةَ][2]: حدَّثني بعضُ أصحابنا عن أميَّةَ بنِ خالدٍ، **عن الوضَّاح بنِ خيثمةَ قال**: أَمَرَني عمرُ بنُ عبد العَزيزِ بإخراجِ قومٍ من السجن، فأخرجتهم، وتركت يزيدَ بنَ أبي مُسلمٍ كاتبَ الحجّاجِ، فحقدَ عليَّ ذلك ونذَرَ دَمِي.

فإنِّي لبإفْرِيقِيَّةَ[3]، **إذ قيل لي**: قد قَدِمَ يزيدُ بنُ أبي مُسلمٍ صارفًا لمحمَّدِ بنِ يزيدَ مولى الأنصارِ، من قِبَلِ يزيدَ بنِ عبدِ الملك، بعد وفاةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيز، فهربتُ منهُ، وعَلِمَ بمكاني، فطلبني وظَفِرَ بي.

فلمَّا أُدخِلتُ عليه، **قال لي**: لطالما سألتُ اللهَ أن يُمَكِّنَني منك.

فقلت: وأنا واللهِ لطالما سألتُ الله عَزَّوَجَلَّ أن يُعِيذَني منك.

فقال يزيد: ما أعاذكَ الله منِّي، واللهِ لأَقتُلَنَّكَ، ثمَّ واللهِ لأَقتُلَنَّكَ، والله لو سابَقَني مَلَكُ الموتِ إليك لسبقتُه.

---

(١) هذه القصة مثبتة من (ض)، ووردت في القصص الملحقة بآخرها، في الورقة رقم (٢٢٤)، وليست في باقي النسخ.

(٢) إضافة من كتاب «الوزراء» (ص: ٥٦).

(٣) في (ض): (لنافرٌ عنه)، وهو تصحيف، والمثبت من «الوزراء».

ثمَّ دعا بالسَّيفِ والنِّطعِ، فأُتِيَ بهما، وأَمَرَ بي فأُقِمتُ في النِّطعِ، وكُتِفتُ، وشُدَّ رأسي، وقامَ ورائي رجلٌ بسيف مُنْتَضًى، واستأذَنَه في ضرب عنقي، فأُقِيمَتِ الصَّلاةُ.

فقال: أَمْهِلْ حتَّى أُصَلِّيَ. وخرج إلى الصَّلاةِ.

فلمَّا سَجَدَ أَخَذَتْه السيوفُ، فقُتِل، ودخلَ إليَّ مَن حَلَّ كِتافي ورأسي، وخلَّى سبيلي، فانصَرَفتُ سالمًا[1].

(١) ينظر: «الوزراء والكتاب» للجهشياري (ص: ٥٦)، و«الفرج بعد الشدة» لابن أبي الدنيا (٧١)، و«تاريخ ابن عساكر» (٦٣/ ٤١)، وقد ذكرها المؤلِّف في الباب الثالث (١/ ٣٣٦).

[٨: ١٢] [نجاةُ بكرِ بنِ المُعتَمِرِ من يدي الرشيد]

وذكر محمَّدُ بنُ عُبدوسٍ في كتابه «كتاب الوزراء»، **قال**: لما صارَ الرشيدُ إلى طُوسَ، واشتدَّتْ عِلَّتُه؛ اتَّصل خَبرُه بالأمين، فوجَّه ببَكْرِ بنِ المُعتَمِرِ[1]، وَدَفَع إليه كُتُبًا إلى الفضلِ بنِ الربيعِ، وإسماعيلَ بنِ صبيحٍ[2]، وغيرهما، يأمُرهُم بالقُفُولِ إلى بغدادَ إن حَدَثَتِ الحادِثَةُ بالرشيد، والاحتياطِ على العسكر وما فيه[3] وحَمْلِه.

وقد كانَ الرشيدُ جدَّدَ الشَّهادَةَ للمأمونِ بجميعِ ما في عسكره من مالٍ، وأثاثٍ، وخُرْثِيٍّ[4]، وكُراعٍ[5]، وغيرِ ذلك.

---

(١) في (ر): (بكير) وكذا في جميع المواضع الآتية، **وبكر بن المعتمر** هو كاتب الأمين، وهو الذي ساعده على خلع المأمون. ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٣٦٨)، و«المقتطف من أزاهر الطرف» (١/ ٨٢)، وأمَّا **بكير بن المعتمر**: فقد ذكر الطبريُّ في «تاريخه» أنَّه كان يضع الأخبار للأمين في الأراجيف أيَّام حربِ طاهرٍ له، وكان شيخًا عظيمَ الخلقة. ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٥١٢).

(٢) هو إسماعيل بن صبيح اليشكري الكوفي، كان واليًا على زمام ديوان الخراج للمهدي، ثم كاتب يحيى بن خالد، ذكره ابن حبان في «الثقات» وكان ذا قوة حافظة، (ت: ٢١٧هـ). ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ١٦٧ - ٢٠٧)، «تاريخ الإسلام» (٥/ ٢٧٨).

(٣) (العسكر وما فيه) في (ر): (ما في الخزائن).

(٤) **الخُرْثِيُّ**: أَرْدأُ المتاع والغنائمِ، وقيل: متاعُ البيتِ وأَثاثُه. ينظر: «لسان العرب» (خ ر ث: ٢/ ١٤٥).

(٥) **الكُراع**: الخيلُ. والكراعُ: السلاحُ. **وقيل**: هو اسم يجمع الخيلَ والسلاح. ينظر: «لسان العرب» (ك ر ع: ٨/ ٣٠٧).

فَلَمّا ورد بكرُ بن المُعتَمِر على الرشيد، أوصل كُتُبًا ظاهِرَةً كانت معه بعيادة الرشيدِ، وكانت الكتبُ الباطِنَةُ مخفاةً، فاتَّصل خَبَرُها بالرشيد، فأحضره وطالبه بالكتبِ الباطِنَةِ، فجَحَدَها.

قال: فذكرَ عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهِر، قال: حدَّثني أبي، **قال:** كنتُ مع الرشيد بطُوسَ لمَّا ثَقُلَ في عِلَّتِه، وقد ورَدَ بَكرُ بن المُعتَمِر، والمأمونُ حينَئِذٍ بمَرْوَ، وقد ظَفِرَ الرشيدُ بأخي رافعِ بن اللَّيثِ[١]، فأُحضِرَ في ذلك اليوم، ومعهُ قرابةٌ له.

فخلعَ الرشيدُ على بَكرٍ وصَرَفه إلى منزله، ثمَّ أَمَرَ بإحضاره ومُطالَبَتِه بالكتب الباطِنَة، فجَحَدَها، فأمَرَ بحَبسِه.

ثمَّ جلس الرشيدُ جُلوسًا عامًّا، في مَضْرِبِ خَزٍّ أسودَ، استِدارَتُه أربعُ مئَةِ ذِراعٍ، في أركانه أربعُ قِبابٍ مغشَّاةٍ بخَزٍّ أسودَ، وهو جالسٌ في فَازَةٍ[٢] خَزٍّ أسودَ في وَسطِ المَضرِب، والعُمُدُ كلُّها سودٌ[٣]، وعليهِ جُبَّةُ خَزٍّ سَوداءُ وتحتَها فَنَكٌ[٤]

(١) هو بشير بنُ الليث بنِ نصرِ بن سيَّار، أخو رافعِ الذي كان بسمرقند فخرج على الرشيد ونزع يده من طاعته سنة (١٩٠هـ)، وفي سنة (١٩٣هـ) تواقع هرثمة نائب العراق هو ورافع بن الليث، فكسره هرثمة، وأسر أخاه بشير بن الليث، فبعثه إلى الرشيد، وهو بطوس، فلمَّا أُوقِفَ بين يديه شرع يترقَّق له، فلم يقبل منه، بل قال: والله لو لم يبق من عمري إلَّا أن أحرِّك شفتي بقتلك لقتلتك، ثمَّ دعا بقصَّاب، فجزأه بين يديه أربعة عشر عضوًا. ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٣٤٢)، و«المنتظم» (٩/ ١٧٧)، و«البداية والنهاية» (١٤/ ٢٥).

(٢) **الفَازَةُ:** مظلَّةٌ تُمَدُّ بعمودٍ. ينظر: «لسان العرب» (ف و ز: ٥/ ٣٩٣).

(٣) في (ف) زيادة: (وقد جعل مكانَ الحديد فضَّةً، والأوتادَ والحبالَ كلها سود)، وليست عند الجهشياري في «الوزراء».

(٤) في (ر): (فَروَةُ فنكٍ)، والمثبت موافق لكتاب «الوزراء». **والفَنَكُ:** حيوانٌ يُفتَرَى جلدُه؛ أي: يُلبَسُ فَرْوًا، قال في «المصباح»: قيل نوعٌ من جِراء الثعلبِ التركيّ، ولهذا قال الأزهريُّ وغيرُه =

قد اسْتَشْعَرَهُ[1]؛ لما هو فيهِ من شدَّة البردِ والعلَّة، وفوقَها دُرَّاعَةُ خَزٍّ أسودَ مبطَّنَةٌ بفَنَكٍ، وقَلَنْسُوةٌ طَويلَةٌ، وعِمامةُ خَزٍّ سَوداءُ، وهو عليلٌ لما بِه[2]، وخلف المِسْنَدِ[3] خادِمٌ يُمسِكهُ لِئَلا يميلَ بِبدنِهِ، والفضلُ بن الرَّبيع جالسٌ بين يَدَيهِ؛ **فقال للفضلِ**: مُر بَكْرًا بإحضارِ ما معه من الكتب السِّرِّيَّة.

فأنكرها، **وقال**: ما كانَ معي إلَّا الكتبُ الَّتي أوصلتُها.

فقال للفضل: توعَّدْه، وأَعْلِمْه أنَّه إن لم يفعل قَتَلْتُه، فَأَقامَ بَكرٌ على الإنكار.

فقال الرشيدُ، بِصَوتٍ خَفِيٍّ: قَنِّبُوه، فنُحِّيَ بكرٌ، وَجيء بالقِنَّب[4]، وقُنِّبَ من قَرْنِه[5] إلى قَدَمِه.

قال بَكرٌ: فأيقنتُ بالقتلِ، ويئست من نفسي، وعملتُ على الإقرار؛ فأنا على ذلك حتَّى أُحضِرَ هارونُ أخا رافعٍ وقرابَتَه الَّذي كانَ معه. [ر/١٠٨]

فقال الرشيد: أيتوهَّمُ رافعٌ أنَّه يَقتُلُني[6]؟ واللهِ لو كانَ معه عددُ نُجوم السَّماء لَتَلَقَّطْتُهم واحِدًا بعد واحِدٍ، حتَّى أَقتُلَهم عن آخِرِهم.

= هو مُعَرَّبٌ. وحكى لي بعضُ المسافرين: أنَّه يُطْلَقُ على فَرْخِ ابن آوى في بلاد الترك. ينظر: «لسان العرب» (ف ن ك: ١٠/ ٤٨٠)، و«المصباح المنير» (ف ن ك).

(١) أي: اتخذه شِعارًا، والشِّعار: ما وَلِيَ الجسدَ من الثِّيابِ. ينظر: «مختار الصحاح» (ش ع ر).

(٢) قوله: (مبطَّنَةٌ بفَنَكٍ... عليلٌ لما به) في (ف): (والوسائد والطرح الذي بين يديه وكل ما يقرب منه خزٌّ أسود).

(٣) في (ر): (الرشيد).

(٤) **القنَّب**: ضَرْبٌ من الكتّانِ، وهو الغَلِيظُ الَّذي تُتَّخَذُ منهُ الحبالُ وما أشبهها، يؤخذُ لِحاهُ ثُمَّ يُفْتَلُ حِبالًا. ينظر: «تاج العروس» (ق ن ب: ٤/ ٨١).

(٥) **القَرْن**: جانب الرأس. ينظر: «مختار الصحاح» (ق ر ن).

(٦) كذا في النُّسَخ، وفي «الوزراء»: (يغلبني).

فقال الرجلُ: اللهَ اللهَ يا أميرَ المُؤمنينَ فيَّ؛ فإنَّ اللهَ تعالى يَعلَمُ، وأهلَ خُراسانَ، أنِّي بَريءٌ من أخي مُنذُ عشرين سنة، ملازمٌ منزلي ومسجدي، فاتَّقِ اللهَ تعالى فيَّ، وفي هذا الرجلِ.

فقال له قرابتُه: قطع الله لسانكَ، أنا -واللهِ- مُنذُ كَذا وكَذا أدعو اللهَ بالشَّهادَةِ، فلمَّا رُزِقتُها على يَدَي شَرِّ خَلقِه أخذتَ في الاعتِذار!

قال: فاغتاظ الرشيدُ، وقال: عليَّ بجَزَّارَين.

فقال له قرابَةُ رافعٍ: افعَل ما شِئتَ، فإنَّا نرجو أن نُرزَقَ الشهادةَ ونَقِفَ نحن وأنت بين يدي الله تعالى في أقرب مُدَّةٍ، فتعلمَ كيفَ يكون حالك.

فنُحِّيا، وَأَمَرَ بهما فقُطِّعَا عضوًا عضوًا، فوالله العظيمِ ما فُرِغَ منهُما حتَّى توفِّيَ الرشيدُ.

قال بكر: وَأنا أتوقَّعُ القَتلَ بعدهما، حتَّى أتاني غُلامٌ لأبي العَتاهيةِ، قد بَعَثَ به مَولاهُ، وكتب في راحَتِه شيئًا أَرانيه، فإذا هو[1]: [من مجزوء الوافر]

هِيَ الأَيَّامُ وَالْغِيَرُ ... وَأَمْرُ اللهِ يُنْتَظَرُ
أَتَيْأَسُ أَنْ تَرَى فَرَجًا ... فَأَينَ اللهُ والْقَدَرُ!

قال: فوثقتُ بالله، وقوَّيتُ نفسي، ثمَّ سَمِعتُ واعيةً[2] لا أفهم معناها، وإذا الفضلُ بنُ الرّبيع قد أقبل إليَّ.

---

(١) الأبيات منسوبة لأبي العتاهية في «الفرج بعد الشدة» لابن أبي الدنيا (ص: ٨٤)، و«البصائر والذخائر» لأبي حيان (٦/ ٢١٦).

(٢) **الواعية:** الصارخة. ينظر: «لسان العرب» (وع ي: ١٥/ ٣٦٩).

فقال: خلُّوا أبا حامدٍ.

فقلتُ: ليسَ هذا وقتَ[1] تَكْنِيَتي، فحُلِلْتُ، ودعا لي بخِلَعٍ، فخُلِعَتْ عليَّ.

ثمَّ قال: أعظَمَ الله أجركَ في أمير المؤمنينَ، وأَخَذَ بيَدي وأدخلني بَيتًا، فإذا الرشيدُ مُسَجًّى فيهِ، فكشفتُ عن وجهِه، فلمَّا رأيتُه ميتًا سَكَنْتُ.

فقال: هيه، هاتِ الكتبَ الباطِنَةَ الَّتي معك.

قال: فأحضرتُ صندوقًا للمطبخ[2] قد نُقِبَتْ قوائمُه، وجُعِلَت الكتبُ فيها، وجُعِلَ الجلدُ فوقَها، فَأمرتُ بشقِّ الجلدِ وكَسرِ القوائمِ، وسلَّمتُ الكتبَ إلى أصحابها، وأخذتُ الأَجوِبَةَ، وانصرفتُ[3].

قال مؤلِّفُ هذا الكتاب: وقد أتى أبو الحُسَين القاضي في كتابه بهذينِ البيتَينِ لأبي العتاهيةِ من غير أن يذكرَ القِصَّةَ، وَزاد بين البَيتِ الأَوَّلِ والبَيتِ الثَّاني بَيتًا، وهو:

فَـلَا تَـجْـزَعْ وَإِنْ عَـظُـمَ الـ ... بَـلاَءُ وَمَـسَّـكَ الـضَّـرَرُ

وذكر أبو بكرٍ الصُّوليُّ هذا الخَبرَ في كتاب «الأوراق»، الدّاخِلِ فيما أجازَ لي رِوايَتَه بعد ما سَمِعتُه مِنهُ، فقال: حدَّثني عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهرٍ، قال: حدَّثني بعضُ أصحابنا عن بَكرِ بنِ المعتمرِ، وذَكَرَ نحوَ ذلكَ، إلَّا شعرَ أبي العَتاهية

(١) (وقت) ليست في (ر).

(٢) (فأحضرت صندوقًا للمطبخ) في (ر): (فأتيت إلى صندوق في المطبخ).

(٣) ينظر: «الوزراء والكتاب» للجهشياري (ص: ٢٧٣ - ٢٧٥)، و«تاريخ الطبري» (٨/ ٣٦٦- ٣٦٧).

فما ذَكَرَه، **وقال**: إنَّ مَضرِبَ الرشيدِ أسودُ كُلُّه، له شُرُفٌ، كأَنَّهُ جبلٌ أسودُ[1]. ولم يَقُلْ: خَزٌّ[2].

قال: والرشيدُ في فازةِ خَزٍّ سوداءَ، وعلى سَرِيره دَسْتُ خَزٍّ أسودُ[3]، وعليهِ جُبَّةٌ سَوداءُ تحتها فَنَكٌ، وقد لَبِسَها بلا قَميصٍ، وهو مُستَنِدٌ إلى مِسْنَدِ الدَّستِ.

قال: فخرج إليَّ الفضلُ فحَلَّنِي، وسلَّمَ عليَّ، وكانَ لي صديقًا، **وقال لي**: أين كُتُبُكَ على الحقيقةِ؟ **فقلت**: ما معي كتبٌ.

فقال: إنَّه قد ماتَ. وكأنهُ رآني لم أُصَدِّقْ بذلك، فأخذ بيدي حتَّى أَوْقَفَني عليهِ ميتًا.

فقلت: ما أعجب هذا!

فقال: إنَّه تحامَلَ لك وللرَّجُلين، فجَلَسَ وهو لا يُطيق، وقد خُرِقَ في السرير خَرْقٌ يَنْجُو منهُ[4]، وتحت فراشه الأسودِ جاوَرْسٌ[5]، والخدمُ قعودٌ خلفَ

---

(١) قوله: (فقال: حدَّثني عبيد الله... أسود) في (ر): (برواية غيرِ بكيرِ بنِ المعتمرِ وذكر نحو ذلك إلا شعرَ أبو).

(٢) (خز) في (ر): (إنه في قُبَّةِ خز).

(٣) **الدَّسْتُ**: كلمة فارسية معربة، ولها عدة معانٍ، منها: الثياب، وصدر المجلس. ينظر: «تاج العروس» (د س ت: ٤/ ٥١٨).

(٤) نَجَا الرجلُ؛ إذا تغوَّطَ. ينظر: «المصباح المنير» (ن ج و).

(٥) **الجاوَرْس**: حبٌّ يُشبِه الذرة وهو أصغر منها، وقيل: نوعٌ من الدُّخن. وهو يستخدم في الطبِّ للعلاج من عدَّة أمراض، بأن ينوَّمَ العليل عليه، أو بالتكميد. ينظر: «الحاوي في الطب» (٣/ ٣٧، ٣٤٦)، و«المصباح المنير» (ج ر س).

السرير، يُمسِكُون أَطراف جبَّتِه، ولولا مكانُهم ما ثَبَتَ جالِسًا، فلمَّا كلَّم الرجلَين ورفع صَوتَه وحَرِدَ[1]؛ غُشِيَ عليهِ، فكأَنَّهُ ذُبالةٌ[2] أَضاءَتْ ثمَّ طَفِئَتْ.

(١) أي: غَضِبَ. ينظر: «مختار الصحاح» (ح ر د).

(٢) **الذُّبَالَةُ**: الفَتِيلَةُ. ينظر: «مختار الصحاح» (ذ ب ل).

[٨: ١٣] [نجاةُ تاجرٍ من القتل][١]

وحدَّثني عليُّ بن مُحَمَّدٍ الأنصاريُّ الخَطْمِيُّ[٢]، **قال:** كنتُ أصحَبُ محمَّدَ بنَ يَنالَ التَّرْجمانَ[٣]، كاتبَ بجكمَ[٤]، فانحدرَ بي[٥] معه إلى واسطٍ لما انحدر بجكم إليها.

فاستخلفَ بجكمُ الترجمانَ بواسطٍ، ومضى يُريد قتالَ البريديِّين[٦]، فلمَّا صار بنهرِ جُورٍ[٧] كتب إلى الترجمانِ أنَّه قد صَحَّ عِندَه أنَّ رجلًا من التُّجَّار المقيمين في معسكرنا بواسطٍ، يُقال له: أبو أحمدَ بنُ غيلان الخزاز السُّوسيُّ، يُكاتِب البريديِّين بخبرنا، وأمره بالقَبضِ عليهِ وقَتْلِه.

---

(١) هذه القصَّة ليست في (ض، ل)، وأثبتناها من (ر، ف، ن).

(٢) هو عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيم الأنصاري، سبقت ترجمته (٢/ ٣١٣).

(٣) هو أبو نصر، من قوَّاد الدولة العبَّاسيَّة، تولَّى الشرطةَ ببغداد زمن الراضي والمتَّقي، قتله غلمانُ سيفِ الدولة بالرقَّة سنة (٣٣٢هـ). ينظر: «الأوراق» للصولي (٢/ ٢٤٥)، و«تجارب الأمم» (٦/ ٨٩).

(٤) هو الأمير بجكم التركي، أبو الحسين، سبقت ترجمته (٣/ ٣٣٣).

(٥) (بي) في (ر): (ومَن).

(٦) وهم أبو عبد الله البريدي وأولادُه، وأخوه أبو الحسين، الذين استولوا على البصرة زمن الراضي. ينظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» (٢٣/ ١٣٧ - ١٤٠، ١٥٦)، و«قلادة النحر» (٣/ ١١٧).

(٧) **نهرُ جُور**: بين الأهواز وميسان (ميزان). ينظر: «معجم البلدان» (٥/ ٣١٩)، و«مراصد الاطِّلاع» (٣/ ١٤٠١).

فقَبَضَ عليه الترجمانُ، وَقَيَّده وحَبَسَه، وعَرَّفَه ما ورد به كتابُ بجكم.

وكانَتْ للتاجرِ خدمَةٌ مع ابن ينالَ وكيدةٌ، فورد عليهِ غمٌّ شديدٌ من أن يقتُلَ رجلًا له به عنايةٌ وحُرمَةٌ، **فقال له**: أنا أعرِّضُ نفسي لبجكم، وأؤخِّرُ قتلَكَ، وأكاتبه أسألُه أن يقتَصرَ على أَخْذِ مالِكَ ويعفوَ عن دَمِك، فَلَعَلَّه أن يفعل.

قال[١]: ودخلتُ على الرجلِ في حَبْسِه، وأَخَذْتُ أُطَيِّبُ قلبه[٢]، وأعرِّفُه أنَّ الكتاب قد نَفَذَ[٣] إلى بجكم في أمره، فأخرجَ خاتمًا كانَ في يده، **وقال**: يا أبا الحسنِ[٤]، مِن سُقوطِ هذا الخاتم من يدي إلى عودتِه إليها سبعونَ فرجًا.

فما انقَضى اليومُ حتَّى ورد الخَبَرُ بقتل بجكم، وأفرجَ الترجمانُ عن الرجل، وتخلَّصَ سالمًا، وعاشَ بعد ذلك ثلاثَ سنين أو أكثرَ.

---

(١) القائل هو راوي القصَّة عليُّ بن مُحَمَّدٍ الأنصاريُّ.

(٢) في (ف): (نفسَه).

(٣) في (ر): (أبعثته).

(٤) هو علي بن محمَّد الأنصاري راوي القصة.

[٨: ١٤] [أرادَ قتلَ أخيه فقتلَ نفسَه][١]

وحدَّثني إبراهيمُ بنُ عليِّ بن سعيدٍ[٢] النَّصِيبيُّ المُتكلِّمُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]، **قال:** حدَّثنا[٤] جماعَةٌ من أهل نَصِيبين: أنَّه كانَ بها أَخَوان وَرِثَا عن أَبِيهما مالًا جَليلًا، فاقتسماه، فأسرع أحدُهما إلى إنفاقِ حِصَّته فلم يَبْقَ له شيءٌ[٥]، حتَّى احتاجَ إلى ما في أيدي الناسِ، وثمَّرَ الآخرُ حِصَّته فزادت.

وعَرَضَ له سفرٌ في تجارته، فجاءَهُ أخوهُ الفَقيرُ، **فقال:** يا أخي، إنَّك تحتاجُ إلى أن تستأجِرَ غُلامًا في سفرك، وأنا أحتاجُ إلى أن أَخْدُمَ النَّاسَ، فاجْعَلني بدلَ غُلامٍ تستأجِرُه، فيكونَ ذلك أَصْوَنَ لي ولك.

فلم يشُكَّ الأَخُ أنَّ أخاهُ قد تأدَّب، وأنَّ هذا أوَّلُ إقباله، وآثَرَ أن يصونَ أخاهُ، ورَقَّ له، فَأَخذه معه.

---

(١) هذه القصة جاءت في (ض) بعد القصة (٤/ ٢٢)، وفي (ل) بعد القصة رقم: (٤/ ٣٩).

(٢) (بن سعيد) ليست في (ر، ف)، وفي (غ): (بن سعد بن علي بن ربيعة)، وفي (ش): (بن سعيد بن علي بن رويعة).

(٣) هو أبو إسحاقَ النَّصِيبي، روى عنه المؤلِّفُ في «نشوار المحاضرة» (١/ ٩١)، وهو من كبار المعتزلة، قال عنه أبو حيان: (كان من أفسق الفاسقين، وهو يُلقَّب بمقعدة، لا أعلم في الدنيا قاذورةً إلا أتاها، ولا خساسة إلا أظهرها). ينظر: «أخلاق الوزيرين» (ص: ٢١١ - ٢٩٧).

(٤) في (ر): (قال).

(٥) في (ر، ف): (في حصته حتَّى لم يُبقِ له شيئًا).

وكانَ للأخ الغَنيِّ حمارٌ فارِهٌ يركبه، وقد استأجرَ بِغَالًا لأحمالِه، فأركبَ أخاهُ أحدَها، والمُكارِي أحدَها، وساروا.

فَلَمّا استمرَّ بهما[١] السّفرُ حَصَلُوا في جبلٍ في الطَّريقِ، وفيه كَهفٌ، وفيهِ[٢] عينُ ماءٍ، **فقال الأخُ الفَقيرُ للأَخِ الغَنيِّ**: لو نزلنا هَاهُنا، وَأَرَحْنا دوابَّنا، وسَقَيْناها من هذا الماءِ، وأكلنا، ثمَّ رَحَلْنا، أَيْشٍ ترى[٣]؟

فقال: افْعَل.

فنزل التّاجِرُ على باب الكَهفِ الَّذي في الجَبَل، وأدخلَ متاعَهُ إليهِ، وبَسَطَ السفرةَ ليأكل، وأخذ أخوهُ الفَقيرُ والمُكاري الدَّوابَّ، ومَضَيَا ليسقياها.

وانتظر التّاجِرُ أخاهُ، فاحتبسَ عنه طويلًا، ثمَّ جاءَ وَحدَه يقودُ الدوابَّ، فَشدَّها[٤]، **فقال له أخوهُ**: أين المُكاري؟ **فقال له**: قد أقام عند الماء[٥].

فقال: تعالَ حتَّى[٦] نَأكُل.

فَتَركه وَمضى، ثمَّ عاد يسعى مستعجِلًا إليه، وبِيَدِهِ حِجارَةٌ يرميه بها، ويقول لأخيه الغنيِّ: اسْتَكْتِفْ.

فقال: ويحك، ما لكَ؟ وما تُريدُ؟

---

(١) في (ر) (استتمَّ بهم).
(٢) (وفيه كَهفٌ وفيهِ) في (ر): (فيه).
(٣) (ثم رحلنا أيش ترى) وفي (ر) (ثمَّ ركبنا).
(٤) (يقود الدوابَّ، فَشدَّها) في (ض، ل): (فَشدَّ الدَّوابَّ)، والمثبت من (ف).
(٥) (أقام عند الماء) في (ن): (أقام في الجبل)، وفي (ض، ل): (نام في فناء الجبل).
(٦) (حتى) ليست في (ض، ل).

قال: أُرِيدُ قَتْلَكَ، أخذتَ مالَ أبي، وَجَعَلْتَه تجارَةً لك، وجعلتني غلامَك، ورَفَسَه(١)، فألقاه على ظَهره، ثمَّ أَوْثَقَهُ كِتافًا، وأَثْخَنَه ضَرْبًا بالحجارةِ وشِجاجًا(٢)، وصاحَ الرجُلُ، فلم يُجِبْهُ أحدٌ.

وبَرَكَ(٣) أخوهُ الفقيرُ على صَدره، ثمَّ أخرج من وسَطِهِ سكِّينًا عَظيمَةً في قِرابٍ لها(٤)؛ لِيَذبَحَه بها، فرامَ استخراجَها من القِراب فعَسُرَتْ عليهِ، فَقامَ عن صدر أخيه، وأمسكَ القِرابَ بيده اليسرى، وجَذَبَ السكينَ باليُمنى، وقد صار القِراب مع حَلْقِه، فَخَرَجَتِ السكِّينُ بحميَّةِ(٥) الجَذْبَةِ فذَبَحَتْه، فوقَعَ يَخُورُ في دَمِه، ونَزَفَ(٦) إلى أن ماتَ، وجفَّتْ يَدُه على السكين بعد مَوتِه، وهي فيها.

وحَصَلَ على تِلكَ الصّورَةِ وأخوهُ الغَنيُّ مشدودٌ، لا يَقدِرُ على الحَرَكَة، والسفرةُ منشورةٌ(٧)، والطَّعامُ عليها، والدَّوابُّ مشدودةٌ على باب الكهف(٨).

فَأَقامَ على تلكَ الصُّورَةِ بَقيَّةَ يومه وَلَيلَته، وقطعَةً من غَدِه.

---

(١) رَفَسَه: ضربه برجله، قال الخليل: والرَّفْسُ يكون في الصَّدْر. ينظر: «المصباح المنير» (ر ف س).

(٢) (وأثخنه ضربًا بِالحِجارَةِ وشجاجًا) ليست في (ض).

(٣) بَرَكَ: ثَبَتَ وأقامَ، وهو مأخوذٌ من بَرَكَ البعيرُ، إذا أَلْقَى بَرْكَه بالأرضِ، أي: صدرَه. ينظر: «تاج العروس» (ب ر ك: ٢٧/ ٥٩).

(٤) القِراب: وِعَاءٌ يكون فيه السَّيفُ بغِمدِه وحِمالته. وقال الأزهريُّ: شبهُ جِراب من أدمٍ، يضعُ الراكبُ فيه سَيفَه بجَفنِه، وسَوطِه، وعصاه، وأداته. ينظر: «تاج العروس» (ق ر ب: ٤/ ٩).

(٥) (السكين بحمية) في (ض، ل): (بشدة).

(٦) في (ض، ل) زيادة: (الدمُ).

(٧) في (ض): (منصوبة).

(٨) (باب الكهف) في (ر): (الروا)، وفي (ل): (الدوار).

فاجتازت قافلةٌ على المحَجَّةِ، وكانَ بَينها وَبَين الكَهف بُعدٌ، فأحسَّتِ البغالُ بالدوابِّ المجتازةِ فشَحَجَتْ(١)، ونَهَق الحمارُ وجَذَبَ الرَّسَنَ، وجذبت البغالُ أرسانَها فأَفْلَتَتْ، وغارَت(٢) تطلب الدَّوابَّ.

فلمَّا رأى أهلُ القافِلَةِ دوابَّ غائرةً؛ ظنّوا أنَّها لقومٍ قد أسرَهم اللُّصوصُ، وكانوا في مَنَعَة، فتسارعوا إلى البغال، فلمَّا قصدوها رجعت تطلبُ مَوضِعَها، [ض/١٦٣]
وتَبِعَها قومٌ من أهل القافِلَة حتَّى انتهَوا إلى التّاجِرِ، وشاهدوه مكتوفًا، والسفرةُ منشورةٌ، والأخُ مذبوحٌ وبيدِهِ السكين، فشاهدوا عجبًا. [ر/١٠٩]

واستنطقوا التاجرَ(٣)، فأَوْمَأَ إليهم أن لا قدرَةَ لي على الكلام، فحلُّوا كِتافَهُ، وسَقَوه ماءً، وأقاموا عنده إلى أن أفاقَ وقَدَرَ على الكلام، فأخبرهُم الخَبَرَ، فطَلَبُوا المُكَارِي، فوجدوه غريقًا في الماء، قد غرَّقَه الأَخُ الفَقيرُ.

فحملوا ثَقَلَ التّاجِرِ على بِغَالِهِ، وأَرْكَبُوه على حِماره، وسيَّروه معهم إلى المنزل الآخر.

---

(١) **الشَّحيجُ**: صَوْتُ البغل. ينظر: «العين» (ش ح ج: ٣/ ٦٨).

(٢) كذا في (ر)، وفي (ض، ل): (وعادت). وصوابها: **أغارت**؛ أي: أسرعت في جَرْيِها. ينظر: «كتاب الأفعال» لابن القوطية (ص: ٢٩)، و«الصحاح» (غ و ر: ٢/ ٧٧٥)، و«مجمل اللغة» (ص: ٦٨٨).

(٣) في (ر): (الرجلَ).

[٨: ١٥] [أبو القاسمِ الصَّفَّارُ النَّصِيبيُّ ينجو من محتالٍ أراد قتلَه]

وحدَّثني إبراهيمُ بنُ عليٍّ النَّصِيبيُّ هذا، **قال**: حدَّثني أبو القاسمِ[١] الصَّفَّارُ، شيخٌ كانَ جارًا لنا بنَصِيبين، **قال**: خرجتُ من نَصِيبينَ بسَيفٍ نَفِيسٍ، كنتُ ورثته من أبي، أقصِدُ بِهِ عبَّاسَ بنَ عَمرٍو السُّلَمي[٢]، أميرَ ديارِ ربيعَةَ، وهو بِرَأسِ عَينٍ[٣]، لأُهدِيَه إليهِ، وأَسْتَجْدِيَه بذلك.

فصَحِبَني في الطَّريق شَلْحٌ من شُلُوحِ الأعراب[٤]، فسألني عن أمري، فأَنِسْتُ به، وحدَّثتُه الحديثَ، وكنَّا قد قَرُبنا من رأسِ عينٍ، فدخلناها، وافترقنا.

---

(١) (أبو القاسم) في (ر، ن): (إبراهيمُ بنُ عليٍّ).

(٢) (عَبّاس بن عَمرو السّلمي) في (ض): (عياش بن عمران).

(٣) في (ر): (العين). ورأس **عين**: هكذا ذكرها ياقوت، وقال: ويقال: رأس العين، وهي مدينةٌ كبيرةٌ مشهورةٌ من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودنيسر، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخاً، وتعرف أيضًا بعَين وَردَة. ينظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢١٢)، و«معجم البلدان» (٣/ ١٤) و(٤/ ١٨٠).

(٤) (شلح من شلوح) في (ض): (شيخ من شيوخ)، وعلى هامشها نسخة: (شلح).
وشُلُوح الأعراب: لصوصهم الذين يشلِّحون الناسَ ويسرقونهم. قال الأزهري: سمعتُ أهلَ السَّوَاد يقولون: شُلِّحَ فلانٌ: إذا خَرَجَ عليه قطَّاعُ الطَّريق فسَلَبوه ثيابَه وعرَّوه. قال: وأحسبها نَبَطيَّة. ينظر: «تاج العروس» (ش ل ح: ٦/ ٥١٠)، و«معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية» (٤/ ٢٦٦).

وصارَ يجيئني ويُراعِيني، ويُظهِر لي أنَّه يُسَلِّمُ عليَّ، وأنَّه يَبَرُّني بالقَصدِ، ويسألني عن حالي، فأخبَرتُه أنَّ الأميرَ(١) قَبِلَ هديَّتي، وأجازَ لي بألفِ دِرهَمٍ وثيابٍ، وأنِّي أُرِيدُ الخُروجَ في يوم كذا وكذا.

فلمَّا كانَ ذلك اليَوم خرجتُ عن البَلَدِ راكِبًا حمارًا، فلمّا أَصْحَرتُ(٢) إذا بالشَّلْح(٣) على دُوَيبةٍ له ضَعيفَةٍ، مُتَقَلِّدًا سَيفًا، فحين رأيتُه استربتُ به وأنكرتُه، ورأيتُ الشَّرَّ(٤) في عَينَيهِ، **فقلت**: ما تصنع هَاهُنا؟

فقال: قد قضيتُ حوائجي، وأريدُ الرُّجوعَ، وصُحبَتُك عندي آثَرُ من صُحبَةِ غَيرِك.

فقلت: على اسمِ الله تعالى.

وما زِلتُ مُتَحَذِّرًا مِنهُ، وهو يجتَهدُ(٥) أن أدنوَ منهُ وأُؤَانِسَه، فلا أفعلُ، وكلَّما دنا منِّي بَعَّدتُ عنهُ، إلى أن سِرنا شيئًا كثيرًا، وليسَ معنا ثالثٌ، فقَصَّر عنِّي، فحَثَثْتُ الحمارَ لأفوتَه، فما أحسستُ إلَّا بِرَكْضِه، فالتفتُّ فإذا هو قد جرَّد سَيفَه وقَصَدَني، فرميتُ بنفسي عن الحمارِ وعَدَوتُ.

فلمَّا خافَ أن أفوتَه صاحَ: يا أبا القاسِمِ، إنَّما مَزَحتُ معكَ، فَقِفْ. فلم ألتفِتْ إليهِ(٦)، وزاد في التحريك.

---

(١) في (ض، ل) زيادة: (عياش).

(٢) أي: صرت بالصحراء. ينظر: «مختار الصحاح» (ص ح ر).

(٣) في (ض، ل): (لي فلمَّا صرتُ خارجَ البلدِ إذا أنا بالشيخ - ل: بالشلح-).

(٤) (ورأيت الشر) في (ض، ل): (وأيقنت بالشر).

(٥) (متحذرًا مِنهُ، وَهو يجتَهد) في (ض، ل): (منحدرًا وهو يجتهد إليَّ).

(٦) في (ض، ل) زيادة: (فقرع دابته).

وظهر لي ناووسٌ[1] فطلبته، وقد كاد الأعرابيُّ يلحق بي، فدخلتُ الناووسَ فوجدتُه مظلمًا فوقفت وراءَ بابه.

قال: ومن صِفاتِ تلك النَّواويسِ أنَّها مَبنيَّةٌ بالحجارةِ، وبابُ كلِّ ناووسٍ حَجَرٌ واحِدٌ عظيمٌ، قد نُقِرَ، وحُفِّفَ[2]، ومُلِّسَ، فلا تستمكنُ اليدُ منهُ، وله في وجهِهِ حَلْقَةٌ، وليسَ له من داخله شيءٌ تتعَلَّق اليدُ به، وإنَّما يُدفعُ مِن خارِجِه فينْفَتِحُ، فيُدخَلُ إليه، وإذا خُرِجَ مِنهُ وجُذِبَتِ الحَلْقَةُ انْغَلَقَ البابُ، وتمكَّن هِنْدَامُهُ[3] من وَرائه، فلَم يُمكن فَتحه من داخل أصلًا.

قال: فحين دخلتُ الناووسَ وقفتُ خلفَ بابِه، وجاء الأَعرابيُّ فَشَدَّ دابَّتَه في حَلْقَة البابِ، وَدخلَ يُريدني مُختَرِطًا سَيفَه[4]، والناووسُ مظلمٌ، فَلَمْ يَرَنِي، ومَشَى إلى صدرِ الناووسِ يتلمَّسُ[5]، فَخرجتُ أنا من خلفِ البابِ وجَذَبْتُه، ونفَرَتِ الدَّابَّةُ فجَذَبَتْهُ معي، حتَّى صارَ البابُ مَرْدُومًا، وحصَّلتُ[6] الحلقةَ

---

(١) (وظهر) في (ض، ل): (ورُفِعَ).
الناووس: مقبرة النصارى. ينظر: «لسان العرب» (ن و س: ١٦/ ٥٨٦).

(٢) **حُفِّفَ:** قُشِرَ. ينظر: «تاج العروس» (ح ف ف: ٢٣/ ١٥٣).

(٣) في المطبوع: (هذا)، وهو تصحيف. وفي (ج، ش): (إِرْدَامُهُ). **والهِنْدَامُ:** كلمةٌ فارسيَّة، وهو أن يلتصقَ الشيءُ بآخَرَ فلا يمكن تحريكُه من غير أن يُلْصَقَ أو يُلْحَمَ بلحامٍ. ينظر: «مفاتيح العلوم» (ص: ٢٧٣).
وأما «**إردام**» فلم نجده في كتب اللغة، إنما يقال: رَدَمَ البابَ والثُّلمَةَ يَردِمُه رَدْمًا: سَدَّه. ينظر: «المحكم» (ر د م: ٩/ ٣٢٦)، و«لسان العرب» (ر د م: ١٢/ ٢٣٦).

(٤) (مخترطًا سيفه) ليست في (ض، ل).

(٥) (يتلمس) ليست في (ر).

(٦) قوله: (فجَذَبَتْه... وحصّلتُ) في (ض، ل): (بخروجي فأعانتني، فانطبقَ البابُ وانردَمَ، وجعلتُ).

في زِرَّةٍ هُناكَ[1]، وحَلَلْتُ الدَّابَّةَ[2].

وجاء الأعرابيُّ إلى باب الناووسِ فرأى الموتَ عِيانًا، **فقال**: يا أبا القاسِم، اتَّقِ الله في أمري، فإنَّني أتلَفُ.

فقلت: تتلفُ أنتَ أهون عليَّ من أن أتلفَ أنا.

قال: فأَخرِجْني، وأُعطيك أمانًا. واسْتَوْثِقْ منِّي بالأَيْمانِ، بأن لا أتعرَّضَ[3] لك بسوءٍ أبدًا، واذكُر الحُرمَةَ التي بيننا.

فقلتُ: لم تَرْعَها أنتَ، وأيمانُك فاجرةٌ لا أَثِقُ بها في تَلَفِ نفسي.

فأخذ يُكَرِّرُ الكلامَ، **فقلت**: لا تَهْذِ، هو ذا أركبُ دابَّتَكَ، وأُجَنِّبُ حماري، والوعدُ بعد أَيّام بيننا هاهنا، فلا تَبرَحْ حَتَّى أجيءَ، وإن احتجتَ إلى طَعامٍ فَعَلَيكَ بجِيَفِ العُلُوجِ، فَنِعْمَ الطَّعامُ لك. وأخذتُ ألهو به في مثل هذا القَولِ، وأخذ يبكي ويستغيثُ، ويقول[4]: قتلتني واللهِ.

فقلتُ: إلى لعنة الله عَزَّوَجَلَّ، وركبتُ دابَّته، وجنبتُ حماري، ووجدتُ على دابَّته خُرْجًا فيهِ ثيابٌ يسيرَةٌ، وجئتُ إلى نَصِيبِينَ فَبِعتُ الثّيابَ، وكانَت دابَّتُه

(١) **الزِّرَّةُ**: حديدةٌ تُجعَلُ فيها الحلقةُ التي تُضْرَبُ على وجهِ البابِ لإغلاقه. ينظر: «لسان العرب» (ز ر ر: ٤/ ٣٢٢).

(٢) في (ف، ن) زيادة: (وركبتها).

(٣) (بأن لا أتعرض) في (ض، ل): (بالأيمان أني لا أعرض).

(٤) في (ض، ل): (ويصيح).

شهباءَ، فصبغتُها دهماءَ وبعتُها[(١)]؛ لِئَلا يُعرَفَ صاحبُها فأطالَبَ بالرَّجُلِ، واتَّفَقَ أن اشتَراها رجلٌ غريبٌ مجتازٌ، وكُفِيتُ أمرَه، وانكتمتِ القِصَّةُ.

فلمَّا كانَ بعد أكثرَ من سنةٍ عَرَضَ[(٢)] لي خُروجٌ إلى رأسِ العين[(٣)]، فخرجتُ في تلكَ الطَّريق، فلمَّا لاحَ لي الناووسُ ذكرتُ الشَّلْحَ والقصَّةَ، فجدَّدتُ الشكرَ لله تعالى على خلاصي منه وغنيمتي مالَه[(٤)]، **فقلت**: أَعدِل إلى الناووس وأنظرُ إلى ما صارَ أمرُه.

فجئتُ إليه فإذا بابُه كما تركتُه، ففتحتُه، ودخلتُ فإذا أنا بالأعرابيِّ قد صار رِمَّةً[(٥)]، فحَمِدتُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ على السَّلامَةِ، ثمَّ حرَّكتُه بِرجْلي، **وقلتُ على سَبيل العَبَثِ**: ما خبركُ يا فلان؟ فإذا بِصَوتِ شيءٍ يتخَشْخَشُ، ففَتَّشْتُه، فإذا هِمْيانٌ[(٦)] قد كان على وسطِه، فأخذتُه، وأخذتُ سيفَه، وخرجتُ ففتحتُ الهِمْيان فإذا فيه خمسُ مئَةِ دِرهَمٍ، وبعت السَّيف بعد ذَلِك بجملة دراهم، **وقلتُ**: بِرُّ اللهِ أقربُ لي من بِرِّ عبَّاسٍ[(٧)]، وأَغْنَى عن سؤاله، وعُدْتُ[(٨)].

---

(١) **الشُّهبة**: البياضُ الغالبُ على السَّوادِ. **والدُّهمة**: السواد. ينظر: «مختار الصحاح» (ش هـ ب، د هـ م).

(٢) (عرض) في (ض، ل): (قلَّ ما بيدي وساءت حالي فعرض).

(٣) كذا في النسخ في هذا الموضع، وقد سبق أن الأصحَّ: رأس عين.

(٤) قوله: (والقصة فجددت... ماله) ليس في (ر).

(٥) **الرِّمَّةُ**: العظَامُ الباليةُ. ينظر: «مختار الصحاح» (ر م م).

(٦) **الهِمْيَانُ**: كِيسٌ يُجعَلُ فيهِ النَّفَقَةُ ويُشَدُّ على الوَسَطِ. ينظر: «المصباح المنير» (هـ م ن).

(٧) وهو عبَّاس بن عمرو أمير ديار ربيعة، وقد سبق ذكره (٤/ ٥٥).

(٨) قوله: (دراهم، وقلتُ... وعُدْتُ) ليست في النسخ، وهي من (ل، ض، غ). ينظر: «تحفة المجالس» للسيوطي (ص: ٢٤٢). تركه للأعرابي حتى يتلف ،وأخذ ماله غنيمة مما لا ينبغي.

[٨: ١٦] [أبو القاسمِ العَبْقَسيُّ الشاعرُ ينجو من لصوصٍ أرادوا قتلَه]

حدَّثني أبو القاسِم عبدُ الله بنُ محمَّدِ بن الحسن[١] العَبْقَسِيُّ الشَّاعر، قال: كانَ لأبي مملوكٌ يُسمَّى مُقبِلًا، فأَبَقَ مِنهُ، ولم يَعرِفْ له خَبَرًا سِنينَ كثيرَةً[٢]، ومات أبي وتغرَّبْتُ عن بلدي، ووقعت إلى نَصِيبينَ، وأنا حَدَثٌ حين اتَّصَلَتْ لحيتي، فأنا مجتازٌ يومًا في سوق نَصِيبين[٣] وعليَّ لِباسٌ فاخرٌ، وفي كمِّي منديلٌ فيهِ دراهِمُ كثيرةٌ، حتَّى رَأَيت غلامنا مُقبلًا، فحين رآني انكبَّ على يدي يُقَبِّلُهما، وأظهر سُرورًا شديدًا بي، وأَقبلَ يسألني عن أبي وأَهلِنا، فأُعَرِّفُه بموتِ مَن ماتَ، وخَبَرِ مَن بقي.

ثمَّ قال لي: يا سيِّدي، متى دخلتَ إلى هَاهُنا[٤]، وفي أيِّ شيءٍ وردتَ؟ فعرَّفتُه، فأخذ يعتَذِرُ من هَرَبِه منَّا، **ثمَّ قال**: أنا مستوطنٌ هَاهُنا، وأنت مجتازٌ، فَلَو أنعَمتَ عليَّ وأجبتَ دعوتي.

---

(١) في (ض، ل): (عبيد الله بن محمَّد بن الحَسَن). والمثبت موافق للمواضع الأخرى التي ورد فيها، وقد سبقت ترجمته (٣/ ٤٦).

(٢) (سنين كثيرة) في (ض، ل): (عدة سنين).

(٣) قوله: (وأنا حدث... نصيبين) ليس في (ض، ل).

(٤) قوله: (فأُعَرِّفُه... إلى هَاهُنا) ليست في (ض، ل).

فاغتررتُ بِهِ؛ للصِّبا، ومضيت معه حتَّى بلغَ بي إلى آخرِ البَلَدِ إلى دور خرابٍ، ثمَّ انتهى إلى دارٍ عامرةٍ مُغلَقةِ الباب، فدقَّه، فَفُتِحَ له، فَدخل وَدخلتُ.

فحين حصلتُ في الدِّهْلِيز أغلقَ البابَ بِسُرعَةٍ واستوثقَ منه، فأنكرت ذلك في نفسي، ودخلتُ الدّارَ فإذا بثلاثينَ رجلًا بالسِّلاحِ، وهم جُلوسٌ على بارِيَّةٍ، فلم أَشُكَّ في أَنَّهم لصوصٌ، وأيقنتُ بالشَّرِّ.

وبادرني أحدُهم فلطمني، **وقال**: انزَعْ ثيابَكَ، فطرحتُ كلَّ ما كانَ عليَّ، [ر/١١٠] حتَّى بقيت بِسَراوِيلَ، فحَلُّوا الدَّراهِمَ الَّتي كانت في منديلي، وأَعطَوا مُقبلًا منها شيئًا، **وقالوا**: امْضِ فهاتِ بهذا ما نأكلُه ونَشرَبُه.

فتقدَّمَ مُقبلٌ وسارَّ واحِدًا منهُم، **فقال له مجيبًا يُظهِرُ الكلامَ**[1]: وأيُّ شيءٍ يفوتُنا من قتلِه؟ امْضِ فجِئْنا بما نأكُلُه ونشربه فإنَّا جياعٌ.

فلمَّا سَمِعتُ ذلك كِدْتُ أموت جَزَعًا، **فقال لهم مُقبِلٌ مُظهِرًا للكلام**: ما أذهبُ، أو تقتلوه.

فقلت لهم: يا قوم، ما ذَنبي حتَّى أقتل؟ قد أخذتُم ما معي، ولستُمْ تَرِثوني إذا قتلتموني، ولا لي حالٌ غيرَ ما أخذتموه، فاللهَ اللهَ فيَّ[2]. ثمَّ أقبلتُ أَستَعطِفُ مُقبلًا، وهو لا يُجِيبُني، **ويقول لهم**: إنَّكُم إن لم تقتلوه حتَّى يُفلِتَ، دَلَّ السُّلطانَ عَلَيكُم، فتقتلون كلُّكُم.

---

(١) (يظهر الكلام) ليست في (ر).

(٢) (فيَّ) في (ض، ل): (في دمي).

قال: فوثَبَ إليَّ أحدُهم بسيفٍ مسلولٍ، وسَحَبَني منَ الموضعِ الَّذي كنتُ فيهِ إلى البالوعةِ[1]؛ ليَذْبَحَني، وكانَ بقُربي غُلامٌ أَمرَدُ، فتعلَّقتُ به، وقلتُ: يا فتى، ارْحَمني وأَجِرْني، فإنَّ سِنَّكَ قريبٌ من سِنِّي، واسْتَدْفِعِ البلاءَ من الله تعالى بخلاصي.

فوَثَبَ الغُلامُ وطرحَ نفسَه علَيَّ، **وقال**: والله لا قُتِلَ وأنا حَيٌّ. وجرَّد سَيفَه، وقامَ أستاذُه لقيامه، **وقال**: لا يُقتَلُ مَن أجارَه غلامي.

واختلفوا، فصارَ مع الغُلام وأستاذِه جماعَةٌ مِنهُم، فانتزعوني، وجعلوني في زاويةٍ من البيت الَّذي كانوا فيه، ووَقَفُوا بيني وبين أصحابهم.

فقال لهم رئيسُهم: كُفُّوا عن الرَّجُلِ إلى أن نَنظُرَ في أمره.، وشَتَمَ مُقبِلًا، **وقال له**: امْضِ، فهاتِ ما نأكلُه، حتَّى نأكلَ قبلَ كلِّ شَيءٍ، فإنَّا جياعٌ، وليسَ يَفُوتُنا قَتْلُه إن اتفقنا عليهِ.

فَمَضَى مُقبِلٌ، وجاءهم بمأكولٍ كثيرٍ، فجلسوا يأكُلونَ، وتركَ جماعَةٌ منهمُ الأكلَ؛ حراسةً لي، لِئَلَّا يغتالَني أحدُهم إذا تشاغلوا بالأكلِ.

فلمَّا أكلوا، انفَردَ بعضُ مَن كانَ يتعصَّبُ لي بحراستي، وأكل مَنْ لم يكن أكل منهم.

ثمَّ أَفْضَوا إلى الشُّرب[2]، **فقال لهم مُقبِلٌ**: الآن قد أكلتُم، وتَرْكُ هذا يُؤَدِّي إلى قَتلِكُم، فدَعُوا الخلافَ في أمرِه واقتلوه.

---

(١) في (ض، ل): (البَلاعَةِ).

(٢) في (ف): (الشراب).

فَوَثَبَ من يُريد قتلي، ووَثَبَ الغُلامُ ومَنْ معه للمنع[1] عنِّي، وطالَ الكلام بينهم، وأنا في الزاوية، وقد اجتمع عليَّ مَن يمنَع عن قَتلي، فصرتُ بينهم وبين الحائِط، إلى أن جرَّدَ بعضُهم السيوفَ على بعضٍ.

فقال لهم رئيسهم: هذا الَّذي أنتُم فيهِ يُؤَدِّي إلى قتلكم، وقد رَأَيتُ رأيًا فلا تخالفوه.

فقالوا: ما تأمرنا؟

فقال: أَغْمِدُوا السِّلاحَ، واصْطَلِحوا، ونَشرَبُ إلى وقتٍ نُريدُ أن نخرجَ من هذه الدَّارِ، ثمَّ نَكتِفُه، ونَسُدُّ فاهُ، ونَدَعُه في الدَّار ونَنْصَرِف، فإنَّهُ لا يتَمَكَّن من الخروج وراءَنا والصياحِ علينا، وإلى أن نُصبِحَ من غدٍ نكون قد قَطَعْنا مفازةً[2]، ولا يجرحُ بعضكُم بَعضًا، ولا تتفرَّقُ كلمتُكم.

فقالوا: هذا صوابٌ. وجلسوا يشربون.

[ص/ ١٦٤] وجاء الغُلام ليشربَ معهم، **فقلت له:** اللهَ اللهَ فيَّ، تمِّمْ ما قد عَمِلتَ من الجميل[3] ولا تشربْ معهم، واحْرُسْني لِئَلَّا يَثِبَ عليَّ أحدٌ منهُم على غَفلَةٍ[4] فيَضرِبَني ضَربَةً يكون فيها تَلَفُ نفسي، ثمَّ لا تتمكَّنُ أنت من ردِّها، ولا يَنفَعني أن تقتُلَ قاتِلي.

---

(١) في (ف): (للدفع).

(٢) (قد قطعنا مفازة) في (ض، ل): (نكون على بلادٍ).

(٣) (من الجميل) ليست في (ض، ل).

(٤) (على غَفلَة) في (ض، ل): (خلسة).

فرَحِمَني، **وقال**: أَفْعَلُ. ثمَّ **قال لأستاذه**: أُحِبُّ أن تتركَ شُربَكَ اللَّيلَةَ، وتفعل كما أفعل. وجاءا جميعًا فجَلَسا قدَّامي، وأنا في الزاويةِ أتوقَّعُ الموتَ ساعةً بساعة.

إلى أن مضى من اللَّيل قِطعَةٌ، وقامَ القَومُ[1] فتحزَّموا ولَبِسُوا ثيابَهم، وخرجوا، وبقي الغُلامُ وأستاذُه، **فقالا**: يا فتى، قد علمتَ أنا قد حقنَّا[2] دمَكَ، فلا تكافئنا بقبيحٍ، وهو ذا نخرجُ، وما نستحسنُ أن نَكْتِفَكَ، فاحذَرْ أن تصيحَ.

فأخذتُ أُقَبِّلُ أيديَهما وأرجُلَهما، **وأقول**: أنتُما أَحْيَيْتُماني بعد[3] الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكيف أُكافِئُكُما بالقبيح!

فقالا: قُم معنا. فَقُمتُ، ففَتَّشْنا الدَّارَ حتَّى عَلِمْنا أنَّه لم يختبئ فيها أحدٌ يريد قتلي.

ثمَّ قالا لي: قد أَمِنتَ، فإذا خرجنا فاستوثِقْ من البابِ ونَمْ وراءَه، فليسَ يكون إلَّا خيرًا. وخَرَجَا.

فاستوثقتُ من غَلَقِ البابِ، ثمَّ جَزِعتُ جَزَعًا عظيمًا، ولم أشكَّ في أنَّه يخرجُ من تحت الأرض منهم مَن يقتلني، وزاد علَيَّ الفَزَعُ، فأقبَلتُ أمشي في الدّار، وأدعو، وأسبِّحُ، إلى أن كدتُ أتلَفُ إعياءً، وأَنِستُ باستمرارِ الوقتِ على السَّلامةِ، وحَمَلَتْني عَيني فَنِمتُ، فلم أحسَّ إلَّا بالشمس وحرارتها على باب البَيتِ[4].

---

(١) قوله: (مضى... القَوم) في (ض، ل): (صليت العتمة ونام الناس).

(٢) (أنا قد حقنا) في (ر): (أنَّا خلَّصْنا).

(٣) (أحييتماني بعد) في (ل): (خلصتماني وأحييتماني بإذن).

(٤) (على باب البيت) ليست في (ض، ل).

فَقُمتُ، وخرجت أمشي وأنا عُريانٌ بسروايلي[1]، إلى أن حصلتُ في الموضع الَّذي كنت أسكنُهُ، وما حدَّثتُ أحدًا بهذا الحديث مُدَّةً؛ لبَقيَّةِ الفَزعِ في قلبي[2].

ثمَّ بعد انقِضاءِ سنةٍ أو قريبٍ منها، كنتُ يومًا عند صاحب الشرطة بنَصِيبين؛ لصداقةٍ كانَت بينَه وبينَ أبي، فلم ألبَثْ أن حَضَرَ مَنْ عرَّفَه عُثُورَ الطُوَّفِ على جماعَةٍ من اللُّصوص، بقريةٍ -سَمَّاها- من قُرى نَصِيبين، وَقَبْضَه على سَبعَةِ نفرٍ مِنهُم، وفوتَ الباقينَ، فأمر بإحضارهم.

فوقع بصري منهُم على ذلك الغُلامِ الَّذي أجارني ذلك اليَوم، وعلى أستاذه، ثمَّ على مُقبِلٍ، فحين رَأَيتهم أخذتني رعدةٌ تبيَّنَتْ فيَّ، وأخذ مُقبِلٌ من بَينهم مثلَ ما أَخَذَني.

فقال لي صاحبُ الشرطة: ما لك؟

فقلت: إنَّ حديثي لطويلٌ، ولَعَلَّ الله تعالى أرادَ بحضوري هذا المجلسَ سَعادَةَ نَفَرٍ وشقاوةَ نَفَر.

فقال: هات.

فاقْتَصَصْتُ عليهِ قصَّتي مع القوم إلى آخرها، فتعجَّبَ، **وقال**: هلَّا شَرَحْتَها لي فيما قبلُ حتَّى كنتُ أطلُبُهم وأنتَصِفُ لك مِنهُم.

فقلت: إنَّ الفَزعَ الَّذي كانَ في قلبي منهُم لم يَبسُطْ عن لساني به.

---

(١) (وأنا عريان بسراويلي) في (ض، ل): (عريانًا بسراويل).

(٢) هنا انتهت القصة في (ض، ل، ف) وتتمَّتُها من (ر، ن).

فقال: فمن الَّذي كانَ معك من هَؤُلاءِ؟

فقلت: هذا الغُلامُ وأستاذُه، وواحِدٌ من الباقينَ. فأمر بِحَلِّ كِتافِهِم، وتمييزهم من بين أصحابهم، ودعا بمُقبِلٍ، **فقال له**: ما حَمَلَك على ما فعلت بابن مولاك؟

قال: سوءُ الأصلِ، وخُبْثُ العِرْق.

فقال: لا جَرَمَ تقابَلُ بفعلك. وأَمَرَ به فَضُرِبَ عُنُقُه، وأعناقُ أَصحابه الباقينَ، ودعا بالغلامِ وأستاذِه وصاحِبِهما، **وقال لهما**: لقد أحسنتما في فِعْلِكُما ودَفْعِكُما عن هذا الفَتى، فالله يجزيكما عن فعلكُما الخيرَ، فتوبا إلى الله مِن فعلكما، وانْصَرِفَا في صُحبَةِ الله مع صاحبكما، ولا تعودا إلى ما أنتُما عليهِ من التلصُّصِ، فقد مَنَنْتُ عليكُما لحُسنِ صنيعكما بهذا الفتى، فإن ظَفِرتُ بكما ثانيًا أَلْحَقْتُكما بأصحابكما.

فتابا وصاحِبُهما، وشكروا له ودَعَوا وانصَرفوا. وشَكَرتُه أنا أيضًا على ما فعل، والحمدُ لله على توفيقي لقَضاءِ حقِّ مَنْ أجارني، والانتقامِ ممَّن ظَلَمَني.

ثمَّ صار ذلك الغُلامُ وأستاذُه من أصدقائي، وكانا يختلفانِ إليَّ، **ويقولان**: قد أَقْبَلْنا على حِرَفِنا في السُّوقِ، وتَرَكْنا التلصُّصَ(١).

---

(١) ينظر: «تحفة المجالس» (ص: ٢٤٤- ٢٤٦).

[٨: ١٧] [تاجرٌ مسلمٌ ينجو من يدِ لصٍّ هنديٍّ أرادَ قتلَه][(١)]

حدَّثني أبو الحسن محمَّدُ بنُ عمرَ بنُ شُجاعٍ، المتكلِّمُ البغداديُّ، ويُعرَف بجُنَيدٍ، **قال:** حدَّثني صديقٌ لي قال: رأيت بالهند قومًا، يُقال لهم: الحنَّاريَّة[(٢)]، يأكُلون الميتَةَ، يتقذَّرُهم جميعُ أهلِ الهندِ، وعندهم أنَّهم إذا لامسوهم تنجَّسُوا.

قال: فهم يمشونَ وفي أعناقهم طبولٌ يُطَبِّلُون بها؛ يسمع أصواتَها النّاسُ، فيتنحَّون عن طريقهم، فإن لم يَتَنَحَّ الرجلُ عند سماعِ الطبلِ فلا شَيءَ على الحنَّاري، وإن لم يضرب الحنَّاريُّ بالطبل حتَّى يلاصِقَ جسدُه جَسَدَ غَيرِه؛ قتلَه الَّذي لَصِقَ جسدُه به، ولا يُعدَى عليه؛ لأنَّ هذا هو شرطُهم وسنَّتُهم.

قال: ولا يشرب أحدٌ من ماء هؤلاءِ الحنَّارِيَّة، ولا يأكلُ من طعامِهم، ولا يخالطهم، فهم ينزلون في ظاهر البَلَدِ مُنفَرِدِين في ناحيةٍ. **قال:** وهم أَرْمَى النّاسِ، ومعاشُهم من الصَّيد.

---

(١) هذه القصة ليست في (ل)، وهي مثبتة من (ف، ر، ن، ح)، لكن وردت في (ر، ن، ح) آخرَ الباب، وفي (ض) هي ضمن القصص الملحقة آخر المخطوط ورقة رقم (٢٢٤).

(٢) في (ف) (الجبارية)، وفي (ض): (الخبارية)، وفي المطبوع: (الجناذية) وكذلك في المواضع التالية.

قال: وهناكَ قومٌ، يقال لهم: البانوانيَّة، يَجْرُونَ مَجْرَى المُسْتَقْفِين هاهنا[1]، والسُّلطان يطلبهم -فإذا عرفهم وظَفِرَ بهم قتَلَهم- كما يُطلَبُ اللُّصوصُ والعيَّارون والمُسْتَقْفُون هاهنا. **قال**: وهم يصطادون النَّاسَ، لا يَعرِضُونَ لغير ذلك.

قال: والواحد مِنهُم يتبع التُّجّار الَّذين يَطْرَؤون إليهم من المسلمين والذمَّة، فإذا رأى الواحِدُ منهُم رجلًا[2] من التُّجَّار في طَرِيقٍ خالٍ قَبَضَ عليهِ، فحين يقبض عليه قد علم الرجل بأمره فيسكتُ؛ لأنَّه إن استَغاثَ أو نطقَ قَتَلَه البانوانيُّ[3]، وقتل نفسَه في الحال، لا يُبالي بذلك؛ لاعتقادهم المشهور في أمر القَتل، فيراهم النَّاسُ قد أخذوا الرجلَ فلا يَعرِضُون لتخليصه؛ لِئَلَّا يقتلوه.

ويقولُ لهم الرجلُ المأخوذُ: اللهَ اللهَ، إن عارضتموه. ولا يتمكَّنُ سلطانٌ ولا غيرُه من انتِزاعِه من أيديهم في تلكَ الحال؛ لِئَلَّا يَعجَلَ بقتله.

قال: فأخبرني رجلٌ بالهِندِ أنَّ رجلًا من البانوانيَّة قبض في طريق سَفَرٍ على رجلٍ لقيه منفردًا من التُّجّار، فقال له: اشترِ نَفسكَ. فتوافَقَا على أن يَشتَرِيَ نفسَه منه بألف دِرهَمٍ.

قال: فقال له التَّاجر: تعلمُ أنِّي خرجتُ ولا شَيءَ معي، ومالي في البَلَد، فَتَصيرُ معي إلى داري في البلد لأُؤَدِّي إليك ذلك.

---

(١) **المستقفون**: طائفة من اللصوص يأتون من جهة القفا ويسرقون الثياب من الناس. ينظر: «تاريخ بغداد» (٧/ ٣٧٨).

(٢) في (ف): (الواحد).

(٣) في (ف): (الهندي).

قال: فأجابَهُ إلى ذلك، وقبض عليهِ بيدِهِ، ولم يزل يمشي معه، فاجتازا في طريقهما بقريةٍ من الحنَّاريَّة وطريقهما[1] في سِكَّة مِنها، فسلكاها، فحين حصلا فيها فطِنَ التّاجِر للحيلَة في الخلاص، وقد كان عَرَفَ مذهبَ الهندِ في الحنَّاريَّة، فلم يزل يمشي معه حتَّى رأى بابًا مفتوحًا من دور الحنَّاريَّة، فجذب يده بحميَّةٍ شديدَةٍ من يَدِ البانوانيِّ، وسعى فدخلَ دار الحنَّاريِّ.

فقال له: ما لك؟

فقال: أنا مستجيرٌ بك من يد بانوانيٍّ قد صادني فهربتُ مِنهُ.

فقال: لا بأس عليك، فاجلس.

قال: فصاحَ البانوانيُّ: يا حنَّارِيّ، يا حنَّاريّ، اخرُج إليَّ. قال: وهم لا يدخلونَ دورَ الحنَّاريَّة أصلًا؛ لاستقذراهم إيَّاهُم.

قال: فخرج، فوقفَ، وبينهما عرضُ الطَّريق، لا يجوز أن يدنوَ أحدُهما من صاحبه.

فقال له البانوانيُّ: أعطِني صاحبي.

فقال: قد استجارَ بي، فهَبْهُ لي.

قال: لا أفعلُ، هذا رزقي، وإن لم تُعْطِنيه لم نَدَعْ في القرية حنَّاريًّا إلَّا قتَلناهُ.

قال: وطالَ الكلامُ بينهما، إلى أن **قال له الحنَّاريُّ:** أُسَلِّمُه إليك في الصَّحراء، فامضِ واسْبِقْنِي إلى الموضع الفُلاني.

---

(١) (بقريةٍ من الحنَّاريَّة وطريقهما) ليست في (ف).

قال: فمضى. ودَخَلَ إلى الرجلِ، فقال له: اخرج فلا بأسَ عليك، فخرجَ معه، وأخذ الحنَّاريُّ قوسَه، وخمسين نُشَّابةً[1]، قال: ونُشَّابُهم من القَصَبِ.

قال: فعَلِقَ التاجِرُ المُسلِمُ بكمِّ الحنَّاريِّ، ولَصِقَ بِهِ؛ عِلْمًا منهُ بأنَّ البانوانيَّ لا يدنو منهُ.

فلمَّا صاروا في الصَّحراءِ؛ قال **الحنَّاريُّ للبانوانيِّ**: تَهَبُهُ لي، واجْتَهِدْ به. فلم يفعل.

قال: فإنِّي لا أسلِّمُه أو لا يبقى لي سلاحٌ.

فقال: شأنَكَ وما تريد.

قال: والحنَّاريَّةُ لا يُخطِئُون البتَّةَ في الرمي، ففَوَّق نحوه سَهمًا، فحين أطلقهُ تَلَقَّاهُ البانوانيُّ بجَرِيٍ كانَ معه، والجَريُ[2] آلةٌ من السِّلاح عندهم معروفَةٌ، فاعترضَ السَّهمَ به فَقَطعه باثنين[3]، وسَلِمَ منه. فتحيَّرَ الحنَّاريُّ.

قال: ولم يزل يرميه بنُشَّابةٍ نُشَّابةٍ حتَّى ذهب النُّشَّابُ، فلم[4] يبقَ معه إلَّا اثنَتانِ.

فضَعُفَتْ نفسُ التّاجِرِ، وأيقنَ بالهلاكِ، وقال للحنَّاريِّ: اللهَ اللهَ في دَمي.

---

(١) في (ف): (وأخذ معه عشرين نشابة). **والنُّشابة**: السَّهم. ينظر: «تاج العروس» (ن ش ب: ٤/ ٢٦٧).

(٢) كذا في (ر، ن، ح)، وفي (ف): (بحربي... والحربيّ).

(٣) في (ف): (فقسمه نصفين).

(٤) في (ف): (يرميه بالنشاب حتى لم).

فقال له البانوانيُّ: لا يقعُ لك أنَّه قد أفْلَتَ، وستفنى سهامُكَ، ثمَّ آخُذُه.

فقال له الحنَّاريُّ: لا تقدرُ على ذلك، وسأُرِيكَ من رَمْيِي ما يُتَحَدَّثُ به أبدًا، انظُر إلى هذا الطّائِرِ الَّذي يطيرُ في السَّماء، كيف أرميه فأَصْرَعُه على رأسك بهذا السهمِ، ثمَّ أرميكَ بالآخر فلا أُخطِئُك.

قال: فرفع[1] البانوانيُّ رأسَه لينظُرَ إلى الطّائِرِ، فَرَماهُ الحنَّاريُّ، فأصاب فُؤادَه، فَخَرَّ صَرِيعًا يضطربُ، ومات.

فقال للتاجِرِ: ارجع الآن آمِنًا. فرجع مع الحنَّاريِّ إلى داره، وأقامَ عنده إلى أن اجتازت بهم صُحبَةٌ، فمضى التّاجِرُ معها، فوصل إلى مَأمَنِه[2].

(١) في (ر): (فأشال).

(٢) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٨/ ٢١٧ - ٢٢١).

[٨: ١٨] [عبَّادٌ يُخَلِّصُ امرأةً من القتل]

وحدَّثني عُثمان بنُ محمَّدٍ السُّلَمي، المعروف بأبي القاسِم الأَصفَر، غُلامُ أبي الحسنِ بنِ عبد السَّلامِ الهاشِميِّ البَصريِّ[١]، قال:

كان عندنا بالمِرْبَد رجلٌ من خَوَلِ[٢] مُحَمَّدِ بنِ سُلَيمانَ الهاشِميِّ، يسمَّى بعبَّادٍ، وكانَ يحمل السِّلاح، فاجتمع يومًا مع قومٍ من الخَوَلِ على شرابٍ لهم، فتجارَوا حَديثَ الشجاعَةِ، فعابُوه بما فيهِ من التَّأنيث، فخاطَرَهُم[٣] في شيءٍ يعمَلُه ممَّا يَفرِضُونه عليه، يُبِينُ به عن شجاعتِه.

فقالوا له: تخرج السّاعَةَ بغير سلاحٍ[٤] إلى صهاريجِ الحجَّاج[٥]، فتدخلُ منها في الصِّهْرِيج الفُلاني، وتُسَمِّرُ في أرضِه هذا الوتدَ، وتَعُود.

---

(١) (غُلام أبي الحسن بن عبد السَّلام الهاشِمي البَصري) في (ض، ل، ف): (قال حدثني أستاذي أبو الحسن إبراهيم بن عبد السلام).
وهو **عثمان بن محمَّد** بن سعيد السلمي البغدادي المغنِّي، ويعرف بأبي القاسم ابن الأصفر، غلام الشريف أبي الحسن إبراهيم بن عبد السلام الهاشمي البصري. ينظر: «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (١٧/ ١٦٣).

(٢) **الخَوَل**: الخَدَمُ والحشَم. ينظر: «المصباح المنير» (خ و ل).

(٣) أي: راهَنَهم. ينظر: «المخصص» لابن سيده (٤/ ١٧).

(٤) (بغير سلاح) ليست في (ض).

(٥) **الصَّهاريج**: جمع صِهْريج؛ وهو حوضٌ يجتمع فيه الماء. ينظر: «مختار الصحاح» (ص هـ رج).

قال القاضي أبو عليٍّ مؤلِّفُ هذا الكتاب: وقد رأيتُ هذه الصهاريجَ وهي على أكثرَ من فَرسَخٍ من البَصرَةِ، في البَرِّيَّةِ، وهي[1] موحشةُ المكان، خاليةٌ، يجتَمع فيها الماءُ، وكانَ الحجّاجُ قد عَمِلَها مادَّةً لشربِ أهلِ المَوسِم والقوافل[2].

نرجع إلى الخبر[3]:

قال: فأخبرني عبَّادٌ، **قال**: خرجتُ وليسَ معي إلَّا وتدٌ ومِطرَقةٌ، حتَّى بلغتُ الصهاريجَ، وحصلتُ على[4] بابِ الصِّهريجِ الَّذي خاطرتُ فيه، وكانَ أَعْظَمَها وأوحَشَها، فدخلتُه، وكانَ جافًّا، وجَلَستُ فضربتُ الوتدَ بالمطرقةِ في أرضه فطَنَّ الصِّهرِيج، وسمعتُ صلصلةً شديدَةً، وصَوتَ سلسلةٍ، فقطعت الدقَّ فانقَطعَ الصَّوتُ، وأعدتُ الدقَّ فعادَ الصَّوت، وظَهَرتْ حَرَكَةٌ معه، وأنا ثابتُ القلبِ، أتأمَّلُ ولا أرى شيئًا من الظلمَة.

[ر/١١١] إلى أن أحسستُ بالحركةِ والصَّوت قد قَرُبا منِّي، فتأمَّلتُ فإذا شخصٌ لطيفٌ لا يشبه قدُّه قامةَ الإنسان[5]، فاستوحشتُ وثبَّتُّ نفسي، فأنا أدقُّ والشخصُ يقرُبُ منِّي حتَّى وَثَبْتُ فألقيتُ نفسي عليهِ، واستوثقتُ مِنهُ، فإذا هو قردٌ في عُنُقه سلسلةٌ، فظَنَنتُ أنَّه قد أفلتَ من قَرَّادٍ أو من قافلةٍ فتغَرَّب هناك[6]، فمَسَحْتُه[7]

(١) (وهي) في (ض، ل): (وقد شاهدتها).

(٢) (لشُربِ) في (ض): (يشرب منها).

(٣) (نرجع إلى الخبر) ليست في (ر، ض، ل)، وهي من (ف).

(٤) (وحصلت على) في (ض، ل): (وبلغت إلى).

(٥) (لا يشبه قدُّه قامةَ الإنسان) في (ض): (شبه قرد قد خلقة إنسان)، وفي (ل، والمطبوع): (لا يشبه قدر خلقة الإنسان).

(٦) (فتغرب هناك) ليست في (ر).

(٧) (فمسحته) في (ض): (فأخذتُه وآنستُه).

فلانَ في يَدي وأَنِسَ، فَأَخَذته على يدي وساعِدِي[١]، وجئت أُريد باب الصِّهرِيج.

فلمَّا بلغتُه سَمِعتُ كلامًا، فَخَشيتُ أن يكونَ بعضَ مَن يطلُبني في العصبيَّةِ هُناكَ، فوقفتُ أستمعُ، فإذا كلامُ امرَأَةٍ مع رجلٍ، وهي تقول له: يا فلان، ويحكَ، أتقتُلُني؟ أتذبحني؟ أتبلغ بي الموت؟ اتَّقِ الله تعالى فيَّ[٢].

وهو يقول لها: الذَّنبُ كُلُّه لكِ، وأنت أَذِنتِ لهم في أن يزوِّجوك، ولو أَبيتِ ما قَدَرَ أبوكِ أن يُزَوِّجَك، وإنَّما فَعَلْتِه مَلَلًا بي[٣]، وأنا تالِفٌ، وأنتِ تتنعَّمِين، واللهِ لأذبَحنَّكِ، اسْتكْتِفِي.

قال: فَنَظَرتُ، فإذا ظَهرُه إلى باب الصِّهْرِيج، فَصِحتُ عليهِ صَيْحَةً عظيمةً، وضربتُ قَفاهُ بالقِرْد، فَفَزِعَ القردُ على نَفسِه فَقَبَضَ على عنقِ الرجل، وتمكَّنَ من ظَهرِه، فوَرَدَ على الرجلِ ما حيَّره وفَزَّعَه، وَذهب بعقلِه، فَخَرَّ مَغشِيًّا عليه، ووقع السَّيفُ من يده فأَخَذتُه، ورأيتُ الحَجَفَةَ مطروحةً هناك[٤] فأخذتُها، وقَصَدتُ الرجلَ، فَثابَ إليه عقلُه، ورمى بالقرد عن ظَهرِه، وسعى هارِبًا.

فقصدتُ المرأَةَ، وحَلَلْتُ كِتافَها، **وقلت لها**: ما قصَّتُكِ؟

---

(١) (فَأَخَذته على يَدي وساعدي) في (ض، ل): (وأخذته على ساعدي).

(٢) في (ض، ل): (ويحك يا فلان، لا تقتلني، أتذبحني وتبلغ بي الموت بغير ذنب؟ ويحك، اتَّقِ الله تعالى).

(٣) (فعلته مللًا بي) في (ض، ل): (فعلتي هذا لهلاكي).

(٤) **الحَجَفَةُ**: نوعٌ من التُّرُوسِ يُصنَع من جلود الإبل. ينظر: «لسان العرب» (ح ج ف: ٩/ ٣٩).

قالت: أنا بنتُ فلانٍ -وذَكَرَتْ رجلًا من أهل المِرْبَدِ- وهذا ابنُ عمِّي، وكانَ يعشقُني، فخطبني إلى أبي، فامتنعَ من تَزويجِه بي(١)، وزوَّجني من رجلٍ غريبٍ، وَدخل بي من شهورٍ، فلمّا كانَ أَمْسِ خرجتُ أنا وجماعةٌ من نساءِ الجيران نَنْظُرُ إلى الصَّحراء وقتَ العَصر، وبَلَغَهُ خبرُنا، فكَبَسَنا في الصحراءِ ومعهُ عدَّةُ رجالٍ بِالسِّلاحِ، فأخذ كلُّ رجلٍ امرَأةً، وانفَرَدَ بها، وحملني هو إلى هذا الصِّهريجِ، ففَجَرَ بي طولَ اللَّيل، فلمَّا كانَ الآن عَزَمَ على قتلي، فأغاثني اللهُ تعالى بك، وما أعرف للنِّسْوةِ الباقياتِ خبرًا.

فقلت: امْشِي، لا بأسَ عليكِ.

فمَشَتْ بين يَديَّ إلى أن دخلتُ البَصرَةَ، فدقَّت بابَ والدِها.

فقال: مَن بالبابِ؟ فكلَّمَتْه، فَفَتَح لها، فَدَخَلَت الدَّارَ، وعُدتُ إلى أصحابي، فحَدَّثْتُهم الحديثَ وأريتُهم القردَ، وخرجنا من الغَدِ فرأَوا الوتدَ، وجئتُ بهم إلى بيت أبي المرأَةِ، فأريتهم إيَّاه(٢)، وأخذتُ خَطَرِي(٣).

---

(١) (يعشقني... تَزويجه بي) في (ض، ل): (يحبني فخطبني إلى أبي فأبى عليه).

(٢) قوله: (وأريتُهم القردَ... فأريتهم إيَّاه) ليس في (ر).

(٣) **الخَطَرُ**: ما يُخَاطَرُ -أي: يُراهَنُ أو يُسابَقُ- عليه. ينظر: «لسان العرب» (خ ط ر: ٤/ ٢٥١).

[٨: ١٩] [إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المُصْعَبِيُّ يريدُ قتلَ بناتِهِ]

حدَّثني عبدُ اللهِ[(١)] بنِ أحمدَ بنِ داسَه البَصري، **قال:** حدَّثني أبو يحيى بنُ مُكَرَّم القاضي البغدادي[(٢)]، **قال:** حدَّثنا[(٣)] أبي، **قال:** كان في جِوَاري رجلٌ يُعرَفُ[(٤)] بأبي عُبَيدَة، حسنُ الأَدَبِ، كثيرُ الرِّوايةِ للأخبار، وكان قديمًا ينادِمُ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ المُصْعَبِيَّ[(٥)].

فحَدَّثني أنَّ إسحاقَ استدعاه ذاتَ ليلَةٍ في نصف اللَّيل؛ **قال:** فَهالَني ذلك وأَفْزَعَني وأَوْحَشَني؛ لما كنتُ أعرفهُ منه من زَعارَّةِ الأخلاق[(٦)]، وشدَّةِ الإسراعِ إلى القَتل، وخفتُ من أن يكون قد نَقَمَ عليَّ شيئًا في العِشرَة، أو بُلِّغَ عنِّي باطِلاً قد أَحْفَظَهُ[(٧)]، فيسرِعَ إلى قتلي قبلَ كَشفِ حالي.

---

(١) في (ض) والمطبوع زيادة: (بنُ محمَّد).

(٢) هو أبو يحيى عبد الله بن إبراهيم بن مكرم البغدادي، ولي قضاء بغداد وفلسطين والرملة ومصر من قبل المقتدر بالله، عاش إلى سنة (٣٤٣هـ). ينظر: «المقفى الكبير» (٧/ ٢٤٦)، و«لسان الميزان» (٤/ ٤٢٠).

(٣) (حدَّثني عبدُ الله بنُ محمَّد... حدَّثنا) في (ر، ن): (وحكى).

(٤) (رجل يعرف) في (ض): (شيخ يكنى).

(٥) كان متولِّي الشرطة ببغداد من أيام المأمون إلى أيام المتوكل، وقد سبقت ترجمته (١/ ٢٨٣).

(٦) **الزعارَّة:** شراسةٌ في خُلُقِ الرَّجُل، لا يكادُ ينقادُ ولا يَلين. ينظر: «العين» (ز ع ر) (١/ ٣٥٢).

(٧) أي: أغضَبَه. ينظر: «لسان العرب» (ح ف ظ: ٧/ ٤٤٢).

فخرجتُ طائِرَ العقلِ، حتَّى أتيتُ دارَه، فأُدْخِلتُ إلى بعض دورِ الحُرَمِ، فاشتَدَّ جَزَعي، وذهب عليَّ أمري. فانتُهِيَ بي إليهِ وهو في حُجرَةٍ لَطيفَةٍ، فسمِعتُ في دِهْلِيزِها بكاءَ امرأةٍ ونَحِيبَها، ودخلتُ فإذا هو جالسٌ على كرسيٍّ، وبيدِهِ سيفٌ مسلولٌ، وهو مُطرِقٌ، فأيقنتُ بالقَتلِ، فسلَّمتُ، ووَقَفْتُ، فرفع رأسَه **وقال**: اجلِسْ يا أبا عُبَيدَة، فسَكَنَ رَوْعِي، وجَلَستُ. [ض/١٦٥]

فَرَمى إليَّ رِقاعًا كانت بين يديهِ، **فقال**: اقرَأ هذه. فقرأتُ جميعها، فإذا رِقاعُ أصحابِ الشُّرَطِ في الأرباع[١]، يُخبِرُهُ كلُّ واحدٍ منهم بخبرِ يومه وما جرى في عمله، وفي جميعِها ذِكرُ كَبْساتٍ وقَعَتْ على نساءٍ وُجِدْنَ على فسادٍ، من بناتِ الوزراءِ والأمراءِ والأجلَّاء، الَّذين قد بادوا وذهبت مَراتِبُهم[٢]، ويستأذنونه في أمرهنَّ.

فقلت: قد وقفتُ -أعزَّ اللهُ الأميرَ- على هذه الرِّقاعَ، فما يأمُرني الأمير؟

---

(١) لما بنى المنصورُ بغدادَ قسَّمها إلى أَرْباعٍ، وفي كلِّ رُبعٍ قاضٍ ومركزُ شرطة، **الربع الأوَّل**: من باب الكوفة إلى باب البصرة وباب المُحَوَّل والكرخ. **الربع الثاني**: من باب الكوفة إلى باب الشام، وشارع طريق الأنبار إلى ربض حرب بن عبد الله، وهو الربع الكبير. **الربع الثالث**: من باب الشام إلى ربض حرب وما اتَّصل به، وشارع باب الشام وما اتَّصل به إلى الجسر على منتهى دجلة. **الربع الرابع**: من باب خراسان إلى الجسر الذي على دِجلة مادًّا في الشارع على دِجلة إلى البغيين وباب قطر بن هشام. ينظر: «البلدان» لليعقوبي (ص: ٢٩ - ٣١)، و«معالم بغداد الإدارية والعمرانية» (ص: ١٨٢).

(٢) قوله: (وجدن على... مَراتِبُهم) في (ض، ل): (من بنات وزراء أجلَّاء، ورؤساء وأمراء وكبراء ممَّن قد بادَ، وذهبت مرتبته).

فقال: ويحك يا أبا عُبَيدَة، إنَّ هؤلاءِ الناسَ الَّذين ذُكِرَ حالُ بناتِهم كلَّهم كانوا أجلَّ منِّي، أو مِثْلي، وقد أفضى بهمُ الدَّهرُ في حُرَمِهم إلى ما قد سَمِعتَ، وقد وقع لي أنَّ بناتي بعدي سيبلُغْنَ إلى هذا المبلغَ، وقد جمعتهنَّ، وهنَّ خمسٌ، وجعلتهنَّ في هذه الحُجرَة؛ لأقتلهنَّ السَّاعَةَ وأستريحَ، ثمَّ أدركَتْني رقَّةُ البشريَّةِ، والخَوفُ من الله تعالى، فأردتُ أن أشاوركَ في إمضاء الرَّأيِ، أو شَيءٍ تُشيرُ به عليَّ فيهِنَّ.

فقلتُ: أصلح الله الأميرَ، إنَّ آباءَ هَؤلاءِ النِّساءِ اللَّواتي قرأتُ رقاعَ أصحابِ الأخبار بما جرى عَلَيهِنَّ؛ أخطؤوا في تدبيرهنَّ؛ لأنَّهم خلَّفوا علَيهِنَّ النِّعَم، ولم يحفظوهنَّ بالأزواج، فخلونَ بأنفُسِهِنَّ ونِعَمِهِنَّ ففَسَدْن، ولو كانوا جعلوهنَّ في أعناقِ الأكفاءِ ما جرى منهنَّ هَذا.

والَّذي أرى أن تستدعيَ فلانًا القائد، فلهُ خمسة بَنِينَ، كلُّهم جميلُ الوجهِ، حسنُ اللِّبسَةِ والنَشْءِ، فتُزَوِّجَ كلَّ واحِدَةٍ من بناتك واحدًا منهُم، فتُكفَى العارَ والنّارَ، وتكون قد أخذتَ بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، وبالحَزْم، ويراك الله تعالى قد أردتَ طاعَتَه في حفظهنَّ، فيحفَظَكَ فيهِنَّ.

فقال: امضِ السّاعَةَ إليهِ، وافْرَغْ لي معه من هذا الأمر.

قال: فمضيتُ إلى الرجلِ، وقرَّرتُ الأمرَ معه، وأخذتُ الفتيانَ وجئتُ وأباهم، وجئتُ إلى دار إسحاقَ بنِ إبراهيم، فما طلع الفجرُ حتَّى عقدتُ للخمسةِ فتيانٍ[1] على الخمس بنات، في خطبَةٍ واحدةٍ، وحملَ إسحاقُ بين يَدَي كلِّ واحِدٍ

(١) (للخمسة فتيان) في (ض، ل): (للخمسة الفتيان).

مِنهُم خمسةَ آلافِ دينارٍ عَيْنًا، وشيئًا كثيرًا من الطِّيب والثيابِ، وحملَ كُلًّا مِنهُم على[1] فرسٍ بمركبِ ذهبٍ، وأعطاني كلُّ واحدٍ من الأزواج مالًا ممَّا دُفِعَ إليه كثيرًا، وأمر لي إسحاقُ بخمس مئة دينارٍ، وخِلْعَةٍ، وطِيبٍ، وأَنْفَذَ إليّ أُمَّهاتُ البَناتِ هدايا وأموالًا جليلةً، وشكَرْنَني على تخليص بناتهنَّ من القَتل، وقُلِبَتْ تِلكَ الغُمَّةُ فَرَحًا.

فعُدتُ إلى داري، ومعي ما قيمَتُه ثلاثة آلافِ دينارٍ أو أكثر.

(١) (كلًّا مِنهُم) في (ض، ل): (كل واحد منهم).

[٨: ٢٠] [عيسى بنُ موسى ينجو من القتلِ بمشورةِ يونُسَ بنِ أبي فَرْوَةَ]

وذكر محمَّدُ بن عُبْدوسٍ في «كتاب الوزراء»: أنَّ المنصورَ لما حجَّ بعد تقليده المهديَّ العهدَ وتقديمِه إيَّاه على عيسى بن موسى، دَفَعَ عمَّه عبدَ الله بنَ عليٍّ[١] إلى عيسى بنِ موسى يعتَقِلُه، وأمره سرًّا بقتله.

وكانَ يونُسُ بنُ أبي فَروَة[٢] يكتب لعيسى بنِ موسى، فعزم عيسَى على قتل عبد الله بن عَليّ، ثمَّ تعقَّبَ الرَّأيَ، فدعا بيونُسَ فخبَّرَه الخبرَ، وشاوَرَه.

فقال له يونُسُ: نَشَدْتُكَ اللهَ أن لا تفعلَ[٣]، فَإِنَّهُ يُريد أن يقتلَه بك، ويقتلك به[٤]، لأنَّه أمرك بقتله سرًّا، ويَجْحَدُك ذلك في العلانية، ولكن استُرْه حيثُ لا

---

(١) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، عم أبي جعفر المنصور، استولى على بلاد الشام في خلافة السفاح، ولما ولي المنصور خالف عليه ودعا إلى نفسه، فحبسه أبو جعفر المنصور، ولم يزل في حبسه حتى وقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله، وذلك سنة (١٤٧هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١١/ ١٧٦).

(٢) هو يونس بن محمَّد بن أبي فروة، واسم أبي فروة كيسان مولى الحارث الجبار، قال الجاحظ: متهم في دينه. ينظر: «تاريخ دمشق» (١٨/ ٩٠)، و«لسان الميزان» (٣/ ٢٧٧).

(٣) في (ل، ف): (أن تفعلَ)، وكذا في المطبوع من «كتاب الوزراء» (ص: ١٣٠)، في (ر، ض) أُقحِمَتْ (لا) إقحامًا.

(٤) (يقتله بك، ويقتلك بِهِ) في (ض، ل): (يقتلك بعد قتله).

يطَّلِعُ عليه أحدٌ، فإن طَلَبَه منك علانيَةً دَفَعْتَه إليهِ، وإيَّاك أن تردَّه إليه سرًّا أبدًا، بعد أن ظهر حُصولُه في يدك علانيَةً.

ففعل عيسى ذلك، وانصرفَ المنصورُ من حجِّه وعنده أنَّ عيسى قد قتلَ عبدَ الله بن عليٍّ، فدسَّ إلى عمومته مَن يُشير عليهم بمسألتِه في أخيهم عبدِ الله، فجاؤوه يسألونَه[1] ذلك، فَدَعا بعيسى بنِ موسَى وسأله عنه بحضرتهم.

فدنا منه عيسى **وقال له فيما بينه وبينه**: ألم تأمُرني بقتله!

فقال: معاذ اللهِ، ما أمرتُكَ بذلك، كذبتَ.

ثمَّ أقبل على عمومته، **فقال**: هذا قد أقرَّ بقتل عبدِ الله، وادَّعى عليَّ بأنِّي قد أمرتُه بذلك، وقد كذبَ، فشأنكم به.

قال: فوَثَبُوا عليهِ ليقتلوه، فلمَّا رأى صورَةَ أمرِه، صَدَّق أبا جَعفَرٍ عن الحال، وأحضرَ عبدَ الله، فسلَّمَه إليه بحضرة الجماعة.

فكان عيسى يشكرُ ليونسَ بن أبي فَرْوَة ذلك مُدَّة عُمُرِه[2].

(١) في (ض، ل) زيادة: (في).

(٢) ينظر: «كتاب الوزراء والكتاب» لابن عبدوس (ص: ١٢٩ - ١٣٠).

[٨: ٢١] [منصورُ بنُ زيادٍ ينجو من القتلِ بمعونةِ يحيى البرمكي][١]

وذكر أيضًا في هذا الكتاب: أنَّ الرشيدَ دعا صالحًا صاحبَ المصَلَّى[٢] حين تنكَّرَ للبرامكة، فقال له: اخرُج إلى منصور بن زياد[٣]، فقل له: قد صحَّت عليك عشرَةُ آلافِ ألفِ دِرهَمٍ، فاحْمِلْها إليَّ في يومك هذا، وانطَلِقْ معه، فإن هو دَفَعَها إليك كامِلَةً قبل مغيب الشَّمسِ، وإلَّا فاحمل إليَّ رأسَه، وإيّاك ومراجعتي في شيءٍ من أمرِه.

قال صالح: فخرجتُ إلى منصورِ بن زيادٍ، وعرَّفتُه الخبرَ.

فقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجِعون، ذهبت -واللهِ- نفسي، ثمَّ حلف أنَّه لا يعرف موضعَ ثلاثِ مئةِ ألفِ درهمٍ، فكيفَ عشرَةُ آلافِ ألفِ درهمٍ!

فقال له صالح: خذ في عَمَلك.

---

(١) هذه القصة ليست في (ض، ل).

(٢) كان ممن جاء مع أبي مسلم إلى السفاح، وكان من أولاد ملوك خراسان من أهل بلخ، استخلصه المنصور لنفسه، ووهبه حصيرًا للصلاة من عمل مصر، ذكر أنه كَانَ فِي خزائن بني أمية، وأنه كان للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكان يحمله له فِي الأعياد والجمع فيفرشه له حَتَّى يصلي عَلَيْهِ، فسمّي لهذا صاحب المصلى. ينظر: «المنتظم» (١١/ ١٤٨).

(٣) كان كاتب وزير الرشيد يحيى بن خالد البرمكي، واستخلفه الفضل البرمكي بباب الرشيد عندما شخص لمحاربة يحيى بن عبد الله العلوي الثائر بالديلم. ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٢٥٦)، و«المنتظم» (٩/ ١٦).

فقال له: امضِ بي إلى منزلي حتَّى أُوصِي. فمضى معه، فما هو إلَّا أَنْ دَخَلَ حتَّى ارتَفعَ الصراخُ من مَنازِله وحُجَرِ نسائِه، فأوصى وخرج وما فيهِ دم، **فقال** [ر/١١٢] **لصالحٍ**: امضِ بنا إلى أبي عليٍّ[١] يحيى بن خالدٍ، لعلَّ الله أن يأتينا بفرجٍ من عنده.

فمَضَى معه إلى يحيى وهو يبكي، **فقال له**: ما وَراءَك؟ فَقَصَّ عليهِ القِصَّة، فقَلِقَ يحيى لأمره، وأطرق مُفَكِّرًا، ثمَّ **دعا بخازنه، فقال له**: كم عندك من المال؟ قال: خمسةُ آلافِ ألفِ درهمٍ.

فقال له: أحضِرْنيها. فأحضرها.

ثمَّ وجَّه إلى الفضل ابنِه **يقول له**: إنَّك أعلمتني -فداك أبوكَ- أنَّ عندك ألفَي ألفِ دِرهَمٍ، تُريدُ أن تشتريَ بها ضَيعَةً، وقد أصبتُ لكَ ضَيعَةً يبقى لك ذِكرُها، وتُحمَدُ ثَمَرَتُها، فوَجِّهْ إليَّ بالمالِ. فوجَّهَ به.

ثمَّ قال للرسول: امْضِ إلى جَعفَرٍ، وقل له: ابْعَثْ -فداك أَبوك[٢]- ألفَ ألفِ دِرهَمٍ؛ لحَقٍّ لزِمَنِي. فوجَّه بها.

ثمَّ قال لصالحٍ: هذه ثمانيةُ آلافِ ألفِ دِرهَمٍ. ثمَّ أطرقَ إطراقةً؛ لأنَّه لم يكن عنده شيءٌ، ثمَّ رفعَ رأسَه إلى **خادمٍ له، وقال**: امضِ إلى دنانيرَ[٣]، فقل لها: وجِّهي إليَّ بالعِقدِ الَّذي كانَ أميرُ المؤمنينَ وهَبَهُ لكِ.

---

(١) يكنى **بأبي عليٍّ** و**بأبي الفضل**. ينظر: «المنتظم» (٩/ ١٤٠)، و«تاريخ الإسلام» (٤/ ٩٩٩)، وقد سبقت ترجمته (١/ ٣٢٧).

(٢) (فداك أبوك) في (ف): (إلى أبيك).

(٣) هي جارية يحيى بن خالد البرمكي، كانت صفراء من مولدات المدينة، من أحسن الناس وجهًا، وأكملهن أدبًا، وأكثرهنَّ رواية للشعر، شغف بها خالد بن يحيى البرمكي فاشتراها، =

قال: فجاءَ به، فإذا بعِقدٍ كعَظْمِ الذِّراعِ، **فقال لصالحٍ**: اشتريتُ هذا لأميرِ المؤمنينَ بمِئَةٍ وعشرين ألفَ دينارٍ، فوَهَبَه لدنانيرَ، وقد حَسَبْتُه عليك بألفي ألفِ درهمٍ، وهذا تمام حقِّك، فانصَرِفْ وخَلِّ عن صاحبنا، فلا سبيلَ لك عليهِ.

قال صالح: فأخذتُ ذلك، ورَدَدْتُ منصورًا معي، فلمَّا صرتُ بالبابِ، أنشأ منصورٌ يقول متمثِّلًا: [من الوافر]

وما بُقْيَا عليَّ تَرَكتُماني

ولَكِنْ خِفْتُما صَرَدَ النِّبالِ(١)

فقال صالحٌ: ما على وجه الأرض أَنْبَلُ من هذا الَّذي خرجنا من عنده، ولا سَمِعتُ بمثله فيما مضى من الدَّهر، ولا على وجه الأرض أخبثُ سريرةً، ولا أكفرُ لنعمةٍ، ولا أدنأُ طبعًا من هذا النبطيِّ الَّذي لم يشكرْ مَن أعطاهُ، ووَزَنَ عنهُ هذا المالَ العظيمَ.

قال: وصِرْتُ إلى الرشيدِ، وقصَصْتُ عليه القِصَّةَ، وطويتُ عنه ما تمثَّلَ به منصورٌ؛ خوفًا أن يقتُلَه إذا سمع ذلك.

فقال الرشيد: قد علمتُ أنَّه إن نجا فإنَّما ينجو بأهل هذا البيتِ، أَطْلِقِ الرجُلَ، واقبِضِ المالَ، وارْدُدِ العِقدَ، فإنِّي لم أكن لأهبَ هبةً، وترجعَ إلى مالي.

= وكان الرشيد وهبها عقدًا قيمته ثلاثون ألف دينار. ينظر: «الأغاني» (١٨/ ٧٠)، و«الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» (ص: ١٩٢).

(١) **صَرِدَ السهمُ**: إذا نَفَذَ. والبيت للَّعين المنقري، قاله لجرير والفرزدق. ينظر: «الوحشيات» لأبي تمام (ص: ٦٣)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٤٩٠).

قال صالحٌ: فلم أطب نفسًا إلَّا بتعريف يحيى ما قاله منصورٌ، فرجعتُ إليه وأطنبتُ في شُكرِه، ووصفِ ما كانَ منه، **ثم قلتُ**: إلَّا أنَّك أنعَمتَ على غير شاكرٍ، قابَلَ أكرمَ فعلٍ بألْأَمِ قولٍ.

قال: وكيف؟ فأخبَرتُه بما كانَ، فجعل -واللهِ- يطلبُ له المعاذيرَ، ويقول: يا أبا عليٍّ، إنَّ المنخوبَ[1] القلبِ، ربَّما سبقه لسانُه بما ليس في ضميرِه، وكان الرجُلُ في حالٍ عظيمَةٍ.

فقلتُ: واللهِ، ما أدري من أيِّ أمرَيكَ أعجبُ! أَمِنْ أوَّله أم من آخره؟ ولكنِّي أعلمُ أنَّ الدَّهرَ لا يخلُفُ مثلكَ أبدًا[2].

---

(١) في (ف): (المتخوف). **المنخوب القلب**: الذاهب القلب. ينظر: «العين» (ن خ ب: ٤/ ٢٧٩).

(٢) ينظر: «كتاب الوزراء والكتاب» (ص: ٢٢٢- ٢٢٤)، و«المستجاد من فعلات الأجواد» (ص: ١٣٨)، و«التذكرة الحمدونية» (٢/ ١٩١).

[٨: ٢٢] [عليُّ بنُ عيسى القُمِّيُّ ينجو من القتلِ بمساعدةِ غسَّانَ بنِ عبادٍ]

وذكر محمَّد بنُ عُبْدوسٍ في «كتاب الوزراء» قال: حدَّثني محمَّدُ بنُ عبد الله بنِ الوليدِ، قال: حدَّثني أبي **قال**: كان بين غسَّانَ[١] بنِ عبَّادٍ وبين عليِّ بنِ عيسى القُمِّي[٢] وقفةٌ أدَّت إلى عداوةٍ، وكان عليُّ بنُ عيسى ضامنًا[٣] لأعمالِ الخراجِ والضِّياع ببَلَدِهِ، فبقيَتْ عليه أربعونَ ألفَ دينارٍ، وألحَّ المأمونُ في مُطالبَته بها، حتَّى قال لعليِّ بنِ صالحٍ، حاجِبِه[٤]: طالِبْه بالمالِ، وأَنْظِرْه ثلاثة أيّام، فإن أحضر المال قبل انقضائها، وإلَّا فاضْرِبه بالسِّياط حتَّى يُؤَدِّيَها أو يتلَفَ.

فانصَرَفَ عليُّ بنُ عيسى من دار المأمون آيِسًا من نفسه، لا يقدر على شيءٍ من المال، **فقال له كاتِبُه**: لو عرَّجتَ على غسَّانَ وأخبرتَه بخبرك، لرجوتُ أن يُعينَكَ على أمرِكَ.

---

(١) يجوز في (غسان) المنعُ والصرف، على القول بأصالة النون أو زيادتها، والأشهر المنع. ينظر: «شرح النووي على مسلم» (١/ ١٠١)، و«تاج العروس» (١٦/ ٣٠٦).

(٢) في سنة (٢١٧هـ) خرج لمحاربة جعفر بن داود القمي بقم فأسره وبعث به إلى المعتصم فضرب عنقه. ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٦٣٠).

(٣) قوله: (محمَّدُ بنُ عبد الله... عيسى ضامنًا)، وفي (ض): (علي بن عيسى القاسمي كان ضامنًا)، وقوله: (كان بين غسَّانَ... عيسى ضامنًا)، في (ل): (حدثني عليُّ بن عيسَى القمِّي، قال: كان ضامنًا)، والمثبت من (ف).

(٤) في (ض، ل): (صاحبه).

فقال له: على ما بيني وبينه! **قال**: نعم، فإنَّ الرَّجُلَ أَرْيَحِيٌّ كريمٌ[1].

قال: فحمَلَتْه حالُه على قبول ذلك، فدخل إلى غَسَّانَ، فقامَ إليه، فتلقَّاه بجَميلٍ، ووفَّاهُ حَقَّه من الاحترام[2].

فقال له: الحالُ التي بيني وبينكَ لا توجِبُ ما أبديتَه من تَكرِمةٍ.

فقال: ذلك حيثُ تقع المنافسةُ والمضايقةُ فيهِ، والَّذي بيني وبينكَ بحالِه، ولدخولِ داري حُرمَةٌ توجِبُ لكَ عليَّ بُلوغَ ما ترجوه عندي، فاذكُرْ إن كانت لك حاجَةٌ[3].

فقصَّ كاتِبُه عليهِ قصَّته. **فقال**: أرجو أن يَكفِيَه الله تعالى. ولم يزد على هذا شيئًا[4].

فنَهَضَ عليُّ بنُ عيسَى آيِسًا من نفسِه، كاسِفَ البالِ، نادِمًا على قصدِه غَسَّانَ، **وقال لكاتبه لمَّا انصرفَ**: ما أفدتَني بقصد غسَّانَ إلَّا تَعَجُّلَ المهانةِ والذُّلِّ.

وتشاغَلَ في طريقه بلقاءِ بعضِ إخوانِه، وعاد إلى داره، فوجدَ على بابه بِغالًا عليها أربعونَ ألفَ دينارٍ، مع رسول غسَّانَ بنِ عبادٍ، فبَلَّغَه سلامَه، وعرَّفَه غَمَّه بما دُفِعَ إليه، وسلَّم إليه المالَ، وتقدَّمَ إليه بحُضور دارِ المأمون من غَدِ ذلك اليوم.

---

(١) قوله: (فقال له: على... كريم)، ليس في (ض، ل).

(٢) (من الاحترام) ليست في (ر، ف).

(٣) قوله: (فقال له: الحال...لك حاجَةٌ) ليس في (ض، ل، ر)، وأثبتناه من (ف).

(٤) (ولم يزد على هذا شيئًا) ليست في (ض، ل، ر).

فبكَّرَ عليُّ بنُ عيسَى، فوجدَ غَسّانَ قد سَبَقَه ودخلَ على المأمون **ومَثَل**[1] **بين الصفَّين، وقال**[2]: يا أميرَ المؤمنينَ إنَّ لعَليِّ بنِ عيسَى حُرمَةً وخدمةً وسالفَ أصلٍ، ولأميرِ المؤمنينَ عليهِ سالفُ إحسانٍ، فهو أَوْلى بحفظ برِّه[3]، وقد لحقَه من الخسران في ضمانِه والجائحةِ[4] ما قد تعارَفَه النَّاسُ، وقد جرى عليهِ من حِدَّةِ المُطالبَةِ وشدَّتِها، والوعيدِ بضربِ السِّياطِ إلى أن يتلفَ، ما حيَّرَه وقطعَه عن الاحتيال فيما عليه من المال؛ فإن رأى أميرُ المؤمنينَ أن يُجْرِيَني على حُسْنِ عاداتِ كرمه عندي في تشفيعي فيه ببعض ما عليه، فهي صنيعةٌ يجدِّدها عندي، تحرُسُ ما تقدَّمَها من إحسانه، وتضاعِفُ وجوبَ الشكر عليها والاعتدادِ بسبوغِ نِعَمِهِ بها. ولم يَزَلْ يَلطُفُ به بهذا ونحوه[5] إلى أن حطَّه النِّصفَ، واقتصر منهُ على عشرين ألفِ دينارٍ.

فقال غَسَّان: على أن يجدد أمير المؤمنين عليه الضَّمانَ، ويُشَرَّفَ بخِلَعٍ تُقَوِّي عَزْمَه ويَعرِفُ بها مكان الرِّضا عليه[6]. فأجابَه المأمون إلى ذلك.

قال: فَيَأْذَنُ لي أميرُ المؤمنينَ أن أحمِلَ الدواةَ إلى حضرته، ليوقِّعَ بما رآه من هذا الإنعام، فَيبقى شرفُ حملِها عليّ وعلى عَقِبي من بعدي؟

---

(١) (فوجدَ... ومثل) في (ض، ل، ر): (فلمّا وصل النّاس إلى المأمون، مَثَلَ غَسَّانُ بنُ عبادٍ).

(٢) (الصفين، وَقال) في (ض، ل): (يدي المأمون فقال).

(٣) (فهو أولى بحفظ برِّه) في (ر): (هو الوالي به)، وفي (ض، ل): (وهو ولي مخلص).

(٤) (الجائحة) ليست في (ض، ل، ر).

(٥) قوله (أن يُجْرِيَني... ونحوه) ليس في (ض، ل، ر): (أن يشفعني ببعض ما عَلَيهِ، ويضعه عَنهُ، فَعَل. قال: فلم يزل به إلى أن)، وكلمة (فعل) ليست في (ض، ل).

(٦) قوله: (ويُشَرَّفَ بخِلَعٍ... عليه) ليس في (ض، ل، ر).

قال: افْعَل. فَفَعَلَ، وخرج عليُّ بنُ عيسَى، والتوقيعُ معه بذلك، وعليه الخِلَع.

فلمَّا حَصَلَ في داره حَمَلَ من المال عشرين ألفَ دينارٍ وأعادها إلى غسانَ، وشكرَه على جميلِ فِعْلِه معه.

فقال لكاتبه: كأنِّي شَفَعْتُ إلى أمير المؤمنين ليعودَ المالُ إليَّ! لم أستحِطَّه ذلك إلَّا ليُوَفَّرَ عليه وينتفعَ به، وليس يعودُ إليَّ شيءٌ منه أبدًا. فأعاد المالَ عليه، وكان ذلك سببَ صلاحِ ما بينهما، وعَرَفَ عليُّ بنُ عيسى ما عَمِلَه معه غسانُ، فلم يَزَلْ يَخدُمُه إلى آخر العمر(1).

---

(١) قوله: (على جميلِ فِعْلِه... آخر العمر) في (ض، ل): (فَرَدَّها غَسَّانُ، وقال: إنِّي لم أَسْتَحْطِطْها [ض/ ١٦٢] لنفسي، وإنَّما أحببت توفيرها عَلَيك، واسْتَحْطَطْتها لك، وليس يعود والله شيء من المال إلى ملكي أبدًا).
ينظر: «المستجاد» (ص: ١٥٦)، و«لباب الآداب» لابن منقذ (ص: ١١٥)، و«إعتاب الكتاب» (ص: ١٢٠)، و«ثمرات الأوراق» لابن حجة (٢/ ٣٠).

[٨: ٢٣] [الشَّعبيُّ يُنقِذُ قومًا من القتل][1]

ووجدتُ في بعض الكتب بغير إسنادٍ: حَضَرَ[2] الشَّعبيُّ عند مُصعبِ بن الزُّبير، وهو أميرُ الكوفَةِ[3]، وقد أُتيَ بقومٍ، فأمرَ بضربِ أعناقهم، فأُخِذُوا ليُقتَلُوا.

فقال له الشَّعبيُّ: أيُّها الأميرُ، إنَّ أوَّلَ مَن اتَّخَذَ السجنَ كانَ حكيمًا، وأنتَ على العقوبَةِ أقدرُ منك على نزعِها.

فأمَرَ مُصعبُ بحَبس القَومِ، ثمَّ نظر في أمرهم بعدُ فوَجَدَهُم بَراءَ فأَطلَقَهُم.

---

(١) هذه القصة ليست في (ض، ل).

(٢) قوله (ووجدتُ في... حَضَرَ) في (ر): (قال: وحضر).

(٣) هو أبو عيسى، أو: أبو عبد الله، مصعب بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي المدني، وفد على معاوية، واستعمله أخوه على البصرة، ثم على العراق، فأقام بها يقاوم عبد الملك بن مروان ويحاربه إلى أن قتل سنة (٧٢هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٢/ ٨٨١).

[٨: ٢٤] [عمرُ بنُ فَرَجٍ الرُّخَّجِيِّ ينجو من يدي المعتصم]

وذكرَ محمَّدُ بنُ عُبْدوسٍ في «كتاب الوزراء»: **حُكِيَ عن أبي عبدِ الله أحمدَ بن أبي دُوَادَ قال**: ما صَحِبَ السُّلطانُ رَجُلًا أجلدَ من عُمَرَ بنِ فَرَجٍ الرُّخَّجِيِّ[١] ولا أرجلَ ولا أخبثَ منه[٢]. غَضِبَ عليهِ المعتصمُ يومًا وهمَّ بقَتْلِه، وأَمَرَ بإحضاره، فجاءَ وقد نَزَفَ دَمُه.

فقال المعتصمُ: السَّيفَ يا غُلام. قال: فجعلَتْ رُكبَتا عمرَ تَصْطَكَّان.

فقلتُ: إن رأى أميرُ المؤمنينَ أن يسألَه عن ذَنبِه، فلعلَّه أن يخرجَ منهُ بعُذرٍ.

فقال له: أمرتُك في وَلَدِ أبي طالبٍ أن تتعرَّفَ خبرَ منازِلهم؟

قال: لا.

قال: فلِمَ فعلتَ؟

---

(١) هو عُمَرَ بنُ فرجٍ الرُّخَّجي الكاتب، كانَ من عِلْيَةِ الكُتَّاب، سخط عليهِ المتوكِّلُ عدة مرّات، وولي الشام للمعتصم، توفي ببغداد. ينظر: «تاريخ الإسلام» (٥/ ٨٩٤)، و«نفح الطيب» (٢/ ٥٠٣).

(٢) قوله: (رجلًا أجلد... أخبث منه) في (ض، ل): (أدهى من عمر بن فرج الرخجي ولا أخبث).

فقال عمر: إنما فعلتُ ذلك لأَنَّهُ بلغني عن واحِدٍ منهم أنَّ أهلَ قُمٍّ يُكاتِبُونَه، فأردتُ أن أعلم ما في الكتبِ الوارِدَةِ عليه. وجَعَلَ عمرُ في خلال ذلك[1] يلمُسُ البساطَ الَّذي كانَ تَحتَ المعتصِمِ، فزاد ذلك في غَضَبِه[2]، **وقال**: ما شغلك[3] ما أنتَ فيه عن لمس البساطِ؟ كأنَّك غيرُ مكترثٍ بما أُريدُه منك!

فقال: لا والله يا أمير المؤمنينَ، ولكن العَبدُ يُعنَى من أمر سَيِّدِه بكُلِّ شيءٍ على جميع الأحوال، وإنِّي اسْتَخْشَنْتُ هذا البساطَ، وليسَ من بُسُطِ الخلافَةِ.

فقال له: ويلك، هذا البساطُ ذَكَرَ محمَّدُ بن عبد الملكِ أنَّه قام علينا بخمسينَ ألفِ درهمٍ.

فقال: يا سَيِّدي، عندي خيرٌ منهُ بسبعِ مئة دينارٍ.

قال: فذهب عن المعتصمِ -واللهِ- ذلك الفَورُ[4] الَّذي كانَ به، وسكَنَ غَضَبُه، **وقال له**: وَجِّه السَّاعةَ مَن يُحضِرُهُ.

---

(١) في (ض، ل): (كلامه).

(٢) في (ض، ل): (غيظه).

(٣) في (ض، ل): (يشغلك).

(٤) في (ض، ل) زيادة: (العظيم).

فجاء ببساطٍ قد قامَ عليه -فيما أظنُّ- بأكثرَ من خمسةِ[1] آلافِ دينارٍ، فبَسَطَه، فاستَحسَنَه المعتصمُ، واسْتَلانَه[2]، **وقال**: هذا -والله- أحسنُ من بساطنا، وأرخصُ، وقد أخذناه منك بما قامَ عليك.

ووالله ما بَرِحَ ذلك اليوم حتَّى نادَمَه وخَلَع عليهِ.

(١) في (ض، ل): (ثلاثة).

(٢) (واستلانه) ليست في (ض، ل).

[٨: ٢٥] [رجلٌ من أصحابِ المختارِ الثقفيِّ ينجو من قتلِ مُصْعَبِ بنِ الزُّبيرِ][١]

قرأتُ في بعض الكتب بلا إسنادٍ: أَخَذَ[٢] مُصعبُ بنُ الزُّبيرِ رَجُلًا من أصحاب المختارِ[٣]، فأمر بضربِ عُنُقِه.

فقال: أيُّها الأميرُ، ما أقبحَ بك أن أقومَ يوم القيامَة إلى صورَتك هذه الحَسَنَةِ، ووجهِكَ هذا الجميلِ الَّذي يُسْتضاءُ به، فأتعلَّقَ بك، ثم أقول: يا ربِّ، سَلْ مصعبًا فِيمَ قتلني؟

فقال له مُصعبُ: قد عَفَوتُ عنكَ.

---

(١) هذه القصة ليست في (ل)، وهي في (ض) في آخرها في القصص الملحقة، في الورقة رقم (٢٢٥).

(٢) قوله: (قرأت... الزبير) في (ر): (قال: وأخذ).

(٣) هو المختار بن أبي عُبَيد الثقفي الكذّاب، ولد عام الهجرة، وليس له صحبة، ضالٌّ مُضِلٌّ، كان يزعم أنَّ جبريلَ ينزل عليه، ووالده أبو عُبَيد كان من الصحابة، استشهد يوم الجسر في خلافة عمر بن الخطاب، وكان المختار ممَّن خرجَ على الحسن بن علي بن أبي طالب في المدائن، ثم صار مع ابن الزبير بمكة، فولَّاه الكوفةَ، فغلب عليها، ثمَّ خَلَعَ ابنَ الزبير ودعا إلى الطلب بدمِ الحُسين، فالتفَّ عليه الشيعةُ، ثمَّ توجَّه بعد ذلك مصعبُ بنُ الزبير إلى الكوفة فقاتَلَه، فقُتِلَ المختارُ وأصحابُه سنة سبع وستين. ينظر: «الإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة» (٢/ ١٧٥)، و«لسان الميزان» (٨/ ١٢).

فقال: أيُّها الأميرُ اجعَلْ ما وهبتَ لي من حياتي في خَفضٍ، فإنَّهُ لا عَيش لفقيرٍ.

[ر/١١٣]

فقال: رُدُّوا عليه عطاءه، وأعطوهُ مئة ألفِ درهمٍ.

قال: أُشهِدُ اللهَ أنّي قد جعلتُ نِصْفَها لابنِ قيسٍ الرُّقَيَّات.

قال: ولِمَ؟

قال: لِقَوله[1]: [من الخفيف]

إنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّـ ـهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ
مُلكُهُ مُلْكُ رَحمةٍ[2] لَيسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ مِنْهُ وَلا كِبْرِيَاءُ
يَتَّقِي اللهَ في الأُمُورِ وَقَدْ أَفْـ ـلَحَ مَنْ كَانَ هَمَّهُ الاتِّقَاءُ

فَضَحِك مُصعبٌ، **وقال:** أرى فيكَ للصَّنِيعةِ مَوْضِعًا، وجَعَلَه من ندمائِه، وأحسنَ صِلَتَه[3].

---

(١) الأبيات في «ديوانه» (ص: ٤٣- ٤٤).

(٢) في «الديوان»: (قوة).

(٣) ينظر: «المحاسن والأضداد» للجاحظ (ص: ٦٥)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ١٧٩).

[٨: ٢٦] [يحيى بنُ خالدٍ البَرْمَكيُّ ينجو من يَدَي المهديِّ بمساعدةِ عَمَارَةَ بنِ حمزةَ][١]

حدَّثني أبي[٢] في المذاكرةِ بإسنادٍ ذَكَرَه لم أحفظه عنه: أنَّ الفضلَ بنَ يحيى بنِ خالدٍ البرمكيَّ **قيل له**[٣]: قد أفسدتَ جودك بكبرِكَ.

فقال: والله ما لي حيلَةٌ في النُّزوع عنهُ، وما كانَ سَبَبُ حُصولِه فيَّ إلَّا أنَّنِي حَمَلتُ نفسي عليه لمَا رأيتُ من عمارَةَ بنِ حمزةَ[٤]، فتشبَّهتُ به، فصارَ طَبْعًا، لا أقدرُ على الإقلاع عنهُ.

وذلكَ أنَّ أبي كانَ يضمنُ فارسَ من المهديِّ[٥]، فحلَّتْ عليه ألفُ ألفِ دِرهَمٍ، وكانَ المهديُّ قد ساءَ رأيُه فيهِ، فحرَّكَ ذلك ما كانَ في نَفسه، وأمر أبا عونٍ عبدَ الملكِ بنَ يزيد[٦]، أن يأخُذَ أبي فيُطالِبَه بالمالِ، فإن غربَتْ الشَّمسُ من يَومِه

---

(١) هذه القصَّة ليست في (ض، ل)، وهي مثبتة من (ر، ف).

(٢) هو علي بن محمَّد بن أبي الفَهم، القاضي أبو القاسم التَّنوخي، والد المصنف، وقد سبقت ترجمته (١/ ١٥٩).

(٣) (حدثني أبي في المذاكرة... قيل له) في (ر): (وقيل للفضل).

(٤) هو عمارة بن حمزة بن ميمون من ولد أبي لبابة مولى عبد الله بن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كان كاتبًا، فصيحًا بليغًا، أعور دميمًا، وكان المنصور والمهدي بعده يقدِّمانه ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته وكفايته ووجوب حقه، وولي لهما أعمالًا كبارًا، وله: «رسالة الخميس»، توفي في حدود الثمانين والمئة. ينظر: «معجم الأدباء» (٥/ ٢٠٥٤)، و«الشعور بالعور» (ص: ١٧٥).

(٥) في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٢١٦): (الرشيد).

(٦) (عبد الملك بن يزيد) ليست في (ر). وهو عبد الملك بن يزيد، أبو عون الأزدي =

ذلك ولم يصحِّح جميعَه، أو بقِيَ دِرهَمٌ مِنهُ، أتاهُ بِرَأسِهِ من غيرِ أن يَستَأْذِنَهُ أو يُراجِعَهُ.

قال: فأخذه أبو عونٍ، فاستدعاني أَبي، وقال: يا بُنَي، قد ترى ما نحن فيهِ، فلا تَدَعُوا في منازلكم شيئًا إلَّا أحضرتموه.

قال: فجَمَعْنا كلَّ ما كان في منازلنا من صامتٍ وغَيرِه[1]، فلم يبلغْ عُشْرَ المالِ.

فقال: يا بني، إن كانَت لنا حيلَةٌ في الحياة فمن قِبَلِ عمارَةَ بنِ حَمزَةَ، وإلَّا فأنا مقتولٌ العشيَّةَ، فالْقَهُ واذْكُرْ له الصورةَ.

فمضيتُ إلى بابه، فاستؤذن لي عليه، فدخلتُ، وهو مُضطَجعٌ قد غاصَ في فرشٍ له، ما كاد يَبِينُ منه إلَّا[2] وجهُه، فوالله ما تحرَّك، وسلَّمتُ، فأومأَ إليَّ بالجلوسِ، فجلستُ بعيدًا منهُ، فلم يُعِرْني الطَّرفَ.

= مولاهم الجرجاني، مولى بني هناءة من الأزد، أحد قوّاد بني العباس، ولي إمرة مصر في خلافة السفّاح، وفي سنة (١٥٩هـ) سيَّره المهدي لمحاربة المقنع، ثم استعمله على خراسان، وفي سنة (١٦٩هـ) مرض فعاده المهدي. ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ١١٣، ١٣٢، ١٨٠)، و«تاريخ دمشق» (٣٧/ ١٨٠)، و«الكامل» لابن الأثير (٥/ ٢١٢). وفي بعض المصادر ذكرت أنَّ أبا عون **عبد الله بن يزيد**. ينظر: «المنتظم» (٧/ ٣٠١)، و«معجم الأدباء» (٥/ ٢٠٥٨)، و«تاريخ ابن الوردي» (١/ ١٨١)، و«الوافي بالوفيات» (٢٢/ ٢٤٧)

(١) في (ف): (وحليةٍ)، وفي (ن): (وحلي). **والمال الصامت**: الذهب والفضة، **والناطقُ**: الحيوان. ينظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» (/ ٣٩٨).

(٢) (كاد يَبِينُ منه إلَّا) في (ر): (يكادُ يَبِينُ).

فانكَسَرَتْ نفسي، **وقلتُ**: أيُّ خيرٍ عند مَن هذا لقاؤه، وعنوانُ أمرِه، فأمسَكتُ لا أتكَلَّم، مفكِّرًا في الكلام والقيام.

فقال: اذكر حاجَةً إن كنتَ أتيتَ لها.

فقصَصْتُ عليهِ القِصَّةَ، فواللهِ ما أجابَني بحرفٍ، أكثرَ من أن **قال**: امْضِ، فإنَّ اللهَ يكفيكَ.

فقمتُ مُتَحَيِّرًا، أَجُرُّ رِجْلي، لا أشكُّ في أنَّه قد آيَسَنِي، **وقلتُ**: إن عدتُ إلى أبي بهذا الجواب ماتَ غمًّا قبل ضَربِ العُنُق، فتوقَّفتُ ساعةً لا أدري ما أصنع، **ثمَّ قلتُ**: على كلِّ حالٍ، أمضي إليه وأُونِسُه[1]، فإن كانت له حيلَةٌ أُخرى شَرَعْنا فيها قبل تصرُّم[2] النَّهار.

فجئتُه، فوجدتُ على الباب بغالًا كثيرةً محمَّلَةً، **فقلتُ لمن معها**: مَن أنتُم؟

فقالوا: أَنْفَذَنا عمارَةُ إليكُم بمالٍ على هذه البغال.

فدخلتُ، فأخبرتُ أبي بما جرى، وأَخَذْنا المالَ فصَحَّحْناه، وما صلَّيتُ العصرَ[3]، وعرفَ المهديُّ الصّورَةَ فاستحيا وأفرجَ عن أبي، وكانَ ذلك سَبَبَ رضاهُ عنهُ، وصلاحِ نيَّتِه له.

فلمّا كانَ بعد شهرين ورَدَ لنا من فارسَ مالٌ عظيمٌ كثيرٌ، **فقال أبي**: خُذ هذا المالَ، وامضِ به إلى عمارَةَ، واشكره، وردَّه عليه.

---

(١) في (ف، ر): (فأويسه)، والمثبت من (ن).

(٢) في (ف): (انصرام).

(٣) (وما) في (ر) (فلمَّا).

فحملت المالَ على بغالٍ، وجئتُ به إلى بابه فوقفتُ حتَّى استؤذِنَ لي، فدخلتُ، وهو على فراشه، فما زادني على ما عاملني به أوَّلًا، ولا نَقَصَني، فشَكَرتُه عن أبي، ودعوتُ له، وعرَّفتُه إحضاري المالَ، وسألتُه الأمرَ بقَبضِهِ.

فقال لي: أكنتُ قَسْطارًا[(١)] لأبيكَ، أُقرِضُهُ وأَرْتَجعُ منهُ؟

فقلتُ: لا، ولكن أَحْيَيْتَه، وحَقَنتَ دمَه، ومننتَ عليه، وما أحبَّ أن يتغنَّمَكَ، فلمَّا حصل له المالُ، أنفذَه.

فقال: أَمَا إذ ردَّه أبوكَ عليَّ، فقد وهبته لك، خُذْهُ وانصَرِف. فقمتُ، وقد أعطاني ما لا يُعطيه[(٢)] أحدٌ أحدًا.

فجئتُ إلى أبي فعرَّفته ما جرى، **فقال:** لا واللهِ يا بُنَيّ، ما تطيب لك نفسي به كُلِّه، ولا يصلُحُ هذا إلَّا مع المهديِّ، ولكن خُذْ منه مئتي ألفِ درهم. فأعطانِيها، وهي أوَّلُ مالٍ جاءَني كثيرًا مجتمعًا، وهي أصلُ نعمتي.

فتعلَّمتُ من عمارَةَ الجودَ والكِبْرَ معًا، فصارا لي طبعًا[(٣)].

وذكر ابنُ عُبْدوسٍ هذا الخبرَ في «كتاب الوزراء» على قريبٍ من هذه العبارةِ، والمعنى واحدٌ[(٤)].

---

(١) **القَسْطار:** مُنْتَقِدُ الدَّراهم. ينظر: «لسان العرب» (ق س ط ر: ٥/ ٩٣).

(٢) (لا يعطيه) في (ف): (لم يعط).

(٣) ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٥٥) وفيه أن القصة كانت بين المنصور وخالد بن برمك وابنه يحيى، و«تاريخ بغداد» (١٤/ ٢١٦)، و«معجم الأدباء» (٥/ ٢٠٥٨).

(٤) قوله: (وذكر ابنُ عُبْدوسٍ... والمعنى واحدٌ) ليس في (ر). ينظر: «الوزراء والكتَّاب» (ص: ١٥١).

[٨: ٢٧] [أبو عليٍّ المَدائنيُّ الهائمُ ينجو من عبدٍ أسودَ أرادَ قتلَهُ]

وحدَّثني أبو عليٍّ أحمدُ بنُ عليٍّ المدائنيُّ(١) المعروف بالهائمِ الراوِيَة(٢)، قال: كنتُ أسيرُ من الشَّامِ أريدُ العراقَ، فلمَّا انتَهَيتُ إلى قريةٍ في بعض الطَّريق لَقِيَني رجلٌ خراسانيٌّ معه مِخْلاةٌ(٣).

فقال: أَين تُريدُ؟ فقلت: بغداد. فقال: أنا رفيقكَ.

فاصطحبنا وسِرْنا حتى بلغنا قَرَيَة خرابًا على شاطئ الفُراتِ في بَرِيَّةِ الشَّام، فرَأَينا على باب القريةِ رجلًا أسودَ، مُنكَرَ الخِلْقَةِ، عُريانًا(٤)، لا يتوارى بشَيء البَتَّةَ، فَعَدا مُجفِلًا(٥) عنَّا.

فدخلنا القريَةَ وجَلَسنا في دارٍ خرابٍ على شاطئِ الفُراتِ، وأخرجنا زادًا كانَ معنا، وأقبلنا نأكلُ، فإذا بحِجارةٍ تأتينا مُتدارِكةً(٦)، حتَّى خِفْنا أن نَهلِكَ بها(٧)، وما تمالكنا أن نقومَ إلَّا بجَهدٍ.

---

(١) (أبو عليٍّ أحمدُ بنُ عليٍّ المدائنيُّ) ليست في (ر).

(٢) هو أحمد بن علي بن أحمد، أبو علي المدائني المعروف بالهائم، صحب عضد الدولة بن بويه، وكان شاعرًا فاضلًا، وله «ديوان شعر» رواه عنه السري بن أحمد الموصلي الرفاء، (ت: ٣٨٦هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٥١٩)، و«تاريخ الإسلام» (٨/ ٩٥٠).

(٣) **المِخْلاة**: ما يُجعَلُ فيهِ الخَلَى، وهو الحشيشُ. ينظر: «مختار الصحاح» (خلا).

(٤) في (ض، ل): (مُنكر الخلق عريان).

(٥) أي: مُسرِعًا. ينظر: «المصباح المنير» (ج ف ل).

(٦) أي: متلاحِقةً. ينظر: «مختار الصحاح» (د ر ك).

(٧) (بها) ليست في (ض، ل).

وتأمَّلنا الأمرَ فرأينا الأسودَ يَرْجُمُنا، فطَلَبْناه، وطَلَبَنا، فلمَّا تداخَلْنا رامَ الأسودُ أن يقبِضَ عَليَّ، فَرُغتُ[١] منهُ، فقبضَ على الخُراسانيِّ، وكانَ الخُراساني أَيِّدًا[٢]، فما زالا يتعاركان، فانكبَّ الأَسْوَدُ على كَتِفِ الخُراسانيِّ فعَضَّه، **فصاح الخُراسانيُّ**: يا بغداديُّ أدركني، فقد قتلني.

فدنوتُ من خلف الأسودِ وتعلَّقت بخصيته، ولكَمْتُها لكماتٍ شَديدَةٍ، فخرَّ مَغْشِيًّا عليه، وقامَ الخُراسانيُّ فجَلَسَ على صَدرِه، وخَنَقَه بيدِه حتَّى تَلِف.

وسرنا -والخراسانيُّ يصيح من ألم العضَّةِ- حتَّى انتهينا إلى حيالِ[٣] قَريَةٍ عامرةٍ، فصحنا بملَّاحٍ، فقدَّم زَوْرَقَه لنَعبُر إلى القرية، فطرح الخُراسانيُّ نفسَه على الشطِّ كالتالف. فشجَّعتُه، **وقلتُ**: ما لكَ؟ وأيُّ شيءٍ قدرُ عضَّةٍ[٤]؟ **فقال**: ويحكَ انظُر إليها. فرأيْتها[٥]، فإذا هي قد أخذَتْ كَتِفَه كلَّه[٦]، واسودَّت، واحمرَّ بدنُه كُلُّه.

فَحَمَلتُه أنا والملَّاحُ حتَّى حَصَّلْناه[٧] في الزَّوْرَقِ، وعَبَرْنا فلمَّا صرنا بقُرْبِ الشطِّ تَلِفَ، فأخرجناه مَيتًا.

فاجتمع أهلُ القريةِ وسألوني عن شأنِه، فحدَّثتُهم الحديثَ.

---

(١) في (ر) (فنزعتُ).
(٢) أي: قويًّا. ينظر: «مختار الصحاح» (أ ي د).
(٣) في (ل، ف): (جبال).
(٤) (قدر عضَّة) في (ض): (أصابك)، وفي (ل): (أصابك قدر عضته).
(٥) في (ض، ل): (فنظرت).
(٦) كذا في النسخ، والكتف مؤنَّثةٌ. ينظر: «البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث» (ص: ٧٣).
(٧) في (ض، ل): (حصلنا).

فقالوا: قد فَتَحْتُمْ فَتْحًا، هذا عبدُ آلِ فلانٍ، أصابَهُ داءُ الكلب وتغرَّب في تلكَ الخرابات، وقد قَتَلَ خَلْقًا بالعضِّ.

قال: وتبادَرَ قومٌ منهم يُريدونَ الموضِعَ للنَّظَرِ إلى الأَسْوَدِ، وسرتُ أنا في طريقي، وحَمَدْتُ الله عَزَّوَجَلَّ على سلامتي من الأسود[1].

(١) ورد في المطبوع بعد هذه القصة عدَّة قصص، ليست هي في النسخ التي عندنا في هذا الباب، بل جاءت فيها في الباب الثاني عشر. فَلْيُتَنَبَّهْ.

[٨: ٢٨] [المباركُ بنُ فَضَالةَ يُخلِّصُ رجلًا من القتلِ][١]

ووجدتُ في بعض الكتبِ: أنَّ سَوَّارَ بنَ عبدِ الله القاضي[٢]، قال: حدَّثني أبو أميَّة الفرائضيُّ[٣]، قال: أخبرني[٤] المباركُ بنُ فَضَالَةَ[٥]، قال: كنتُ في الوَفْدِ الَّذين وَفَدُوا على أبي جعفرٍ المنصور من أهل البَصرةِ، فلمَّا مَثَلْنا بين يديه دعا بِرَجُلٍ، فكلَّمَهُ، ثمَّ أمر بضربِ عُنُقه، فجُذِبَ ليُقتَلَ.

فقلتُ في نفسي: يُقتَلُ رجلٌ من المسلمين وأنا حاضرٌ فلا أتكلَّمُ! فقمتُ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ، إن رأيتَ أن تأمر بالكفِّ عن هذا حتَّى أُخبِرَكَ بشيءٍ سَمِعتُ الحَسَنَ يقولُه. فأمَرَ بالكفِّ عنهُ، ثمَّ قال لي: قل.

---

(١) هذه القصة ليست في (ض، ل)، وهي مثبتة من (ر).

(٢) هو سوَّار بن عبد الله بن سَوَّار بن قُدامة، القاضي أبو عبد الله العنبري التميمي البصري، نزل بغداد، وولي بها قضاء الرُّصَافة، روى عنه: أبو داود، والترمذي، والنَّسائي وقال: ثقة. (ت: ٢٤٥هـ). ينظر: «الكمال في أسماء الرجال» (٥/ ٣٢٦).

(٣) هو عبد الرَّحمن بنُ محمَّدِ بنِ علقمةَ الفرائضيُّ البصري، سكن بغداد، مستور، (ت: ٢٢٣هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١١/ ٥٣٥)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ٦١٧).

(٤) قوله: (ووجدت في بعض الكتب... أخبرني) في (ر): (وحكى).

(٥) هو المباركُ بنُ فَضَالَةَ بنِ أبي أميَّة، مولى عمر -وقيل: زيد- بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مختلف فيه والعمل على توثيقه، **روى عن الحسن البصري**، (ت: ١٦٥، أو: ١٦٤هـ). ينظر: «الطبقات الكبرى» (٧/ ٢٧٧)، و«تاريخ بغداد» (١٥/ ٢٧٩)، و«لسان الميزان» (٩/ ٤٠٠).

قلتُ(١): سَمِعتُ الحسنَ يقولُ: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا كانَ يومُ القيامةِ جمعَ الله الأوَّلين والآخِرين في صَعيدٍ واحِدٍ، يَنْفُذُهم البَصَرُ**(٢)**، ويُسمِعُهم المُنادِي، ثمَّ يقوم مُنادٍ من قِبَلِ الله** عَزَّ وَجَلَّ**، فيَقول: ألا مَن كانَ له على الله حقٌّ فَلْيَقُمْ، فلا يقومُ إلَّا مَن عَفا**»(٣).

فقال أبو جعفرٍ: آللهِ سَمِعتَ الحسنَ يقول ما قلتَ؟

قلتُ: آللهِ سَمِعتُه يقول ذلك. فَعَفا عن الرجل، وأطلقهُ(٤).

---

(١) قوله: (سَمِعتُ الحسنَ... قلتُ)، في (ر): (سمعته).

(٢) **الصَّعيد**: الأرض الواسعة المستوية. **واختلف** هل المراد بَصَرُ الخالِق أم بَصَرُ المخلوق؟، واختلف أيضًا في قوله: (ينفُذُهم)، هل هو بفتح الياء أم بضمِّها؟، وهل هو بالدال أم بالذال؟، قال الإمام النووي: والأصحُّ فتح الياء وبالذال المعجمة، وأنَّه بَصَرُ المخلوق والله أعلم. **ومعنى يَنفُذُهم البَصَرُ**: يحيط بهم الناظرُ، لا يخفى عليه منهم شيءٌ؛ لاستواء الأرضِ؛ أي: ليس فيها ما يَستَتِرُ به أحدٌ عن الناظرين. ينظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ٥٢)، و«شرح مسلم» للنووي (٣/ ٦٦- ٦٧).

(٣) **أخرجه البيهقي** في «شعب الإيمان» (٦/ ٤٤، رقم: ٧٤٥١) عن مبارك بن فَضَالة عن الحسن عن عمران بن حُصَين عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا كانَ يومَ القيامةِ نادى منادٍ من بطنان العرش: ألا ليقومنَّ العافون من الخلفاء إلى أكرم الجزاء، فلا يقوم إلَّا مَنْ عفا**»، لكن القصة عنده مع المأمون.
وأخرجه هناد بن السريِّ في «الزهد» (٢/ ٦٠٤) عن الحسن مرسلًا، بلفظ: (إذا كانَ يومُ القيامةِ نادى مُنادٍ: يا أيُّها النَّاسُ، مَنْ كانَ له على الله أَجْرٌ فَلْيَقُمْ؛ فلا يَقُومُ إلَّا أَهْلُ العَفوِ)، وبنحوه البلاذري في «أنساب الأشراف» (٤/ ٢٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٩).

(٤) ينظر: «تاريخ بغداد» (١٥/ ٢٧٩).

[٨: ٢٩] [شريكُ بنُ عبدِ اللَّهِ القاضي ينجو من يدي المهديِّ]

حدَّثني عبدُ الله بنُ عمرَ بنِ الحارثِ السرَّاجُ الواسطيُّ، أبو أحمد، المعروف بالحارثي، من حفظه في المذاكرة، **قال:** حدَّثني نَهْشَلُ بنُ دارمٍ[١] بإسنادٍ ذكره، وذَهَبَ عن حفظِ الحارثيِّ، **عن**[٢] **الحَسَنِ بن قَحْطَبَةَ**[٣]، **قال:** استُؤذن لِشَريكِ بنِ عبد الله القاضي على المهديِّ وأنا حاضرٌ، **فقال:** عليَّ بالسَّيفِ. فأُحضِر.

قال الحسن: فاسْتَقْبَلَتْني[٤] رعدةٌ لم أَمْلِكْها، ودخل شريكٌ، فسلَّمَ على المهديِّ، فانتضى المهديُّ السَّيفَ[٥]، **وقال:** لا سلَّم الله عليك يا فاسق.

فقال شريكٌ: يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ للفاسق علاماتٍ يعرفُ بها؛ شربَ الخمرِ، وسماعَ المعازِف، وارتكابَ المحظورات، فعلى أيِّ ذلك وجدتني؟

---

(١) هو إبراهيم، يعرف بنهْشَل بن دارم، أبو إسحاق الدارمي، بغدادي ثقة، (ت: ٣٢٥هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٥/ ٥٨٨)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ٥٠٥).

(٢) قوله: (حدثني عبد الله... الحارثي عن) في (ر، ض، ل): (وحكى)، والمثبت من (ف).

(٣) هو الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي، من أكبر قواد الرشيد، وأبوه هو الذي انتدب لأخذ العراق من جيوش بني أمية، فغرق وقام بالأمر بعده حميد بن قحطبة، قال الخطيب: كان من رجالات الناس، (ت: ١٨١هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٨/ ٤١٥)، و«تاريخ الإسلام» (٤/ ٨٣٣).

(٤) في (ر): (فاستَقَلَّتْني).

(٥) أي: استلَّه من غِمْده. ينظر: «تهذيب اللغة» (١٢/ ٥١).

فقال: قتلني اللهُ إن لم أقتلْكَ.

قال: وبِمَ ذَلِك[1] يا أَمير المؤمنينَ، ودمي عليك حرامٌ؟

قال: لأنِّي رأيتُ في المنام كأنِّي مُقبِلٌ عليك وأنتَ تكلِّمُني من قفاك، فأرسلتُ إلى المُعَبِّرِ فسَأَلته عَنها، **فقال**: هذا رجلٌ يطَأُ بساطَكَ، وهو يُسِرُّ خِلافَك. [ر/١١٤]

فقال شريكٌ: يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ رُؤياك ليست رُؤيا يوسُفَ بنِ يعقوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وإنَّ دماءَ المُسلمين لا تُسْفَكُ بالأحلام.

قال: فنكَسَ المهديُّ رأسَه، وأشارَ إليه بيدِهِ أن اخرج، فانصَرفَ.

قال الحسن: فَقُمتُ ولحقتُه، **فقال**: أما رأيتَ ما أرادَ صاحبُك أن يصنع بنا؟

فقلت: اسكُت، لله أبوك، ما ظَنَنتُ أنِّي أعيشُ حتَّى أرى مثلكَ.

(١) (وبم ذلك) في (ض، ل): (ولم ذاك).

[٨: ٣٠] [الفلهيدُ المغنِّي ينجو من يدي كسرى][1]

حدَّثني الحسين بن محمد بن الحسين الجبائي[2]، **قال:** قرأتُ في بعض كتب الفرس: أنَّ أبرويز الملك كان معجبًا بغناء الفلهيد مغنِّيه، فنشأَ للفلهيد غلامٌ أحسنُ غناءً منه، فأدخَلَه إلى أبرويز يُتحِفُه به، ويتقرَّبُ إليه بذلك، فاستطابه أبرويزُ، وغلبَ على قلبِه حتَّى قدَّمَه على الفلهيد، فحَسَدَه الفلهيدُ، فقَتَلَه.

فبلغ ذلك أبرويزَ، فغضب غضبًا شديدًا، واستدعى الفلهيدَ، وأمر فأُحضِرَ له السيفُ والنِّطع، وعزمَ على ضرب عُنُقِه، **وقال له:** يا كلب، علمتَ أنَّ شطرَ لذَّتي بالغناء كان فيك، وشطرها في غلامك، فقتلته لتُذهِبَ شطرَ لذَّتي، واللهِ لأقتلنَّكَ، وأمر به فجُرَّ ليُقتَلَ.

فقال: أيُّها الملك، اسمع منِّي كلمةً ثمَّ اصنع ما شئتَ. **قال له:** قل.

قال: إذا كانت لذَّتُك شطرين، وقد أبطلتُ أنا بالجَهْل والخطأ أحدَهما، وتُبطِلُ أنتَ على نفسك الشطرَ الآخر بطاعةِ الغضب، فإنَّ جنايتَكَ على نفسك أعظمُ من جنايتي عليك.

---

(١) هذه القصة جاءت في المطبوع في الباب الرابع، وهي في النسخ التي لدينا في هذا الباب في هذا الموضع.

(٢) في (ل، ف): (الجياني). وفي (غ): (الحسن بن محمد بن الحسين الحناني). وليس في باقي النسخ. وقد روى عنه المؤلِّف عدة أخبار في «نشوار المحاضرة» (١/ ٣٤٥)، (٣/ ٧٤-١٠٤). وينظر: «ترتيب الأمالي الخميسية» (١/ ١٩٧).

فقال أبرويز: ما نطقتَ بهذا الكلام في مثل هذا المقام إلَّا لما في أَجَلِكَ من [ض/١٦٦] التأخير، ولما يريدُ الله تعالى إسعادي به من الالتذاذ بالغناء، وقد عفوت عنك، وأمر بإطلاقه(١).

(١) في (ض، ل): (به إسعادك من الالتذاذ بالحياة وقد عفوت عنك فأطلقه).

[٨: ٣١] [خادمُ أحدِ ملوكِ الفُرْس ينجو من القتلِ بذكائِه](١)

حدَّثني الحسين بن محمد الجبَّائي(٢)، **قال:** قرأتُ في بعض كتب الفرس المنقولةِ إلى العربيَّة: أنَّ مَلِكًا من ملوكهم قدَّمَ إليه صاحبُ مائدتِه غَضَارةَ إِسْفِيذَباج(٣)، فنَقَطَتْ منها نقطةٌ على ساعدِ الملِك فأمر بقتلِه.

فقال الرجل: أُعِيذُ الملكَ بالله من أن يقتُلَني ظُلْمًا بغير ذنبٍ قصدتُه.

فقال الملكُ: قتلُكَ واجِبٌ؛ ليتَّعِظَ بك غيرُك، فلا يُهمِلَ الخدمةَ.

فأخذ الرجلُ الغَضَارَةَ فصبَّها بأسرِها على الملكِ، **وقال:** أيُّها الملِكُ كَرِهتُ أن يشيعَ عنك أنَّك قتلتني ظُلْمًا، ففعلتُ هذا لأَسْتَحِقَّ القتلَ، فيزولَ عنك قُبْحُ الأُحدوثَةِ بظُلْمِ الخَدَم، فشأنك الآن وما تُرِيد.

فقال الملك: ما أحصنَ الأجلَ! قد عفوتُ عنكَ، وأنت على شغلك(٤).

---

(١) هذه القصَّة جاءت في المطبوع في الباب الرابع، وهي في النسخ التي لدينا في هذا الباب.

(٢) في (ض، ل): (الحسن بن محمد الحياني -في ل: الجياني).

(٣) **الغَضَارة**: وعاء مصنوع من الطين الحر. ينظر: «لسان العرب» (غ ض ر: ٥/ ٢٣).

والإسفيذباج: نوعٌ من الطعام مكوَّنٌ من اللَّحم المعرَّق بالألية مع الحِمْص، والبصل، والكمُّون، والكسفرة، ومستحلب اللوز. ينظر: «كتاب الطبيخ» لابن الكريم البغدادي (ص: ٣٢).

(٤) (وأنت على شغلك) ليست في (ر).

[٨: ٣٢] [محمَّد بنُ الحنفيةِ ينجو منَ القتلِ][1]

أخبرني محمَّد بن الحسن بن المظفَّر، المعروفُ بالحاتميِّ، **قال:** أخبرني عيسى بنُ عبدِ العزيز الطاهريُّ، **قال:** أخبرني الدمشقيُّ[2]، **عن الزبير بنِ بكَّارٍ، قال:** جَمَعَ ابن الزبيرِ بني هاشمٍ بمكَّةَ، **ثمَّ قال:** لا تمضي الجُمُعةُ حتَّى تبايِعُوا لي، أو أضرب أعناقكم. ثمَّ نَهَضَ قبلَ الجُمُعةِ يُرِيدُ قتلَهم، فناشدَه المِسْوَر بنِ مَخْرَمةَ الزُّهريُّ[3] أن يدعَهم إلى الوقت الذي وقَّتَ لهم، وهو يومُ الجمعة. [ففَعَلَ][4].

فلمَّا كان يومُ الجُمُعةِ دعا محمَّدُ ابنُ الحنفيَّة خادمًا له بغِسْلٍ[5] وثيابٍ، وهو لا يشكُّ في القتل.

---

(١) هذه القصة مثبتة من (ف)، وليست في باقي النسخ، وقد وردت في المطبوع في الباب السابع، وليست في النسخ هناك أيضًا.

(٢) هو أحمد بن سعيد بن عبد الله، أبو الحسن المؤدب الدمشقي، سكن بغداد، وكان صدوقًا، وثَّقه حمزة بن يوسف السهمي، (ت: ٣٠٦هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٨٠)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ٩٨).

(٣) في (ف): (ابنُ المسور)، وفي المطبوع (المسور)، **والصواب**: المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي الزهري، أبو عبد الرحمن، وقد لَحِقَ بابن الزبير بمكَّة، **فكان ابنُ الزبير لا يقطع أمرًا دونَه**، توفي في حصار مكة، وهو يصلي في الحِجْر سنة (٦٤هـ). ينظر: «الاستيعاب» (٣/ ١٣٩٩)، و«تاريخ الإسلام» (٢/ ٧١٧).

(٤) إضافة من المطبوع.

(٥) **الغِسْل** -بالكسر-: ما يُغسَلُ به الرأسُ من سِدرٍ وخِطْمِيٍّ ونحوِ ذلك. ينظر: «مختار الصحاح» (غ س ل).

وقد كان المختارُ بن أبي عبيدٍ بَعَثَ أبا عبد الله الجَدَلي[1] وأصحابَه إليهم، فجاءهم الخبرُ بحال محمَّدِ ابن الحنفيَّةِ، وما دُفِعَ إليه من أمرِ ابنِ الزبير، وقد نزلوا ذاتَ عِرْقٍ، فتعجَّلَ منهم سبعونَ رجلًا حتَّى وافَوا مكَّةَ صبيحةَ يوم الجُمُعةِ، فشهروا السِّلاح، ونادَوا: يا محمَّد.

فبلغَ الخبرُ ابنَ الزبير، فراعَهُ، وتخلَّصَ محمَّدٌ ومَن كان معه، وأرسلَ محمَّدٌ الحَسَنَ بنَ الحسين بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ[2]، فنادى في القومِ الذين أنفذهم المختارُ: مَن كان يرى لله عليه حقًّا فَلْيُشِمْ سَيفَه[3]، فإنَّه لا حاجةَ لي بأمرٍ النّاسُ له كارهون، إن أُعطيتُها عفوًا قَبِلتُها، وإن كَرِهوا لم أجبرهم.

فبعثَ [ابنُ الزبير][4] إلى محمَّدٍ: أنِّي أصالحُكَ على أن تتنحَّى عنِّي إلى أَيْلَةَ[5] فتلحقَ بها، فأجابهُ إلى ذلك، ولَحِقَ بأَيلَةَ، وكفاه الله أمر ابنِ الزبير، وقَبَضَ يدَه عمَّا حاوَلَه من قتلِه وقَتلِ أهلِه[6].

---

(١) شيعيٌّ، صاحبُ رايةِ المختار، اختلف في اسمه، روى عن سلمان الفارسي، وعائشة، وأم سلمة، وثَّقَه ابنُ معين وأحمد. ينظر: «الطبقات الكبرى» (٦/ ٢٢٨)، و«تاريخ الإسلام» (٢/ ١٢٠٥).

(٢) في المطبوع: (وأرسلَ محمدٌ عليَّ بنَ الحسينِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).

(٣) **شامَ السيفَ**: أغمده. ينظر: «لسان العرب» (ش ي م: ١٢/ ٣٣٠).

(٤) إضافة من المطبوع.

(٥) **أَيْلَةُ**: مدينةٌ صغيرة بها زرع، تقع على ساحل البحر الأحمر قرب مدينة العقبة في المملكة الأردنية، وقيل: هي آخر الحجاز وأوَّل الشام. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٢٩٢).

(٦) ينظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (٣/ ٢٨١ - ٢٨٢).

[٨: ٣٣] [أبو دُلَفَ العِجليُّ يتخلَّصُ من القتلِ بمساعدةِ ابنِ أبي دوادَ][١]

وحدَّثني أبي[٢] في المذاكرة بإسنادٍ لا أقومُ عليه؛ لأنَّني لم أكتبه في الحال[٣] **قال**: كان ابتداءُ العداوةِ بين أبي عبد الله أحمدَ بنِ أبي دُوَادَ وبين الإفشين[٤]: أنَّ الإفشين أغرى المعتصمَ بأبي دُلَفَ القاسمِ بنِ عيسى العِجْليِّ[٥]؛ لعداوةٍ كانت بينهما، فسلَّمه إليه المعتصمُ، فأجمع على قتله من يومه ذلك.

فبلغ الخبرُ أبا دُلَفَ، فأرسل إلى ابن أبي دُوَادَ، فاستجارَ به، وعرَّفه ما قد أشرفَ عليه، فجاء ابنُ أبي دُوَادَ إلى المعتصمِ ليسألَه في أمره، فوجده نائمًا، وكَرِهَ

---

(١) هذه القصة جاءت في المطبوع في الباب الخامس، وهي ليست في (ل)، وهي مثبتة من (ف، ر، ح، ن، ض).

(٢) هو علي بن محمَّد بن أبي الفَهم، القاضي أبو القاسم التَّنوخي، والد المصنف، وقد سبقت ترجمته (١/ ١٥٩).

(٣) قوله: (وحدثني أبي... الحال) ليس في (ر).

(٤) **الإفشين**: بكسر الهمزة وفتحها، واسمه خَيْذَر بن كاوس، أحد قواد المعتصم وكبراء أمرائه، وكان بطلًا شجاعًا مِقْدامًا، أرسله المعتصمُ لمحاربة بابك الخُرَّمِيّ، حَبَسَه المعتصم وضيَّقَ عليه، ومُنِعَ الطعام حتَّى مات سنة (٢٢٦هـ). ينظر: «وفيات الأعيان» (٥/ ١٢٣)، و«قلادة النحر» (٢/ ٤٦٧).

(٥) هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمرو بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العُزَّى، أبو دُلف العجلي، أمير الكرج، كان شاعرًا أديبًا، وسمحًا جوادًا، وبطلاً، وشجاعًا، (ت:٢٢٥هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٤/ ٤٠٧).

أن ينبِّهه، وخاف أن يُسرِعَ الإفشين إلى أبي دُلَفَ[1]، فجاءَ إلى الإفشين، **فقال له**: يقول لك أميرُ المؤمنين: بلغني أنَّك تُريدُ أن تُحدِثَ على القاسمِ بن عيسى حادِثةً، ووالله لئن فعلتَ لأقتلنَّك به. ولم يكن المعتصمُ أرسله، ولا قال له شيئًا، فرَهِبَ الإفشينُ أن يقتُلَ أبا دُلَفَ.

وعاد ابن أبي دوادَ إلى المعتصمِ فوجده قد انتبه، **فقال**: يا أميرَ المؤمنين، قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس بكذابٍ مَن أصلح بين اثنين**[2]، **فقال: خيرًا ونَمَى خيرًا**»[3]، وقد أدَّيتُ عنك رسالةً أحييتُ بها أهلَ بيتٍ من المسلمين، وكففت[4] بها أسيافَ[5] خَلقٍ من العرب؛ بلغني أنَّ الإفشين عَزَمَ على قتل القاسم بن عيسى العِجْليِّ، فأديت عنك كذا وكذا، فحَقَنتُ دمَ الرجل، ونَعَشْتُ عيالَه[6]، وكففت عنك عصيانَ عِجْلٍ ومَن يتبعها أن تغضَبَ له، ويتَّفق عليك منها ما تغتمُّ له، والرجل في يده مُشفٍ على القتل.

فقال له المعتصم: قد أحسنتَ. ووجَّه إلى الإفشين أن ابْعَثْ إليَّ بالقاسم بن عيسى. فتخلَّصَه من يده وأطلَقَه.

---

(١) في (ف): (يَشْرَعَ الإفشين في قَتل أبي دُلَفَ).

(٢) في (ف): (الكذاب مَن أصلح بين الناس).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الخرائطيُّ في «مساوئ الأخلاق» (١٧٢)، وأخرجه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥) من حديث أمِّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنها سمعت رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فيَنْمِي خيرًا أو يقولُ خيرًا**».

(٤) في (ف): (ثم دفعت).

(٥) في (ن): (عواديَ).

(٦) **نَعَشَ فُلانًا**: تداركه مِنْ هَلَكَةٍ. ينظر: «تاج العروس» (ن ع ش: ١٧/ ٤١٧).

فوجَّه الإفشينُ إلى أحمدَ بنِ أبي دوادَ: لا تَأْتِنِي ولا تقرَبْني.

فقال للرسول: أتؤدِّي عنِّي كما أدَّيتَ إليَّ؟ **قال:** نعم.

فقال: قل له: ما آتيكَ تعزُّزًا من ذلَّةٍ، ولا تكثُّرًا من قِلَّة، وإنَّما أنت رجلٌ ساعدك زمانٌ، ورفعك سلطانٌ، فإن جئتُك فله، وإن تأخَّرتُ عنك فلنفسك.

۞ أخبرني القاضي محمَّدُ بنُ [أحمدَ بنِ] إسحاقَ [بن][(١)] البهلولِ التنوخيُّ فيما أجاز لي روايتَه عنه بعدما سمعتُه منه، **قال:** حدَّثنا محمدُ بنُ خلفٍ، وكيعٌ القاضي، **قال** حدَّثني موسى بنُ جعفرٍ أخو [نفس][(٢)] الكاتب، **قال:** كان أحمد بن أبي دُوَادَ حين ولي المعتصمُ... **وذَكَرَ حديثًا طويلاً ليس هذا موضعُه، ثم قال فيه:**

وكان سببُ العداوة بين أحمدَ بن أبي دوادَ والإفشين: أنَّ الإفشين أرادَ قتلَ أبي دُلَفَ، القاسمِ بنِ عيسى العِجليِّ، فاستجارَ بابن أبي دوادَ. **ثمَّ ذَكَرَ نحوًا ممَّا ذكرتُه عن أبي،** إلَّا أنَّه لم يقل في خَبَرِه: إنَّ ابنَ أبي دوادَ جاءَ إلى المعتصم فوجده نائمًا ثمَّ عاد فوجده قد انتبه.

وقال في آخر حديثه: وإنَّما أنت رجلٌ رفعتك دولةٌ، فإن جئتُك فلها، وإن قَعَدتُ عنك فلي[(٣)].

---

(١) ما بين معكوفين إضافة من المصادر، وانظر ترجمته (١/ ٢٩١).

(٢) كذا في «أخبار القضاة» لوكيع، وفي (ف) بدون نقط (ييش)، وفي المطبوع: (يعيش).

(٣) ينظر: «أخبار القضاة» لوكيع (٣/ ٢٩٥ - ٢٩٧).

﴿ وأخبرني أبو الفرج الأصبهانيُّ قال: قال أحمدُ بنُ أبي طاهرٍ[1]: كان أبو دُلَفَ القاسمُ بنُ عيسى العجليُّ في جملة مَنْ كان مع الإفشين خَيذَرَ بنِ كاوسَ لمَّا خرجَ لمحاربة بابِكَ[2]، ثمَّ تنكَّرَ له، فوجَّه يومًا مَن جاءَه به ليقتُلَه، وبلغ المعتصمُ الخبرَ فوجَّه إليه بأحمدَ بنِ أبي دوادَ، **فقال له**: أَدْرِكْه، وما أُراكَ تَلْحَقُه، واحْتَلْ في خلاصه منه كيف شئتَ.

قال أحمدُ: فأتيته ركضًا حتَّى وافَيتُه، فإذا أبو دُلَفَ قائمٌ[3] بين يديه وقد أخذ بيدَيه غلامان، فرمَيتُ بنفسي على البساط، وكنتُ إذا جئته دعا بمصلًّى، **فقال**: سبحان الله! ما أجلسك هذا المجلسَ؟

قلتُ: أنت أجلستني هذا المجلسَ، ثمَّ كلَّمتُه في القاسم بن عيسى، وسألتُه فيه وخضعتُ له، وهو لا يزدادُ إلَّا غلظةً، فلما رأيتُ ذلك منه، **قلت**: هذا عبدٌ وقد أغرقتُ في الرِّفقِ به وما ينفعُ، وليس إلَّا أَخذُه بالرَّهْبة، فقمتُ **وقلتُ**: كم تراك

---

(١) هو أحمد بن أبي طاهر، أبو الفضل الكاتب، واسم أبي طاهر: طيفور، كان أحد البلغاء الشعراء الرواة، ومن أهل الفهم المذكورين بالعلم، وله كتاب «بغداد» المصنَّف في أخبار الخلفاء وأيامهم، (ت: ٢٨٠هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٣٤٥).

(٢) **بابك الخُرَّمِيّ**: ظهر في أيَّام المأمون، وعاث وأفسد البلاد والعباد، واستولى على كثير من البلدان، وأراد أن يقيم ملَّة المجوس، فبعث إليه المأمون جيشًا فهزمهم، ولم يزل أمرُه يستفحل إلى أن تولى المعتصم، فوجَّه إليه جيشًا بقيادة الإفشين، فحاربه عدَّة مرات، ولم يزل في طلبه إلى أن أسره وجاء به إلى المعتصم، فأمر المعتصم بقطع يديه ورجليه، ثمَّ قتله وصلبه، وذلك سنة (٢٢٣هـ). ينظر: «مرآة الزمان» (١٤/ ٢٨٢)، و«قلادة النحر» (٢/ ٤٥٤- ٤٥٥).

(٣) في (ف): (قائمًا)، وفي «الأغاني»: (واقف).

قَدَرْتَ في نفسِكَ أن يُقتَلَ أولياءُ أميرِ المؤمنين واحدًا بعد واحدٍ، وتُخالِفُ أمرَه في قائدٍ بعد قائدٍ، وقد حملتُ إليك هذه الرسالةَ عن أمير المؤمنين، فهاتِ الجوابَ.

قال: فذَلَّ حتَّى لَصِقَ بالأرض. **قال:** فأخذتُ بيد القاسمِ **وقلتُ:** أخذتُه بأمر أمير المؤمنين.

فقال: لا تفعل يا أبا عبد الله.

قلتُ: قد فعلتُ. وأخرجتُ القاسمَ وحملتُه على دابَّةٍ ووافَيتُ المعتصِمَ، فلمَّا بَصُرَ بي **قال:** يا أبا عبد الله، بك وَرَيْتُ زِنَادِي، ثمَّ ردَّ عليَّ خبري مع الإفشين حَدْسًا بظنِّه، ما أخطأَ منه حرفاً، ثمَّ سألني هل هو كما قال؟ فأخبرتُه أنْ لم تخطِئ منه حرفًا[1].

وأخبرني أبو عَليٍّ محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ المظفَّر، المعروف بالحاتميِّ، قال: حدَّثني أبي، **قال:** حدَّثني جدُّكَ المظفَّرُ بنُ الحسن، **قال:** حدَّثني أبو العباس بنُ الفُراتِ[2]، **قال: حدَّثني أبو إسحاق إبراهيمُ بن ثَوابَةَ، قال:**

كانَ الإفشينُ نَقَمَ على أبي دُلَفَ العِجْليِّ -وهو مضمومٌ إليه في حَربِ بابكَ- أشياءَ، فلمَّا ظَفِرَ ببابكَ، وقَدِمَ سُرَّ مَن رأى، شكاه إلى المعتصمِ فأمر بحبسه، ففعلَ، ثمَّ سألَ أن يُطلقَ يده عليه فلم يفعل، وكانَ أحمدُ بن أبي دُوَادَ متعصِّبًا لأبي دُلَفَ، **يقول للمعتصم:** إنَّ الإفشينَ ظالِمٌ[3] له، وإنَّما نَقَمَ عليه

(١) ينظر: «الأغاني» (٨/ ٣٩٦)، و«التذكرة الحمدونية» (٩/ ٢٣٧)، و«رفع الإصر عن قضاة مصر» (ص: ٤٩).

(٢) هو أحمد بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، وقد سبقت ترجمته (٢/ ٩٩).

(٣) في (ف): (ظالما).

[نصيحتَه][1] في محاربة بابكَ، وجِدَّه فيها، ودَفْعَه ما كانَ الإفشينُ يذهب إليهِ من مطاولة الأيَّامِ، وإنفاق الأموالِ، وانبساطِ اليد في الأعمال، وتَرْكَه مُتابَعَة ذلك.

فألَحَّ الإفشينُ على المعتصم بالله في إطلاق يَدِه عليه، وكانَ للإفشين قَدْرٌ جليلٌ عند المعتصم، يَدخُل عليه بِغَير إذنٍ.

وقال أبو إسحاق[2]: أخبرنا أحمدُ بن أبي دُوادَ، **قال**: دخلتُ على المعتصم يومًا **فقال**: يا أبا عبدِ الله لم يَدَعْني اليومَ أبو الحسن الإفشينُ حتَّى أطلقتُ يده على القاسم بن عيسى.

فقمت من بين يديه وأنا لا أُبصِرُ شيئًا؛ جَزَعًا على أبي دُلَفَ، وداخَلَني[3] أمرٌ عظيمٌ، وخرجتُ فركبتُ دابَّتي وسرتُ أشدَّ سَيرٍ من الجَوْسَقِ[4] إلى دارِ الإفشين بقُربِ المَطِيرَة[5] أؤمِّلُ أن أُدرِكَ أبا دُلَفَ قبل أن يُحدِثَ عليه الإفشين حادثةً.

فلمَّا بلغت بابَه كرهتُ أن أستأذِنَ فيَعلَمَ أنِّي قد حضرت بسبب أبي دُلَفَ، فيَعْجَلَ عليه، فدخلتُ على دابَّتي إلى الموضع الذي كنتُ أنزل فيه، فأوهمتُ حاجِبَه أنِّي جئتُ برسالةٍ من المعتصم، ثمَّ نزلتُ، فرفع الستَرَ فدخلت فوجدتُ الإفشينَ في مجلسِه وأبو دُلَفَ مُصفَّدٌ بالحديد بين يديه على نِطْعٍ، وهو يُقَرِّعُه

(١) في (ف): (بتصحيحه).

(٢) إبراهيم بن ثوابة.

(٣) في (ر): (ودخلني).

(٤) **الجَوسَق**: القَصرُ. ينظر: «لسان العرب» (ج س ق: ١٠/ ٣٥).

(٥) **المَطِيرَة**: قريةٌ من نواحي سامرَّاء، وكانت من متنزَّهات بغداد وسامرَّاء. ينظر: «معجم البلدان» (٥/ ١٥١).

ويخاطبه بأشدِّ غضبٍ وأغلظِ مخاطبةٍ، فحين قربت منه أمسكَ، فسلَّمتُ وأخذتُ مجلسي، **ثمَّ قلتُ للإفشين**: قد عرفتَ حُرْمتي بأميرِ المؤمنين، وخدمتي إيَّاه، وموضعي عنده، ومَوقِعي من رأيه، وتفرُّدِه بالصنيعة عندي والإحسانِ إلي، وعلمتَ مع ذلك مَيْلي إليك[١] ومحبتي لك، وقد رغبتُ إليكَ فيما يرغَبُ فيه مثلي إلى مثلك ممَّن رفع الله قدره، وأجَلَّ خَطَرَه، وأعلى همَّته.

فقال: كل ما قلت كما قلت[٢]، وكلُّ ما أردتَه منِّي فهو مبذولٌ لك، خلا هذا الجالسَ، فإنِّي لا أشفِّعك فيه.

فقلتُ: ما جئتك إلَّا في أمره، ولا ألتمسُ منك غيرَه، ولولا شدَّةُ غضبك وما تتوعَّدُه به من القتل لكان في جميل عفوك ما أغنى عن كلامك، ولكنِّي لما عرفتُ غيظَكَ وما تَنقِمُه عليه، احتجتُ مع موقعِه منِّي إلى كلامك في أمره، واستيهابِ عظيمِ جُرمِه، إذ كان مثلُكَ في جلالتك[٣] إنَّما يُسألُ جلائلَ الأمور.

فقال: يا أبا عبد الله هذا رجلٌ طلب دمي، ولم يقتصر على[٤] إزالةِ نعمتي، فلا سبيلَ إلى تشفيعك فيه، ولكن هذا بيتُ مالي، وهذه ضياعي وكلُّ ما أملك بين يديك، فخُذْ من ذلك ما أردتَ.

---

(١) في (ف) زيادة: (فيما يرغب فيه مثلي إليك).

(٢) (كما قلت) ليست في (ف).

(٣) في (ف): (جلالته).

(٤) (يقتصر على) في (ف): (يقنعه).

فقلت: بارك الله لك في مالك وثمَّرَها لك، لم آتِ لهذا، وإنَّما أتيتُ في مكرمةٍ يبقى لك فَضْلُها وحُسْنُ أحدوثتها، وتعقد بها مِنَّةً في عنقي لا أزالُ مُرتَهنًا بشكرها.

فقال: ما عندي في هذا شيءٌ البتَّة.

فقلت له: القاسمُ بن عيسى فارسُ العرب وشريفُها، فاسْتَبْقِه وأَنْعِمْ عليه، فإن لم تَرَه لهذا أهلًا فهبه للعرب كلِّها، وأنت تعلمُ أنَّ ملوكَ العجمِ لم تزل تتفضَّلُ على ملوك العرب، ومن ذلك ما كان من **كسرى** إلى **النُّعمان** حين ملَّكه[1]، وأنت اليومَ بقيَّةُ العجم وشَرِيفُها، والقاسمُ شريفُ العرب، فكن اليومَ شريفًا من العجم أَنْعَمَ على شريفٍ من العرب وعفا عنه.

فقال: ما عندي في هذا جوابٌ إلَّا ما سَمِعتَه. وتنكَّر، وتبيَّنتُ الشرَّ في وجهه، **فقلتُ في نفسي**: أنصرف وأَدَعُ هذا يقتل أبا دُلَفَ! لا والله، ولكن أَمْثُلُ بين يديه قائمًا وأسألُه، فلعلَّه يستحيي، فقمت، وتوهَّمَني أريد الانصرافَ، فتحفَّزَ لي، **فقلت**: لستُ أريد الانصراف، وإنَّما مَثَلْتُ بين يديك قائمًا طالبًا راغبًا ضارعًا سائلًا مستوهبًا هذا الرجلَ منك.

فكان جوابُه أغلظ، فتحيَّرتُ، **وقلتُ**: أنكبُّ على رأسِه فأقبِّلُه، فدَخَلَني من ذلك أنفةٌ شديدةٌ، **وقلتُ في نفسي**: أُقَبِّلُ رأسَ هذا الأقلف[2]! لا يكون هذا أبدًا.

---

(١) **كسرى** هو أنوشروان بن قباذ بن فيروز، وقد سبقت ترجمته (١/ ٢٢٤)، **والنعمان**: هو النُّعمان بن المنذر اللخمي، وقد سبقت ترجمته (٢/ ١٠)، وأنو شروان هو الذي ملَّك النعمان على العرب. ينظر: «البدء والتاريخ» (٣/ ٢٠١)، و«عمدة القاري» (٢/ ٢٨).

(٢) **الأقلف**: هو الذي لم يُختَن. ينظر: «مختار الصحاح» (ق ل ف).

ثم راجَعَتْني الشفقةُ على أبي دُلَفَ، فقبَّلتُ رأسَه وضَرَعتُ، فلم يُجِبْني، فأخذني ما قَدُمَ وما حَدُثَ[1]، وعدتُ فجلستُ، **وقلت**: يا أبا الحسن قد رَغِبْتُ[2] إليك وضَرَعتُ، ووضَعتُ خدِّي لك، ومَثَلْتُ بين يديك، وقبَّلتُ رأسَكَ، فشفِّعْني، واصْرِفْني شاكرًا، فهو أجملُ لك.

قال: لا والله، ما عندي غيرَ ما قلتُه لك.

فقلتُ له: فإنِّي رسولُ أمير المؤمنين إليك، وهو يقولُ لك: لا تُحدِثَنَّ في القاسم بنِ عيسى حَدَثًا، فإنَّكَ إن قَتَلتَه قُتِلْتَ به.

قال: أميرُ المؤمنين يقول لك هذا بعد أن أطلق يدي عليه!

قلتُ: نعم، أنا رسوله إليك بما قلتُه لك، فإن كنتَ في الطاعة فاسمع وأَطِعْ، وإن كنتَ خلعتَ الطاعةَ فقل: لا طاعة. ونَفَضْتُ يدي في وجهه، ونَهَضْتُ.

[ر/١١٥] فاضطربَ حتَّى لم يقدر أن يدعوَ لي بدابَّتي، وركبت فأَغْذَذْتُ السير[3] إلى المعتصم لأخبرَه بالخبر وما اضطررتُ إليه من تأديةِ رسالةٍ باطلةٍ عنه؛ لأنِّي علمتُ أنَّه لم يقل لي ما قاله إلَّا وهو يحبُّ استبقاءَ أبي دُلَفَ، فانتهيتُ إلى الجَوْسَقِ في وقتٍ حارٍّ، والحُجَّاب جميعًا نيامٌ، والدار خاليةٌ، فدخلتُ حتَّى انتهيت إلى سترِ الدار التي فيها المعتصمُ، فجلستُ، **وقلت**: إن جاء الإفشينُ دخلتُ معه وتكلَّمتُ، وإن سَهُلَ[4] الوصولُ أخبرتُ أميرَ المؤمنين بالخبر كلِّه.

---

(١) أي: الحُزْنُ والكَآبَةُ، يُرِيدُ أنَّه عاوَدَته أحزانُه القديمةُ واتَّصَلَت بالحديثَةِ. ينظر: «تاج العروس» (ق د م: ٣٣/ ٢٣٨).

(٢) في (ن، ر): (طلبت).

(٣) **أغذذتُ السيرَ**: أسرعته. ينظر: «كتاب الأفعال» لابن القوطية (ص: ٢٧).

(٤) في (ن، ر): (سأل).

فبينا أنا كذلك إذ خرج خادمٌ صغيرٌ من وراء الستر، ثمَّ دَخَلَ وخَرَجَ، **فقال**: ادخُلْ. فدخلتُ، فإذا المعتصمُ جالسٌ، فسلَّمتُ، **وقلت**: يا أمير المؤمنين، أما لي حرمة، أما لي ذِمامٌ، أما لي حقٌّ، أما في فضل أميرِ المؤمنين عليٍّ ونعمتِه عندي ما يجب رعايته؟

فقال: ما لك يا أبا عبد الله؟ ما قصَّتُك؟ اجلس.

فجلستُ، **ثمَّ قلتُ**: يا أميرَ المؤمنين، إنَّك قلتَ لي اليومَ في القاسم بن عيسى قولًا علمتُ أنَّك تريدُ استنقاذَه، وحقنَ دمِه، فمضيتُ من فَورِي إلى أبي الحسن الإفشين. ثمَّ قَصَصْتُ عليه القصَّة إلى موضعِ الرسالةِ التي أدَّيتُها إليه عنه، وهو في كلِّ ذلك يتغيَّظُ ويَفتِلُ سِبالَه[1]، حتَّى إذا أردتُ أن أُعَرِّفَه الرسالةَ التي أدَّيتُها إليه عنه، قَطَعَ كلامي، **وقال**: يمضي قاضيَّ وصنيعتي أحمدُ بن أبي دُوَادَ إلى خَيْذَر[2] فيخضعُ له ويقفُ بين يديه ويُقبِّلُ رأسَه، فلا يُشَفِّعُه! قتلني الله إن لم أقتله. يكرِّرُها.

فما استوفى كلامَه حتَّى رُفِع السترُ ودخل الإفشينُ، فلَقِيَه بأكثرِ البرِّ والإكرام، وأجلسه بقُربِه، **وقال**: في هذا الوقتِ الحارِّ يا أبا الحسن؟

فقال: يا أميرَ المؤمنين رجلٌ قد عرفتَ ما نالني منه، وأنَّه طلبَ دمي، وقد أطلقتَ يدي عليه، ثمَّ يجيئني هذا ويقولُ إنَّك بعثتَ به إليَّ تأمرني أن لا أُحدِثَ فيه حدثًا، وأنِّي إن قتلتُه قُتِلتُ به؟

(١) أي: شاربه. ينظر: «لسان العرب» (س ب ل: ١١/ ٣٢٢).

(٢) في (ن): (جنديَّ)، والصواب المثبت، لأن المقصود به الأفشين واسمه: خيذر بن كاوس.

قال: فغضب المعتصمُ، **وقال**: نعم، أنا أرسلتُه إليك فلا تُحدِثْ على القاسم بن عيسى حَدَثًا.

فنَهَضَ الإفشينُ مغضبًا يُدَمدِمُ، واتَّبَعتُه لأتلافاه، **فصاح بي المعتصمُ**: ارْجِعْ يا أبا عبد الله. فرجعت، **وقلتُ**: يا أميرَ المؤمنين، إنَّه كان بقيَ ممَّا جرى شيءٌ قطَعتَني بكلامك عنه.

قال: تعني الرسالة؟ **قلت**: نعم.

قال: قد فَهِمتُها، والقاسمُ بنُ عيسى يوافيك العشيَّة، فاحذَرْ أن تتفوَّه بشيءٍ ممَّا جرى.

ومضى الإفشينُ فأطلقَ القاسمَ بنَ عيسى وخلعَ عليه، فجاءني القاسمُ من عشيَّةِ ذلك اليوم، وما أخبرتُ بالحديث أحدًا حتَّى قُتِل الإفشينُ، ومات المعتصم(١).

(١) (ومات المعتصم) ليست في (ف). ينظر: «أنس المسجون وراحة المحزون» (ص: ١٦٤-١٦٨).

[٨: ٣٤] [المعتصمُ يعفو عن تميم بنِ جميلٍ الخارجيِّ]

وجدتُ في بعضِ الكتب: قال أحمدُ بن أبي دُوَادَ: ما رأيتُ رجلًا قطُّ أشرفَ على الموت(١) فما أَذْهَلَه ولا شَغَلَه عمَّا أراده حتَّى بَلَغَه وخَلَّصَه الله تعالى من القَتل، إلَّا تميمَ بنَ جميلٍ الخارجيَّ(٢)، فإنِّي رأيتُه بين يدي المعتصمِ بالله، وقد بَسَطَ له النِّطْعَ وانتضى السيفَ(٣)، وكانَ رَجُلًا جَسِيمًا وَسِيمًا، فأحبَّ المعتصمُ أن يَسْتَنطِقَه لينظُرَ أينَ مَخْبَرُه من مَنْظَرِه(٤)، فقال له: يا تَميم، إن كانَ لك حجَّةٌ فأتِ بها(٥).

فقال: أمَّا إذ أَذِنَ أميرُ المؤمنينَ في الكلام، فأقول: الحمد لله ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ

---

(١) (أشرف على الموت) في (ر): (عاين الموت).

(٢) (الخارجيَّ) مثبتة من (ف)، وليست في النسخ، وفي «المستجاد» (ص: ١١٧): (الخارجي السدوسي)، وفي «المجموع اللفيف» (ص: ٢٢٦): (الأوسـي)، وفي «بدائع البدائه» (ص: ١٨٩): (التغلبي)، وفي «أنس المسجون» (ص: ١٤٢): (الطوسي)، وهو تميم بن جميل السدوسي، أقام بشاطئ الفرات، واجتمع إليه كثير من الأعراب، فعظم أمره، وبعد ذكره؛ فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق في النهوض إليه، فتبدّد جمعه، وظفر به فحمله موثقًا إلى باب المعتصم. ينظر: «زهر الآداب وثمر الألباب» (٣/ ٨٣٩).

(٣) في المطبوع زيادة: (فجعل تميم ينظر إليهما، وَجعل المعتصم يصعد النّظر فيهِ، ويصوبه).

(٤) (مخبره من منظره) في (ض، ل): (منظره من مخبره).

(٥) (يا تَميم، إن كانَ لك حجَّةٌ فأتِ بها) في (ر): (تكلم).

مَّهِينٍ ﴾[السجدة: ٧ - ٨]، يا أميرَ المؤمنينَ، جَبَرَ اللهُ بك صَدْعَ الدِّين، ولمَّ بك شَعَثَ المُسلمين، إنَّ الذُّنوبَ تُخرِسُ الأَلسِنَة، وتَخْلَعُ[١] الأفئدةَ، وايمُ اللهِ، لقد عَظُمَت الجَرِيرَةُ، وانقطعتِ الحُجَّة، وساء الظَّنُّ، ولم يبقَ إلَّا عفوُكَ أو انتقامُك[٢]، ثم أنشأ يقول[٣]: [من الطويل]

أَرَى الموتَ بَينَ السَّيفِ والنِّطعِ كامِنًا ... يُلاحِظُنِي مِـنْ حَيثُ ما أتلفَّتُ
وأَكـثَـرُ[٤] ظَنِّي أَنَّـكَ اليَومَ قَاتِلي ... وأَيُّ امْـرِئٍ ممَّا قَضَى اللهُ يُفْلِتُ
وأَيُّ امْـرِئٍ[٥] يُدْلي بِعُذرٍ وَحُجَّةٍ ... وَسَيفُ المَنَايَا بينَ عَينَيهِ مُصْلَتُ
وَمَا جَزَعِي من أن[٦] أَموتَ وإِنَّني ... لَأَعْـلَـمُ أنَّ المَوتَ شَـيءٌ مؤقَّتُ
وَلَكِنَّ خَلْفِي صِبْيَةً قَدْ تَرَكتُهُمْ ... وأَكْـبـادُهُـمْ مِـنْ حَـسْـرَةٍ تَتَفَتَّتُ
كَأَنِّي أَرَاهُـــمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيهِمُ ... وَقَد لَطَمُوا تلكَ الخُدُودَ[٧] وَصَوَّتُوا
فَإِنْ عِشْتُ عاشُوا سالمين بِغِبْطَةٍ[٨] ... أَذُودُ الرَّدَى عَنهُمْ وَإِنْ مِتُّ مُوِّتُوا

---

(١) في (ف): (وتصدع).
(٢) (أو انتقامك) في (ل): (وإبقاؤك).
(٣) (ثم أنشأ يقول) في (المطبوع): (وأرجو أن يكون أقربهما مني وأسرعهما إليَّ أولاهما بإمامتك، وأشبههما بخلافتك، وأنت إلى العَفو أقرب، وهو بك أشبه وأليق، ثمَّ تمثل بهذهِ الأبيات).
(٤) في (ض): (وأكبر).
(٥) (وأي امرئ) في (ف): (فمن ذا الذي).
(٦) (من أن) في (ض، ل): (أني).
(٧) (لطموا تلك الخدود) في (ر): (خدشوا تلك الوجوه).
(٨) في (ر): (خَافِظِينَ بِغِبْطَةٍ)، وفي (ض): (في سرور ونعمة).

فَكَمْ قَائِلٍ: لا يُبعِدُ اللهُ دَارَهُ   وَآخَرُ جَذْلانٌ[1] يُسَرُّ وَيَشْمَتُ
يَعِزُّ على الأَوْسِ بنِ تَغلِبَ مَوْقِفٌ   يُهَزُّ عليَّ السَّيفُ فيهِ وأَسْكُتُ[2]

قال: فبكى المعتصمُ، ثمَّ قال: «إنَّ مِنَ البَيانِ لَسِحْرًا» كما قال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3]، ثمَّ قال[4]: يا تَميمُ كاد واللهِ أن يَسبِقَ السَّيفُ العَذَل[5]، وقد وهبتُكَ للهِ ولِصِبْيَتك[6].

ثمَّ أمرَ بفَكِّ قيودِه، وخَلَعَ عليهِ، وعَقَدَ له على سَقْيِ الفُرات[7].

---

(١) جَذِلَ: فَرِحَ، فهو جذلان. ينظر: «مختار الصحاح» (ج ذ ل).

(٢) هذا البيت من (ض)، وليس في باقي النسخ. وقد نُسِبَتْ هذه الأبياتُ في «معجم البلدان» (٣/ ٣٥)، و«فوات الوفيات» (٣/ ٢٣٢)، لمالك بن طوق التغلبي وكان قد خرج على الرشيد.

(٣) أخرجه البخاري (٥١٤٦) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) قوله: (فبكى المعتصم... ثمَّ قال) في (ر، ض): (فاستعبر المعتصم ثم قال).

(٥) وهو من أمثال العرب، قاله ضَبَّةُ بن أد عندما لامَهُ الناسُ في قَتْلِ قاتلِ ابنِه في الأشهر الحرم. ينظر: «أمثال العرب» للضبي (ص: ٤٨).

(٦) قوله: (كاد والله... ولصبيتك) في (ض، ل): (قد عفوت عن الهفوة ووهبتك للصبية).

(٧) ينظر: «المستجاد» (ص: ١١٧)، و«العقد الفريد» (٢/ ٣٢)، و«المجموع اللفيف» (ص: ٢٢٧)، و«أنس المسجون» (ص: ١٤٢)، و«التوابين» لابن قدامة (ص: ١٦٥).

[٨: ٣٥] [معنُ بنُ زائدةَ يعفو عن أسراه][1]

وجدتُ في بعض الكتب: عن عُمَرَ بنِ شَبَّةَ **قال:** أُتِيَ معنُ بنُ زائِدَةَ[2] بثلاث مئَةِ أسيرٍ، فأمر بِضَربِ أعناقِهم، فأُحضِرَ سيفٌ ماضٍ وسيَّافٌ ونِطْع.

وقُدِّمَ واحِدٌ مِنهُم فَقُتِل، ثمَّ قُدِّمَ غُلامٌ من بعضِ الأسرى[3]. **فقال:** يا معن، لا تقتل أسراكَ وهم عطاشٌ.

فقال: اسقوهم ماءً. فشربوا، فقام الغلامُ **فقال:** أيها الأَميرُ، لا تقتل[4] أضيافك.

فقال: خَلُّوا عنهم. فأُطْلِقُوا جميعًا[5].

---

(١) هذه القصة ليست في (ض، ل)، وأثبتناها من (ف، ر، ن).

(٢) قوله: (وجدت في... بن زائِدَة) في (ر): (وقال: أتي معن بن زائدة).

(٣) (من بعض الأسرى) في (ف): (كان فيهم)، وفي (ن): (كان فيهم يَفَعَة).

(٤) (لا تقتل) كذا في (ر، ف)، وفي المطبوع: (أتقتل)، وفي (ن): (لقد أطمعتنا في السؤال وإن لكلِّ كبدٍ حرَّى أجرٌ، ونحن والله جياعٌ، فإن رأيتَ أن تُشْبِعَنا قبلَ قتلنا فافعل. فأمر لهم بطعامٍ فأكلوا، فلمَّا شَبِعوا قام الغلام فقال: أيها الأمير، كنَّا أسراك والآن صرنا).

(٥) ينظر: «المستجاد» (ص: ١٩١)، و«العقد الفريد» (٢/ ٤٤).

[٨: ٣٦] [فتًى بغداديٌّ ينجو من القتلِ بعد مقتلِ نازوك][١]

أخبرني محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ المظفَّرِ، قال: أخبرني الطيب بن سيما، **قال:** أخبرني بعضُ إخواننا، **قال:** حضرتُ للعرضِ في مجلس جانبِ الغربيِّ ببغداد[٢] أيَّام نازوكَ، فأخرجَ خليفَةُ نازوكَ على المجلسِ جماعَةً فقتلهم[٣].

ثمَّ أحضرَ غُلامًا حَدَثَ السِّنِّ، مُقْتَبَلَ الشبابِ[٤]، فرأيتُه يبتسمُ لمَّا وقفَ بين يَدي خليفةِ نازوك.

فقلتُ له: يا هذا، أحسبكَ رابِطَ الجأشِ؛ لأنِّي أراك تضحكُ في مقامٍ يوجِبُ البكاءَ، فَهَل في نفسِك شيءٌ تشتهيه؟

قال: نعم، أُريد رأسًا حارًّا وفالوذجًا ورُقاقًا[٥].

فسألتُ صاحبَ المجلسِ أن يُؤَخِّر قَتلَه إلى أن أُطعِمهُ ذلك، ولم أَزَلْ أُلاطِفُه إلى أن أجابَ، وهو يضحكُ منِّي، **ويقول:** أيُّ شَيءٍ ينفع هذا، وهو يقتلُ بعد ساعةٍ!

---

(١) هذه القصة ليست في (ر، ض، ل)، وأثبتناها من (ف، ج).

(٢) في (ج): (حضرتُ العرضَ في المجلِس بالجانِب الشَّرقي بِبَغداد).

(٣) (فقتلهم) في (ج): (فقتل بعضهم).

(٤) أي: في أوَّل شبابه. ينظر: «معجم ديوان الأدب» (٢/ ٤١٦).

(٥) **الرُّقاق**: الخبز الرقيق. ينظر: «مختار الصحاح» (ر ق ق).

قال: وأنفذتُ مَن أَحْضَرَ الجميعَ بِسُرعَةٍ، وأُفْرِدَ الفَتى، فَجَلَسَ يأكُل غيرَ مكترثٍ بالحال، والسيَّافُ قائِمٌ، والقَومُ يقدَّمونَ فَتُضرَبُ رقابهم[(١)].

فقلت: يا فتى، أراك تَأكُل بسكون جأشٍ، وقلَّةِ فكرٍ.

فَأخذ خَزَفَةً من الأرض فرمى بها رافعًا يده، **وقال وهو يضحك**: يا هذا، إلى أن تسقطَ هذه إلى الأرض مئَةُ فَرَجٍ.

قال: فوالله ما استتمَّ كلامَه حتَّى وقعت ضجَّةٌ[(٢)] عَظيمَةٌ، وقيل: قد قُتِلَ نازوك. وأغارت العامَّةُ على المجلس[(٣)]، وكسروا الحبسَ، وأخرجوا جميعَ مَن كانَ فيه.

واشتغلت أنا[(٤)] بنفسي، حتَّى ركبتُ دابَّتي وصرتُ إلى الجسرِ أُريد منزلي[(٥)]، فوالله ما توسَّطتُه حتَّى أحسستُ بإنسانٍ قد قبض على ضَبْعي[(٦)] من ورائي، فالتَفَتُّ فإذا الفَتى، فهنَّأته بالسلامة[(٧)]، وأخذ يشكرني على فعلي معه، وحال الزحامُ بيننا، وكانَ آخرَ العهد به.

---

(١) في (ج): (أعناقهم).

(٢) في (ج): (صيحة).

(٣) في (ج): (على الموضع فوثبوا بصاحب المجلس).

(٤) في (ج) زيادة: (عن الفتى وجميع الناس والأشياء).

(٥) في (ج) زيادة: (في الجانب الغربي).

(٦) **الضَّبْع**: العَضُد. ينظر: «مختار الصحاح» (ض ب ع).

(٧) قوله: (فالتَفت... بالسلامة) في (ج): (برفق وقال: يا هذا ظَنُّنا بالله عَزَّوَجَلَّ أجمل فكيف رأيت لطيف صنعه؟).

[٨: ٣٧] [يحيى بنُ خالدٍ البرمكيُّ ينجو من القتل]

وقرأتُ في بعض الكتب: كان موسى الهادي قد طالبَ أخاهُ هارونَ أن يَخْلَعَ نفسَه من العَهد؛ ليُصَيِّره لابنِه من بعده، ويخرجَ هارونُ من الأمر، فلم يُجِبْ إلى ذلك.

فأحضرَ يحيى بنَ خالِدٍ البَرمَكيَّ، ولَطَفَ به، ودارَاه، ووعَدَهُ ومَنَّاه، وسألَه أن يُشيرَ على هارونَ بالخَلعِ، فلَمْ يُجِبْ يحيى إلى ذلك، ودافَعَه عنه.

فتهدَّدَه الهادي وتوعَّدَه، وجَرَتْ بينهما خطوبٌ كثيرة[١]، وأشفى يحيى معه على الهَلاك، وهو مُقيمٌ على مدافَعَتِه عن صاحبه.

إلى أَنْ اعتلَّ الهادي علَّتَه الَّتي ماتَ فيها، واشتدَّتْ به، فدعا يحيى، **وقال له**: ليسَ يَنفَعني معك شيءٌ، وقد أفسدتَ أخي عَليّ[٢]، حتَّى امتنعَ ممَّا أُرِيدُه، وواللهِ لأقتُلَنَّكَ. ثمَّ دعا بالسَّيفِ والنِّطْع، وأُبْرِكَ يحيى لتُضرَبَ عُنُقُه.

فقالَ له إبراهيمُ بنُ ذكوانَ الحَرَّانيُّ: يا أمير المؤمنينَ: إنَّ ليحيى عندي يدًا، أُريد أن أُكافِئَه عليها، فأُحِبُّ أن تَهَبَه اللَّيلَةَ لي، وأنتَ في غَدٍ أعلى عينًا[٣] وما تَراه في أمرِه.

---

(١) **الخُطُوب**: جمع خَطْبٍ، وهو الأمر الشديد. ينظر: «المصباح المنير» (خ ط ب).
(كثيرة) ليست في (ر)، وفي (ل): (خطوب طويلة)، وفي (ف): (محاورات طويلة).

(٢) (عليَّ) في (ض، ل): (وقوَّيت نفسَه).

(٣) (أعلى عينًا) ليست في (ف).

فقال: وما فائِدَةُ ليلةٍ؟

فقال: إمَّا أن يعودَ[١] صاحبُه إلى إرادتك يا أميرَ المُؤمنينَ، أو يَعْهَد في أمر نفسِه وولده. فأَجابَهُ.

قال يحيى: فأُقِمتُ عن النِّطع، وقد أيقنتُ بالموتِ، وعلمتُ أنَّه لم يَبْقَ من أَجَلي إلَّا بقيَّةُ اللَّيلَةِ، فلم يَكْتَحِلْ جَفْني بغُمْضٍ[٢] إلى السَّحَر.

ثمَّ سَمِعتُ صَوتَ القُفلِ يُفتَحُ عنِّي، فلم أشكَّ أنَّ الهادي قد استدعاني للقَتل، لمَّا انصَرفَ إبراهيمُ كاتِبُه، وانقَضَتِ اللَّيلَةُ؛ فإذا بخادمٍ قد أقبلَ، **وقال:** أَجِب السيِّدَةَ.

فقلت: ما لي وللسيِّدة؟ **فقال:** قُم. فأتيتُ الخَيْزَرانَ[٣].

فقالت لي: إنَّ أميرَ المؤمنين[٤] قد ماتَ، ونحن نساء، فادْخُل فأصلح شأنه، وأَنْفِذْ إلى هارونَ فَجِئْ به.

فدخلتُ، فإذا هو مَيِّتٌ على[٥] فراشه، وأَمَةُ العَزِيزِ[٦] تبكي عند رأسه، فغمَّضتُه وشددتُ لَحْيَيه، وحَمِدتُ الله تعالى على لطيف صُنعِه، وتفريجِه عنِّي ما كنت فيه، وبادرتُ إلى هارونَ، فَوَجَدتُه نائِمًا، فأيقظتُه.

---

(١) في (ض، ل): (ربما إنه يقود).

(٢) (فلم يَكْتَحِلْ جَفْني بغُمْضٍ) في (ف): (فما اكتحلتُ بنومٍ).

(٣) هي الخيزران زوجة المهدي وأمُّ ولده الهادي والرشيد، (ت: ١٧٣هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٦١٦/١٦).

(٤) (أمير المؤمنين) في (ض): (موسى الهادي).

(٥) (هو ميت على) في (ض، ل): (به ميتًا فوق).

(٦) هي جاريةُ الهادي وأمُّ ولده، ثمَّ بعد موت الهادي تزوَّجها الرشيدُ، فولدت له علي بن الرشيد. =

[ر/١١٦]

فَلَمّا رَآني، عَجِبَ، **وقال**: وَيحكَ، ما الخَبَر؟

فقلت: يا أميرَ المؤمنينَ، قُم إلى دار الخلافة.

فقال: ماتَ موسَى؟ **قلت**: نعم.

فقال: الحمد لله، هاتوا ثيابي. فإلى أن لَبِسَها، جاءَني مَنْ عرَّفني سرًّا أنَّه قد ولِدَ له ولدٌ من مَراجِلَ[1]، ولم يكن عرف الخَبَرَ، **فقلت**: أقرَّ الله عينكَ يا أميرَ المؤمنين بابنٍ من مَرَاجِلَ. فحمد الله تعالى كثيرًا، وسَمَّاهُ **عبدَ الله**، وهو **المأمون**.

فيقال: إنَّها سُمِّيَتْ تلك **الليلةُ البيضاءَ، مات خليفةٌ، ووُلِّيَ خليفةٌ، ووُلِدَ خليفة**[2].

فَرَكِبَ -وأنا معه- إلى دار الخلافَة[3].

= ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٢٢٨).

(١) هي أمُّ وَلَدِ الرشيدِ، ولدت له عبد الله المأمون. ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٣٦٠).

(٢) وذلك سنة (١٧٠هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١١/ ٤٣٠).

(٣) ذكر المؤلِّف القصَّةَ في الباب الثالث بنحوٍ من هذا. ينظر: (١/ ٣٢٧).

[٨: ٣٨] [قاطعُ طريقٍ نجّاه اللَّهُ منَ القتلِ بمعروفٍ صَنَعَه][(١)]

حدَّثني الشريفُ أبو الحَسَنِ محمَّدُ بنُ عمر بن يحيى العلويُّ الزَّيْدِيُّ[(٢)]، قال: لما حصلتُ مَحبوسًا بقلعة خَسْتَ بنواحي بلادِ سابور من فارس[(٣)]، حين حَبَسَني بها عضدُ الدولة، وكانَ صاحبُ القلعةِ الَّذي أنا مُسْلَمٌ إليه يُؤنِسُني بالحديثِ.

فحَدَّثَنِي يومًا: أنَّ هذه القلعةَ كانت في يدِ رجلٍ كانَ راعيًا بهذه البلاد، ثمَّ صارَ لِصًّا، فاحتوى عليها، فصارَتْ له مَعقِلًا، وانضمَّ إليه اللُّصوصُ، وكان يَصِيرُ بهم إلى النواحي، فَيخرجونَ، ويقطعون الطَّرِيقَ، وينهبون القُرَى، ويُفسِدُون ويقتلون، ويعودون إلى القلعة، فلا تُمكِنُ فيهم حيلَةٌ، إلى أن قَصَدَهُم أبو الفضلِ ابنُ العميد[(٤)]، وحاصَرَهم مُدَّةً، وافتَتَحَها، وسلَّمَها إلى عَضُد الدولة.

---

(١) هذه القصة ليست في (ر)، وهي مثبتة من (ض، ل، ف).

(٢) أبو الحسن العلوي، من أهل الكوفة، سكن بغداد، وكان المقدَّم على الطالبيِّين في وقته، والمنفرد في علوِّ محلِّه، مع المال واليسار، (ت: ٣٩٠هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٤/ ٥٤).

(٣) خَسْت: ناحيةٌ من بلاد فارس قريبةٌ من البحر، ويقال لها أيضًا: (خَوْست). **وسابور خوست**: مدينة وقلعة مشهورة في جبال اللُّر من همذان وخوزستان. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٣٧٠، ٤٠٦)، و«المشترك وَضْعًا والمفترق صَقْعًا» (ص: ٣٣٨).
وفي (ض، ل): (حراست) ولعلها تصحيف (خوست).

(٤) هو محمَّد بن الحسن، **والعميد** لقب والده، لقَّبوه بذلك على عادة أهل خراسان في إجرائه مجرى التعظيم، وكان فيه فضل وأدب وله ترسل، **وأمّا** ولده أبو الفضل فإنَّه كان وزير ركن =

قال: وكانَ في محاصرةِ أبي الفضلِ لهم رُبَّما نزلوا فحاربوه، فظَفِرَ منهُم في وقعَةٍ كانَت بينَهُ وبينَهم بنحوِ خمسين رجلًا، فأرادَ قَتْلَهم قِتْلةً يُرهِبُ بها باقي مَن في القلعة.

[ض/١٧١] وكانت القلعةُ على جبلٍ عَظيمٍ، حِيَالُه بالقُربِ منه[١] جبلٌ آخَرُ أعظمُ منهُ، عليهِ نَزَلَ أبو الفضل.

فأمر بالأسرى فرُمُوا منه وهم مُقَيَّدُون مُكَتَّفُون[٢]، فرمى واحدًا واحدًا من رأس الجبل الذي هو عليه إلى الموضع الذي بينه وبين الجبل الذي عليه القلعةُ، فيَصِلُ الواحد منهم إلى القَرارِ قِطَعًا، قد قطَّعَته الأضراسُ الخارِجَةُ من[٣] الجَبَل والحجارة.

فَفَعَل ذلك بجميعهم، حتَّى بَقِي غُلامٌ قد[٤] بَقَلَ وَجهُه[٥]، فلمَّا طُرِحَ وَصَلَ إلى الأَرض سالمًا، ما لحِقَه مكروهٌ، وقد انقطع أكثرُ[٦] كِتافِهِ، فقام الغلامُ يمشي في قَيدِهِ يطلُبُ الخلاصَ.

= الدولة الحسن بن بويه الديلمي والد عضد الدولة، وكان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم، وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه، وكان يسمَّى الجاحظ الثاني، (ت: ٣٦٠هـ). ينظر: «وفيات الأعيان» (٥/ ١٠٣).

(١) (منه) ليست في (ض، ل).

(٢) في (ف): (فأمر بالأسارى فرمي بهم من رأس الجبل الذي هو عليه وقيِّدوا وكتفوا).

(٣) في (ف): (في).

(٤) في (ض، ل): (حين).

(٥) **بَقَلَ وَجْهُ الغُلامِ**: خَرَجَتْ لِحْيَتُهُ. ينظر: «مختار الصحاح» (ب ق ل).

(٦) في (ف): (تقطع حبل).

فكبَّرَ الديلَمُ[1]، وأَهْلُ العَسكَرِ[2] استعظامًا للصورة، وكبَّرَ أهل القلعة، فاغتاظَ أبو الفضلِ، وأَمَرَ بردِّ الغُلام، فنزل مَنْ جاءَ به، فأمر أن يُكتَفَ ويُرْمَى ثانيةً.

فسأله مَن حضَرَ من الوجوه أن يعفوَ عن الغُلامِ، فلم يفعل، وألَحُّوا عليه، فحلفَ أنَّه لا بُدَّ أن يطرحَه ثانية، فأمسَكُوا.

فَطُرِحَ الغُلامُ، فلمَّا بلغ القَرارَ قامَ يمشي سالمًا، وارتفع من التهليل والتَّكبيرِ والصياحِ أضعافُ ما ارتَفع في الأُولى.

وقال له الحاضِرونَ عنده: هل بعد هذا شيءٌ؟ وسألوه العفوَ عنهُ، وبكى بعضُهم.

فاستحيَا أبو الفضل وَعَجِبَ، **وقال:** رُدُّوهُ آمِنًا. فَردُّوهُ، فأمر بقيودِهِ فنُزِعَت، ودعا بثيابٍ فطُرِحَتْ عليه، **وقال له:** اصدُقْني عن سريرتك مع الله عَزَّوَجَلَّ، الذي نجَّاكَ بها هذه النجاةَ الطريفة.

قال: ما أعلمُ لي حالًا مع الله يُوجِبُ هذا، أنا[3] كنتُ غُلامًا أَمْرَدَ مع أستاذي فلان، الَّذي هو أحدُ مَن قُتِلَ السّاعَةَ، وكانَ يأتي منِّي الفاحِشَةَ، ويُخرِجُني معه،

---

(١) **الدَّيلَمُ**: جِيلٌ سُمُّوا باسم أرضهم في قولِ بعض أهل الأثر، وزعم بعض الناس أنَّ الديلمَ طائفة من بني ضبَّة. وبلادهم يتصل بها من الجنوب: قزوين، والطّرم، وشيء من أذربيجان، وبعض الرَّيِّ، ويتصل بها من المشرق: بقية الريِّ، وطبرستان، ويتصل بها من الشمال: بحر الخزر، ومن المغرب: شيءٌ من أذربيجان، وبلدان الرّان. ينظر: «المسالك والممالك» (ص: ١٢١)، «معجم البلدان» (٢/ ٥٤٤).

(٢) (العسكر) في (ف): (عَسكَرِ أبي الفضل).

(٣) (أنا) في (ف): (إلا أني).

فنقطع الطَّريقَ، ونُخِيفُ السَّبيلَ، ونقتُلُ الأنفسَ، ونَنهَبُ كلَّ ما نجدُ، ونَهتِكُ الحُرَمَ، ونَفجُر بهنَّ، ما أعرف غير هذا.

فقال له أبو الفضل: هل كنت تصوم وتصلِّي قَطُّ؟

قال: ما صمتُ قطُّ، ولا صلَّيتُ، ولا فينا مَن يعرف هذا.

قال له: فأيُّ شيءٍ[1] هذا الأمرُ، هل كنت تَتَصَدَّق؟

قال: ومن كانَ يَجِيئُنا حتَّى نتصدق عَلَيهِ؟

قال: فتفكَّر، وتذكَّرْ شَيئًا، كنتَ تفعَلُه لله عَزَّوَجَلَّ، وإن قلَّ.

فأَفْكَرَ الغُلامُ ساعَةً، **ثمَّ قال:** سلَّمَ إليَّ أُستاذي مُنذُ سِنين رَجُلًا أَسَرَه من بعض الطرقات، بعد أن أخذَ جَمِيعَ ما وجد معه، وصَعِدَ به إلى هذه القلعة.

فقال له: اشترِ نفسك منِّي بمالٍ تستدعيه من بلدك وأَهْلِك، وإلَّا قتلتك، وكان في يده قومٌ هذه سبيلهم في المطالبة.

فقال الرجل: ما أملِكُ في الدُّنيا كلِّها غيرَ ما أخذتَه منِّي.

فَعَذَّبَهُ أيّامًا وهو لا يُذعِنُ بشيءٍ.

ثمَّ ضَرَبَه وجدَّ به في العذاب جدًّا[2] شَديدًا، فحلف الرجل بالله، وبالطلاقِ، وبأيمانٍ غليظَةٍ: أنَّه لا يملك في الدُّنيا غيرَ ما أخذه مِنهُ، وأنَّه ليسَ له في بَلَدِه إلَّا نَفَقَةٌ خلَّفَها لصبيانِه، قَدْرُها نَفَقَةُ شهرٍ، إلى أن يعودَ إليهم، وأنَّ الصَّدَقَةَ الآن تحِلُّ له ولهم. واستسلمَ الرجلُ للمَوتِ.

---

(١) في (ل): (ويلك فأيشٍ).

(٢) في (ف): (وجذبه في العذاب جذبًا).

فلمَّا وقع في نفس أستاذي أنَّه صادِقٌ، **قال لي**: انزل به، وامضِ معه إلى الموضع الفُلانيِّ فاذْبَحْه، وجئني برأسِه.

فأخذتُ الرَّجلَ، فحَدَرتُه من القلعةِ، فلمَّا رآني أَعْسِفُه، **قال**: إلى أين تمضي بي؟ وأيُّ شيءٍ تُريدُ منِّي؟ فعرَّفتُه ما أمرني به أستاذي، فجعل يبكي، ويَلطِمُ، ويتضرَّعُ، ويسألني أن لا أفعلَ، ويُناشِدُني بالله عَزَّوَجَلَّ، ويذكُرُ أنَّ له طُفَيلاتٍ[1]، لا كادَّ لهم ولا كاسبَ سواهُ، ويخوِّفُني بالله عَزَّوَجَلَّ، ويسألُني أن أُطلِقَهُ.

فأوقعَ الله عَزَّوَجَلَّ في قلبي رحمتَه، **فقلت**: إنَّ لم أرجع إلى أستاذي برأسِكَ قتلني، ولحقوكَ فقتلوك.

فقال: يا هذا أَطْلِقْني، ولا تَعُدْ إلى صاحبك إلا بعد ساعةٍ أو ساعتين، فإنِّي أَعْدُو، وإن لَحِقوني كنتَ أنتَ بريئًا من دمي، وصاحِبُك لا يقتلكَ مع محبَّتِه لك، وتكون قد أُثِبْتَ[2] فيَّ.

فازدادت رحمَتي له من ذاتي، **فقلتُ له**: خذ حَجَرًا، فاضرِبْني به حتَّى يسيلَ دمي، وأجلِسُ هاهُنا حتَّى أعلمَ أنَّك قد صرتَ على فراسخَ، ثمَّ أعودُ أنا إلى القلعة.

فقال: لا أستحسنُ أن أكافئكَ على خلاصِ نفسي[3] بأن أشجَّكَ.

---

(١) (طفيلات) في (ف): (بنات أطفالًا).

(٢) في (ف): (أُجِرتَ).

(٣) (ف): (دمي).

فقلتُ: لا طريقَ إلى خلاصكَ وخلاصِ نفسي إلَّا هكذا. ففعَلَ، وتَرَكتُه، فَطَار عَدْوًا، وجلستُ في موضعي حتَّى وقع لي أنَّه قد صار على فراسخَ كثيرةٍ، وجئتُ إلى أستاذي غَرِيقًا بدمائي.

فقال: ما لكَ؟ أينَ الرَّأس؟

فقلتُ: سلَّمتَ إليَّ شيطانًا لا رجلًا، ما هو إلَّا أن حصل معي في الصحراء حتى صارَعَني، فصرعني[1] إلى الأرض، وشَدَخَنِي بالحجارة كما ترى، وطار يَعْدُو، وغُشِيَ عليَّ، فمَكثتُ في موضعي إلى الآن، فلمَّا رَقَأَ دمي[2] ورَجَعَتْ قوَّتي جئتُكَ.

فأنزَلَ من القلعةِ بخلقٍ، وبذَلَ لهم على حصولِ الرجل أشياءَ[3]، فعادوا من الغدِ وما وقعوا له على أثرٍ.

فإن يكن ما خلَّصني اللهُ عَزَّوَجَلَّ لأجلِ شيءٍ فَعَلتُه فلهذا[4].

فَجعله أَبو الفضل راجِلًا على داره[5] برزقٍ له قدر، واصطَنَعَه.

قال الشريفُ: وحدَّثني الخبرَ جماعةٌ ممَّن كان في القلعة، وغَيرُهم، منهم مَن شاهدَ القِصَّةَ، ومنهم مَنْ أَخْبرَ عَمَّن شاهدها، ووجدتُ الخَبَرَ بعد ذلك شائعًا بفارسَ[6].

---

(١) قوله: (حصل... فصرعني) في (ض، ل) (صار معي في البريَّة وصارعني حتى طرحني).
(٢) رَقَأَ الدَّمُ: سَكَنَ. ينظر: «مختار الصحاح» (ر ق أ).
(٣) قوله: (فأنزَلَ... أشياءَ) في (ف): (فنزل بجماعة منهم).
(٤) قوله: (ما خلَّصني... فلهذا) في (ض، ل): (اللهُ تعالى إنَّما خلَّصني من هذا بذاكَ فلعلَّه).
(٥) في (ف): (بابه).
(٦) قوله: (واصطنعه. قال الشريفُ:... شائِعا بفارِسَ) ليس في (ض، ل).

[٨: ٣٩] [رجلٌ من أصحابِ ابنِ الأشعثِ ينجو من يدي الحجَّاجِ][1]

وجدتُ في بعض الكتب: أنَّ الحجَّاجَ بنَ يوسُفَ جلس يَستَعرِضُ قومًا من أصحاب عبد الرحمن بنِ الأشعث، فقَتَلَ منهم جماعةً، ثمَّ جِيءَ برجلٍ فأَمَرَ بضرب عُنُقِه، **فقال:** أيُّها الأميرُ إنَّ لي عليك حقًّا.

قال: وما حقُّك؟

قال: سَبَّكَ عبدُ الرحمن يومًا فرَدَدْتُ عليه.

فقال: ومَنْ يعلم هذا؟

فقال الرجل: أَنْشُدُ الله رَجُلًا سَمِعَ ذلك إلَّا شَهِدَ به. فقام رجلٌ من الأسرى فقال: قد كان ذلك.

قال: خَلُّوا عنه. **ثمَّ قال للشاهد:** ما منعك أن تُنكِرَ سَبِّي كما أنكرَ هذا؟

قال: قديمُ بُغْضِي لك.

فقال: خَلُّوا عنه، قد أطلقتُه؛ لِصِدْقِه[2].

---

(١) هذه القصة لم تَرِدْ في المطبوع.

(٢) ينظر: «عيون الأخبار» (١/ ١٧٣)، و«الكامل في اللغة والأدب» (٢/ ١٤٤).

[٨: ٤٠] [بين المهديِّ ويعقوبَ بنِ داودَ][1]

قُرِئَ على أبي بكرٍ الصوليِّ -وأنا حاضرٌ أسمعُ منه سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة-: حدَّثكُمُ الحسنُ بن عليلٍ العنزي[2]، **قال** حدَّثني محمَّدُ بنُ أبي مروانَ، واسمه عبدُ الملكِ بنِ خالدٍ البزَّار[3]، قال[4]: أَمَرَ المهديُّ بيعقوبَ بنِ داودَ الكاتِبَ -بعد أن نَكَبَه- أن يُؤتى به إليهِ، فجاؤوا به، وقد انتضى له السَّيف.

فقال: يا يعقوب.

قال: لبَّيك يا أميرَ المؤمنينَ، تلبيةَ مكروبٍ بمَوجِدَتِكَ، شَرِقَ بغَضَبِكَ[5].

فقال: ألم أَرْفَعْ قَدْرَكَ وأنتَ خامِلٌ، وأُسَيِّرْ ذِكرَكَ وَأنت غافل، وأُلْبِسْكَ من نِعَمِ الله عَزَّوَجَلَّ ونِعَمِي ما لم أَجِدْ عندك طاقَةً لحمله، ولا قيامًا بشُكرِهِ؟ فكيف رأيتَ الله تعالى أظْهَرَ عليك، وردَّ كيدَكَ إليك؟

---

(١) هذه القصة جاءت في (ض، ل) آخرَ الباب، (ض: ورقة رقم ١٧٥ - ل: ورقة رقم ٤١٤).

(٢) وصُحِّفَ في المطبوع إلى (العنبري). وهو الحسنُ بنُ عليلِ بنِ الحسينِ، أبو عليٍّ العنزيُّ، كان صدوقًا صاحبَ أدبٍ وأخبارٍ، واسم أبيه عليٌّ، ولقبه عليلٌ، (ت: ٢٩٠هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٨/ ٤٠٥).

(٣) في (ل): (البزاز)، وفي (ض): (البراد).

(٤) قوله: (قُرِئَ على أبي بكرٍ... البزار، قال) مثبت من (ف)، والنسخ الأخرى مختصرة.

(٥) في (ض، ل): (بِغُصَّتِكَ).

قال: يا أميرَ المؤمنينَ، إن كنتَ قلتَ هذا بِعلمٍ وتيقُّنٍ فأنا معترفٌ به، وإن كانَ بسِعايةِ الباغينَ(١)، فأنت عالمٌ بما في أكثرِها، وأنا عائِذٌ بكرمكَ، وعميمِ شَرَفِك.

فقال: لولا ما سبق لك من رعايتي لا باستحقاقك، لأَلْبَسْتُكَ من الموت قميصًا، لا تبتهِجُ بجِدَّتِه، اذهَبوا به إلى المُطبِقِ.

فذَهَبُوا به وهو يقول: الاختِلاطُ رَحِم، والوَفاءُ كَرَم، وما على العَفوِ نَدَم، وأنت بالمحاسنِ جَدِير، وأنا بالعَفوِ خَلِيق.

فلم يَزَلْ محبوسًا حتَّى أطلَقَهُ الرشيدُ.

❁ [**قال الصُّوليُّ**: ولمَّا أوقعَ المهديُّ بيعقوبَ بنِ داود، أحضر إسحاقَ بنَ الفضلِ بنِ عبدِ الرَّحمن الرَّبَعِيَّ الهاشِميَّ(٢)، **فقال له**: أتزعمُ أنَّكُم الكبراءُ من ولدِ عبد المطلب(٣)؛ لأنَّ الحارِثَ(٤) أباكُم أكبرُ وَلَده، ولذلك صرتَ أحَقَّ بالخلافة منِّي؟

فقال إسحاقُ بنُ الفضل: على مَنْ قال هذا -أو نَوَاهُ- لعنةُ الله، وإذا صَحَّ عَلَيَّ هذا فاقْتُلْني.

---

(١) في (ض، ل): (الساعين).

(٢) هو إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كان شاعرًا، وكان المنصورُ يُكرِمُه لمحلِّه في نفسه وموضعه من العلم، ثم حبسه (١١) سنة. ينظر: «الوافي بالوفيات» (٨/ ٢٧٣).

(٣) هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، واسم **عبد المطلب**: شيبة، واسم **هاشم**: عمرو، جدُّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، توفي بعد الفيل بثماني سنين. ينظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ١٦٩).

(٤) هو ابن عبد المطلب، وأمُّه سمراءُ بنت جُندُب، كان مع أبيه عبد المطلب عندما غدا بمِعوَلِه لحفر بئر زمزم. ينظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ١٠٩- ١٤٣).

فقال: يعقوبُ بنُ داودَ قال لي هذا عَنكَ.

قال إسحاق: فقلت في نفسي: يعقوبُ قد قُتِلَ -ولم أشكَّ في ذلك- فقد أَمِنتُ من أن يَبْهَتَنِي، **فقلت**: يا أميرَ المؤمنينَ، إن واجَهَنِي يعقوبُ بهذا فقد اعترفتُ به.

فأُحضِرَ يعقوبُ مُقَيَّدًا، **فقال له**: أما أخبرَتَنِي عن إسحاقَ بكذا وكذا؟

قال إسحاق: فأحسستُ -واللهِ- بالموتِ، إلى أن **قال يعقوبُ**: واللهِ، ما قلتُ هذا قطُّ.

قال: بلى والله.

قال: لا والله. فاغتاظَ المهديُّ.

فقال له يعقوبُ: إن أذكرتُكَ القَولَ في هذا، أَتُزِيلُ التُّهمَة عنِّي؟ **قال**: نعم.

قال: أتذكرُ يومَ شاوَرْتَنِي في أمر مصرَ، فأشرتُ عليكَ بإسحاقَ. فقلتَ: ذاك يزعمُ أنَّه أَوْلى بالخلافة منِّي. وَقد كانَ مباركٌ التركيُّ[1] حاضِرًا، فاسْأَلْهُ، فذكر المهديُّ ذلك.

ثمَّ أقبل المهديُّ يوبِّخُ يعقوبَ على أفعاله، ويعقوبُ يقومُ بالحُجَّةِ إلى أن **قال له يعقوب**: يا أميرَ المؤمنينَ، أتذكرُ حَيثُ أعطَيتَني عهدَ اللهِ وميثاقَه، وذِمَّةَ

---

(١) هو أحد موالي بنى العباس، اتَّخذه المهدي، ومن بعده ابنه موسى الهادي، إلا أنه غضب عليه لما بلغه من صدوده عن لقاء الحسين بعد أن شارف المدينة، وأمر بقبض أمواله وتصييره في سياسة دوابه، فلم يزل كذلك إلى وفاة الهادي. ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٢٠٠)، و«الأوائل» للعسكري (ص: ٢٦٩).

رسوله، وذِمَّةَ آبائِكَ؛ أَنَّك لا تَحبِسُني، ولا تَضرِبُني ولا تقتُلُني أبدًا، ولو قتلتُ موسَى وهارون[1].

قال: فَوَثَبَ المهديُّ من مَجلِسه، وردَّ يعقوبَ إلى مَحبَسِه، وَخرجت أنا][2].

(١) يقصد ابنَي المهدي: موسى الهادي، وهارون الرشيد.

(٢) ما بين معكوفين ليس في (ض، ل). وينظر: «مرآة الزمان» (١٣/ ٤٦- ٤٧).

[٨: ٤١] [رجلٌ طمَّاعٌ أرادَ أن يقتلَ ضيفَه فقتلَ ابنَهُ]

أخبرني أبو الحسنِ أحمدُ بنُ يوسُفَ التنوخيُّ مناولةً، **قال**: أخبرني أبو الحسن عليُّ بنُ الفتحِ الكاتبُ المعروفُ بالمطوَّقِ مناولةً من كتابه «**مناقب الوزراء ومحاسن أخلاقهم**»، قال: وذكر فيه كثيرًا من الحوادث التي جرت في أيَّام [الوزراء][(١)].

فقال فيه المطوَّق: وفي رجب سنة خمسَ عشرةَ وثلاث مئة تحدَّث الناس[(٢)] أنَّ رَجُلًا أَمسَى في بعضِ محالِّ بغدادَ بالجانب الغربيِّ، ومعهُ دَراهِمَ لها قَدرٌ، فخاف على نفسِه من الطَّائِفِ[(٣)]، ومن نكبة[(٤)] تقعُ عليهِ، فصارَ إلى رجلٍ من أهل الموضعِ، وسَأَلَه أن يُبيِّتَه عنده، فأدخله، فلمَّا تَيقَّن أنَّ معه مالًا، حدَّثَ نفسَه بقَتْلِه، وأَخْذِ المال.

وكانَ له ابنٌ[(٥)]، فنوَّمَه مع الرجل في بَيتٍ واحدٍ، ولم يعلم ابنُه ما في نفسِه، وخرج من عندِهما وقد عرفَ مكانَ مَرقَدِ الرجلِ[(٦)].

---

(١) في (ف): (وزير).

(٢) قوله (مناولةً من كتابه... الناس) ليس في (ل)، وأثبتناه من (ف)، والسند مختصر في (ض،ر).

(٣) **الطَّائِفُ**: العَسَسُ، وهم الَّذينَ يطُوفُونَ للسُّلطانِ ليلاً. ينظر: «مختار الصحاح»، و«المصباح المنير» (ط و ف).

(٤) (ومن نكبة) في (ف): (أو من بلية).

(٥) (له ابن) في (ض، ل): (للرَّجُلِ ولدٌ شابٌّ مليحٌ).

(٦) (مكان مرقد الرجل) في (ل): (مكانهما وأطفئ المصباح).

فَقُدِّرَ من الأمرِ أنَّ الابنَ انتقلَ مِنْ مَوضِعِه إلى مَوضِعِ الضَّيفِ، وانتقلَ الضَّيفُ إلى مَوضِعِ الابنِ، وجاء أبوهُ ليطلُبَ قتلَ الضَّيفُ، فصادف ابنَه راقدًا(١)، وهو لا يشكُّ أنَّه الضَّيفَ، فخَنَقَه، فاضْطَرَبَ، وانتبه الضَّيفُ باضطرابه، وعرف ما أُريد به، فخرجَ هارِبًا من الدارِ، وصاح في الطَّريقِ، فوقف الجيرانُ على خَبَرِه، فأغاثوه(٢)، وخرجوا إليه.

فَأُخِذَ الرجلُ وقُرِّرَ، فأقرَّ بقتل وَلَدِه، فحُبِسَ، وأُخرِجَ المالُ من داره فَرُدَّ على الضَّيف(٣).

---

(١) (راقدًا) في (ل): (في المكان).

(٢) قوله: (هارِبًا من... فأغاثوه) في (ف): (صارخًا فأغاثه الجيران).

(٣) في (ف): (فرده إلى الرجل فسلم). ينظر: «نشوار المحاضرة» (٤/ ١٧٥ - ١٧٦).

[٨: ٤٢] [ناصرُ الدولةِ ينجو من القتلِ]

قال مؤلِّف هذا الكتاب: وقد جرى في عصرنا مثلُ هذا، فإنِّي سمعتُ مُبشرًا الروميَّ مولى أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول:** لما خرجَ معزُّ الدولةِ إلى المَوصِلِ في سنة سبعٍ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ، وانهَزَمَ ناصِرُ الدولةِ[١] من بين يديهِ؛ أَنْفَذَني مولايَ لأكون بحضرتِه، وحَضْرَةِ أبي جعفرٍ الصَّيمَرِيِّ[٢] كاتِبِه[٣]، وأُوصِلَ كُتُبَه إليهما.

فسمِعتُ حاشيةَ الصَّيمَرِيِّ يتحدَّثُون: أنَّه جاءَ رِكَابيٌّ إلى معزِّ الدولةِ من رِكَابِيَّتِه[٤]، فقال: أيُّها الأميرُ، إن قتلتُ لك ناصِرَ الدولةِ أيُّ شيءٍ تُعطِيني؟

فقال له: ألفَ دينارٍ.

قال: فَأْذَنْ لي في أن أمضيَ وأحتالَ في اغتياله. فأذِنَ له.

فمضى إلى أن دخلَ في معسكرِه، وعرفَ مَوضِعَ مَبيتِه من خيمته، ورَصَدَ الغَفلَةَ، حتَّى دخل الخيمةَ ليلًا، وناصرُ الدولةِ نائِمٌ وبالقُربِ من مَرقَدِه شمعةٌ مشتعلةٌ، وفي الخَيمَةِ غُلامٌ نائم، فَعرفَ مَوضِعَ رَأسِه من المرقَدِ، ثمَّ أَطْفَأَ الشمعةَ، واستلَّ سكينةً طويلةً ماضيةً، كانَت في وَسَطِه، وأقبلَ يمشي في الخَيمَة،

---

(١) هو ناصر الدولة الحمداني، أخو سيف الدولة، (ت: ٣٥٨هـ). سبقت ترجمته (١/ ٢٨١).

(٢) (الصَّيمَرِيِّ) في (ض، ل، ف) (الضميري)، وكذا في المواضع الأخرى.

(٣) هو أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري، كاتب معز الدولة ووزيره، (ت: ٣٣٩هـ). ينظر: «مرآة الزمان» (١٧/ ٢٧٣- ٢٧٤)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٢٥٢).

(٤) (ركابيته) في (ر): (خواصِّه).

ويتوقَّى أن يَعثُرَ بالغلامِ، وهو يُريدُ مَوضِعَ ناصِرِ الدولةِ، فإلى أن وصل إليه انقَلب ناصِرُ الدولة من جانبه الَّذي كانَ عليه نائمًا إلى الجانِب الآخر، وزَحَفَ في الفراشِ، فصارَ رأسُه وجِسْمُه على الجانِبِ الآخَر من المخادِّ والفراشِ، وبَينَه وبين الموضعِ الَّذي كانَ فيهِ مَسافَةٌ يسيرَةٌ.

وبلغ الرِّكابيُّ إلى الموضعِ الذي فيه الفراشُ، وهو لا يشكُّ في أنَّ ناصِرَ الدولةِ بمَكانِه، فوَجَأَ الموضعَ بالسكين بجَميعِ قوَّتِه، وعندَه أنَّه قد أثبَتَها في صدرِ ناصِرِ الدولةِ، وترك السكينَ في موضعها، وخرجَ من تحتِ أطنابِ الخَيمَةِ.

وسارَ في الوَقتِ إلى عَسكَرِ معزِّ الدولةِ، فوصل إليه، وأخبر معزَّ الدولةِ أنَّه قتل ناصرَ الدولة، وطالَبَه بالجِعالَةِ، فاسْتَشْرَحَهُ كيفَ صنعَ؟ فشرحَهُ له.

فقال: اصبر حتَّى يَرِدَ جواسِيسي بصحَّةِ الخَبَر.

فلمَّا كانَ بعد يومين وردت الأخبارُ من عَسكَرِ ناصِرِ الدولةِ بما يدلُّ على سلامَتِه، وأنَّ إنسانًا أرادَ أن يغتالَه، فكانَ كيتَ وكيتَ، وذكروا له خبرَ السِّكِّين.

فأحضرَ معزُّ الدولةِ الرِّكابيَّ، وسلَّمَهُ إلى أبي جَعفَرٍ الصَّيمَريِّ[1]، **وقال له**: اكفِني أمرَ هذا الرِّكابيِّ؛ فإنَّ مَن تجاسَرَ على المُلوكِ تَجاسُرَه، لم يَجُزْ أن آمَنَهُ على نفسي.

فغَرَّقَه الصيمريُّ سِرًّا[2].

---

(١) (أبي جعفر الصيمري) في (ض، ل، ف): (أبي جعفر محمد بن أحمد بن يعلى الضميري الهلالي)، وفي (ف) زيادة بعد (الهلالي): (فيما سمعت إذ ذاك).

(٢) ينظر: «تجارب الأمم» (٦/ ١٢٦)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ١١٥).

[٨: ٤٣] [يحيى بنُ عليٍّ المنجِّمُ ينجو من ابنِ المعتزِّ]

قال مؤلِّفُ الكتابِ: كانَ يحيى بنُ عليٍّ المنجِّمُ قد ناقضَ أبا العَبَّاسِ عبدَ الله بنَ المعتزِّ، في أشعارٍ جرت بينهما في تفضيل ما بين العَرَبِ والعَجَم، والطالِبيِّين والعباسيِّين، وسُرِفَت الحالُ[١] حتَّى بادَاهُ يحيى بالعِداء والهجاء، وذلكَ طويلٌ مشهورٌ، ليسَ هذا مَوضِعَ ذكرِه.

فلمَّا بُويعَ ابنُ المعتزِّ، وأطاعَه الجيشُ، وجلسَ للنَّظَر في الأُمور؛ أشارَ أهل يحيى عليهِ بالهروب، وهَمَّ هو به خَوْفًا من القَتل، إلى أن أتتهُ رُسُلُ ابنِ المعتزِّ يطلبونَه للبيعَةِ، فدخل إليه وهو آيسٌ من الحياةِ، فَبايَعَهُ، وبان له في وجهه الشر حتَّى خافَ أن يُبادِرَه، ثمَّ انصَرفَ؛ لاشتغال ابنِ المعتزِّ بإحكام البيعَةِ، وعمل يحيى على التواري وإسلام النِّعمَةِ.

فلمَّا كانَ من الغَد، انتقضَ أمرُ ابنِ المعتزِّ، وكُفِيَ يحيى خوفَه[٢].

---

(١) كذا في (ف)، ولعلَّه من المجاز، من قولهم: سُرِفَتِ الشجرةُ: أصابتها السُّرْفةُ، وهِيَ دُودَةٌ تأكل وَرَقَ الشَّجَرِ حتَّى تُعَرِّيَها. ينظر: «لسان العرب» (س ر ف: ٩/ ١٥٠).

(٢) من بداية القصة إلى هنا أثبتناه من (ف)، وليس في باقي النسخ.

ﮅ **وحكى الصُّوليُّ في كتابِ «الوزراء**[1]**»، قال:** حدَّثني الحسن بن إسماعيل الجليس[2]، **قال:** دخل يحيى بنُ عليٍّ المنجِّمُ إلى عبد الله بنِ المعتزِّ، مُتَقَلِّدًا سَيفًا، ومعهُ ابناه، فسلَّم عليه بالخلافة.

فقال له قليلًا قَليلًا ومَن حوله يسمعُ: لا سلَّمَ الله عليك، يا كلبُ، ألستَ الهاجِي رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والفاخِرُ بعَجَمِكَ على أهله؟ واللهِ لأُطعِمَنَّ الطيرَ لحمَك.

قال: وخفتُ واللهِ أن يَعجَلَ فيأمرَ به، فجعلتُ أتوقَّع الأمرَ[3] به، فَسَلِمَ، ولا أَحسَبُ ذلك إلَّا لأنَّه كانَ يُعِدُّ له ما القَتلُ معه راحَةٌ.

قال الصوليُّ: ودخلتُ إلى ابنِ المعتزِّ فلمَّا استقرَّ بي، وعنده عبد الله بنُ حمدون، والحسنُ بن إسماعيل الجليسان؛ **قال ابنُ المعتزِّ:** نعيدُ ما كنَّا فيه، ثمَّ ذَكَرَ الرجلَ، **فقال**[4]: كلابٌ غذَّتْهم نِعمَتُنا، وأشادَتْ بذِكرِهم خدمَتُنا، سَعَوا بالباطِلِ علينا، وجَحَدُوا إحسانَنا، وهَجَوا نبيَّنا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حتَّى إذا كظَّهُم[5] العذابُ، وأسكتَهم الجوابُ، تحَصَّنوا بالرَّفضِ، ومَدَحوا أهلَنا وأخصَّ الناس بنا؛ لتنصُرَهم علينا طائِفَة، وليتألَّفوا قلوبًا نَفَرَت عَنهُم، ولم يعلم الجاهِلُ الكافِرُ أنَّنا وبَنِي عمِّنا من آل أبي طالبٍ، لو افترقنا في كلِّ شيءٍ تَجتَمعُ الناس عليه؛ ما افترقنا

---

(١) في (ض، ف): (أخبرني الصولي في كتابه «كتاب الخلفاء»).

(٢) قوله: (قال: حدَّثني... الجليس) مثبت من (ف).

(٣) (أتوقع الأمر) في (ر، ح): (أومِئُ الانتظار)، وفي (ن): (أومئ لانتظاره).

(٤) قوله: (قال الصوليُّ... فقال) في (ر، ن، ح): (ثمَّ قال).

(٥) أي: جَهَدُهُم وأَثْقَلَهُم. ينظر: «تاج العروس» (ك ظ ظ: ٢٠/ ٢٦٤).

في أنَّ الثالِبَ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كافِرٌ، والفاخِرَ عليه فاجِرٌ، وأنَّا جميعًا نرى قَتلَه، ونستحلُّ دَمَه.

فما زِلْنا نُسَكِّنُ منه ونحتالُ للعُذرِ وَجهًا، وهو لا يقبلُ، ويُعَنِّفُنا، **ويقول**: ليسَ بمُسلمٍ مَن خالفَ قولي هذا.

وأَنْشَدَني يحيى بنُ عليٍّ - لنَفسِهِ، بعد أن هلكَ ابنُ المعتزِّ: [من المجتثِّ]

يَا قَاطِعًا كُلَّ رَحْمِ ... نَفَخْتَ فِي غَيرِ فَحْمِ
أَنْ تُطْعِمَ الطَّيْرَ لَحْمِي ... لَمَّا تَأَلَّيْتَ بَغْيًا
مُبَاحُ مَا كُنْتَ تَحْمِي ... حُمِيتُ مِنْكَ فَصَارَ الْـ
سُكَّانَهَا أَيَّ زَحْمِ ... فَاذْهَبْ إلى النَّارِ فَازْحَمْ

قال الصُّوليُّ: ولمَّا وَلِيَ أبو الحسنِ ابنُ الفُراتِ الوزارةَ الأولى، دَخَلَ إليه يحيى بنُ عليٍّ فأنشدَه قصيدةً يُهَنِّئُه بها، وذكرها الصوليُّ، فمنها ممَّا يدخل في هذا المعنى، قولُه: [من الوافر] [ر/١١٧]

وَلَيسَ خِلافَةُ الرَّحمَنِ عَارَهْ[1] ... وَلَيسَ وِزَارَةُ الخُلَفاءِ نَهْبًا
بها والمسلمون على إِبَارَهْ[4] ... تَجَلَّتْ غَمْرَةٌ[2] كنَّا أَشَفْنا[3]

---

(١) **العارة**: العارية. ينظر: «مختار الصحاح» (ع و ر).

(٢) في (ض، ف): (فتنة).

(٣) كذا في النسخ، وفي المطبوع: (أصبنا).

(٤) في (ف): (أثارة). **والإبارة**: الهلاك، من أباره؛ أي: أهلكه. ينظر: «تاج العروس» (ب و ر: ١٠/ ٢٥٣).

فَأَعْقَبَنا الـزَّمـانُ رِضًـا بِسُخْطٍ ... وأَبْـدَلَـنـا الـحَـلاوَةَ بـالـمَـرارَهْ[1]

يقال: أَشَافَ على الأمر، بمعنى: أشفى[2]. قال الشاعر: [من البسيط]

إمَّـا مُشِيفٌ على مَجْدٍ ومَكْرُمَةٍ ... أو أُسْوَةٌ لَكَ فِيمَنْ يَهلِكُ الوَرَقُ[3]

---

(١) أَوْرَدَ القصيدةَ بأكملها ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد»، وفيه:

(تـجـلـت فـتـنـة كـنـا أسـفـنـا ... بـهـا والـمـسـلـمـون عـلـى إمـاره)

ينظر: «تاريخ بغداد وذيوله» (١٩/ ٦٧).

(٢) **وأشفى**: أَشْرَفَ. ينظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٨٨)، و«المحكم والمحيط الأعظم» (٨/ ١٢٧).

(٣) قوله: (يقال: أشاف... الورق) ليس في (ر، والمطبوع). وقوله: (الورق) كذا في (ض، ف، ن)، وفي «الإشراف» لابن أبي الدنيا: (تهلك الطرق)، وقد تمثَّل به المختار بن أبي عبيد لما أُحِيطَ به، فقال:

لَـوْ رَآنِـي أَبُـو حَسَّـانَ إِذْ حُسِرَتْ ... عَـنِّـي الأُمُـورُ بِـأَمْـرٍ مَـا لَـهُ طَبَقُ

لَقَالَ رُغْـبٌ وَرُهْـبٌ أَنْـتَ بَيْنَهُمَا ... حُبُّ الحَيَاةِ وَهَـوْلُ المَوْتِ وَالشَّفَقُ

إِمَّـا مُشِيفٌ عَلَى مَجْدٍ وَمَـكْـرُمَـةٍ ... أَوْ أُسْـوَةٌ لَكَ فِيمَنْ تُهْلِكُ الطُّرُقُ

ينظر: «الإشراف في منازل الأشراف» (ص: ١٢٥).

[٨: ٤٤] [زيدُ بنُ موسى بنِ جَعفرٍ ينجو من يدي الحسنِ بنِ سهلٍ]

حدَّثنا أبو محمَّدٍ عبدُ الرَّحمَن الورَّاقُ المعروفُ بالصَّيرَفيِّ، ابنُ أبي العبَّاسِ محمَّدِ بنِ أحمدَ الأَثرَمِ المُقرِئِ البَغداديِّ، بالبصرةِ في المحرَّم سنةَ خمسٍ وأربعين وثلاث مئة، بكتاب «المُبَيِّضَة» لأبي العبَّاس أحمدَ بنِ عبيدِ الله بنِ عمَّار، في خبرِ أبي السَّرايا[١] الخارِجِ بالطالبيِّين بعد مقتلِ الأمين، وشَرَحَ غَلَبَةَ الطالبيِّين وأصحابِ أبي السَّرايا على الكوفةِ، والبصرةِ، وأكثرِ السَّوادِ، والحرمين، واليمنِ، والأهوازِ، وغير ذلك[٢]؛ **قال: حدَّثنا** أبو العبَّاس أحمدُ بنُ عبيدِ الله بنِ عمَّار، **قال:** حدَّثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ سليمانَ النَّوفَليُّ، **قال:**

لما انصَرف الطالبيُّون عن البَصرَةِ تفرَّقوا في البلاد[٣]، فتوارى بعضُهم ببغدادَ، وبعضُهم بالكوفةِ، وبعضهم بالمدينة.

فكانَ ممَّن توارى زيدُ بنُ موسى بنِ جَعفَرِ بنِ محمَّد[٤] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فطَلَبَه الحسنُ بنُ سَهلٍ طلبًا حثيثًا، حتَّى دُلَّ على مَوضِعه، فأرسل إليه مَن هَجَمَ عليهِ

---

(١) **واسمه:** السريُّ بنُ منصورٍ الشيباني، وهو القائم بأمر الحرب وتدبيرها لابن طباطبا الخارج على المأمون بالكوفة. ينظر: «تجارب الأمم» (٤/ ١١٤).

(٢) قوله: (ابنُ أبي العبَّاسِ... وغير ذلك) ليس في (ض، ل). وانظر خبرَ أبي السرايا في «تاريخ الطبري» (٨/ ٥٢٨ - ٥٣٤)، و«مقاتل الطالبيين» لأبي الفرج (ص: ٤٢٤).

(٣) (في البلاد) ليست في (ض، ل، ف).

(٤) ابنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وهو الذي يقال له: (زيد النار)، لكثرة ما حَرَقَ =

وأتى به، فحَبَسَه، ثمَّ جلسَ مجلسًا عامًّا من أجلِه، ودعا به فأنَّبَه ووَبَّخَه، **وقال:** فتنتَ[1] الناسَ، وسفكتَ دماءَ المسلمين، وفعلتَ، وفعلتَ.

ثمَّ أقبل على مَن حَضَرَه منَ الهاشميِّين وغَيرِهم[2]، **فقال:** ما ترَونَ فيه؟ فأمسكوا جميعًا، فانبَرَى له **قُثَمُ بنُ جَعفَرِ بنِ سُلَيمانَ**[3]، **فقال:** أرى أيُّها الأميرُ أن تَضرِبَ عُنُقَه، ودَمُه في عُنُقي.

فأمرَ به الحسنُ فَشُدَّ رأسُه بالحبل، وانْتَضَى السيَّافُ السَّيفَ، ولم يبقَ إلَّا أن يُؤمر بالضَّربِ فيَضرِب؛ إذ صاحَ **الحجَّاجُ بنُ خَيثَمَةَ** -وهي أمُّه، وقد حضرَ المجلسَ يومئذٍ، وهو رجلٌ من أهل البصرَةِ له قدرٌ، وأمُّه أُختُ عُبَيدِ الله بنِ سالمٍ مولى بَلْعَنْبَرِ[4]، وكانَ الرشيدُ جعلَ إليه أمرَ الضَّوَارِي وأمرَ البَازْيَارِيِّين[5]

= من الدور بالبصرة من دور بني العباس وأتباعهم. ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٥٣٥).

(١) في (ف): (قتلت).

(٢) (حَضَره من الهاشميين وغيرهم) في (ض، ل): (وأقبل على مَن حَضَر المجلسَ من بني هاشمٍ وغيرِهم من الأعيان).

(٣) ابنِ عليٍّ بنِ عبدِ الله بنِ عبَّاس، ولاه المأمون المدينةَ سنة (٢١٢هـ)، ثم عزله. ينظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص: ٤٧٦- ٤٧٧)، و«المعرفة والتاريخ» للفسوي (١/ ١٩٧).

(٤) (عبيد الله بن سالم مولى بلعنبر) في (ض، ل): (عبد الله بن سالم)، وفي المطبوع: (مولى بلقين).

(٥) (البازياريين) في (ض، ل): (البازات) وصُحِّفَت في المطبوع إلى: (الصواري والبارجات).
والبازياريين: جمع بازياريٍّ، وهو نسبة إلى الباز، والبازيار اسمٌ لمن يحفظ البازَ ويتعهَّدُه، وهو علمٌ يسمَّى «علم البَيْزَرة» ألَّف العلماءُ فيه الكتب، يُبحَثُ فيه عن أحوال الجوارحِ من حيث حفظ صحتها، وإزالة مرضها، ومعرفة العلامات الدالَّة على قوَّتها وضعفها في الصيد. ينظر: «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٣٤)، و«كشف الظنون» (٢/ ١٧٥).

والإشرافَ على الجوارحِ كلِّها، وَكانَت له في نَفسِه هيئةٌ وحالٌ جميلةٌ وشَرَفٌ، فاحْتَمَلَ إذ وَلِيَ هذا، ووَضَعَ من نفسِه؛ لأنَّه رأى ذلك أعفى وأطيبَ من غيرِه، وكانت حالُه من بعد ذلك حالًا حَسَنَةً[١]، وقَدرُه غيرَ وَضِيعٍ- **فقال**: أيُّها الأميرُ، إن رأيتَ أن لا تعجَلَ، وأن تَدْعُوَني إليك، فافعل، فعندي لك نصيحةٌ.

ففَعَلَ الحسنُ، وأمسكَ الَّذي بيدِهِ السَّيفُ، واستدناه، فلمَّا دنا، **قال**: أيُّها الأمير، أتاك بما تُريدُ فِعلَه أمرُ أمير المؤمنينَ؟ **قال**: لا.

قال: فكانَ عَهِدَ إليك إذا ظَفِرْتَ بهذا الرجلِ أن تقتلَه؟ أو اسْتَأْمَرْتَه فيه بعد ظَفَرِكَ به، فأمر بذلك؟ **قال**: لا ذا، ولا ذا.

قال: فعلامَ تقتُلُ ابنَ عَمِّ أميرِ المؤمنينَ بغير أمرِه، ولا استطلاعِ رأيِه فيهِ؟

ثمَّ حَدَّثَهُ بحديثِ عبدِ الله بنِ الأَفطَسِ[٢]، فإنَّ الرشيدَ حبسَه عند جَعفَرِ بنِ يحيى، فأقدمَ عليه فقتلَه من غير أمرِه، وبعثَ برأسِه إليهِ في جُونَةٍ[٣] مع هدايا النَّيروز، وأنَّ الرشيد لما أمرَ **مسرورًا الكَبيرَ** بقتلِ جَعفَرٍ، **قال له**: إذا سألك عن ذَنبِه الذي أَقتُلُه من أجلِه، فقل له: إنَّما أقتلكَ بابن عمِّي عبدِ الله بن الأَفطَسِ الذي قتلتَه من غير أمري. [ص/١٧٢]

(١) قوله: (وشرف فاحتمل... حَسَنَة) ليس في (ض، ل).

(٢) هو عبد الله بنُ الحسن بنِ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بن عليِّ بن أبي طالب. ينظر: «مقاتل الطالبيين» (ص: ٤٤٦).

(٣) **الجُونَةُ، والجُؤْنَةُ**: سَلَّةٌ صغيرة مستديرة، مغشاةٌ أَدَمًا، تكون مع العطارين. ينظر: «مختار الصحاح» (ج و ن).

ثمَّ قال الحجَّاجُ للحسنِ: أفتأمنُ أيُّها الأمير حادِثَةً تحدُثُ بينك وبين أمير المؤمنينَ، وقد قتلتَ هذا الرجلَ، فيحتجَّ عليك بمثل ما احتجَّ الرشيدُ على جعفرٍ؟

فجزاه خَيرًا، وأمر أن يُرفَعَ عن زَيدٍ[1]، وأن يُرَدَّ إلى محبسِه، فلم يَزَلْ محبوسًا حتَّى ظهر أَمرُ إبراهيمَ بنِ المهديِّ، فأخرجَ الحسنَ بنَ سهلٍ من البلد[2]، قال: فحَدَرَهُ معه[3].

قال: وكان حَبْسُه عند الطيِّبِ بنِ عيسى[4]، وكانَ صاحبَ حرسِه، وحَبَسَ معه أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ عيسى الجَعفَريَّ، وهو أخو العَبَّاس بن مُحَمَّد صاحب البَصرَة[5]، فضيَّقَ عَلَيهِما مَحبَسَهما وجَعَلَهما في سفينةٍ، وأَطْبَقَ عليها ألواحًا، وجعل فيها بابًا يُدخِلُ إليهما مِنهُ الطَّعامَ والشرابَ، وعندَهُما دَنٌّ مَقطوعُ الرَّأسِ كانا يُحدِثَانِ فيه، فإذا كاد يمتلئُ أُخرِجَ فَرُمِيَ بما فيهِ، ثمَّ رُدَّ.

فلم تَزَلْ تلك حالُهما حتَّى بايعَ المأمونُ بالعهدِ لعَليِّ بنِ موسى الرِّضا، فكتب إلى الحسنِ في إطلاقهما، وأن يَحمِلَ إليه زيدًا مُكَرَّمًا، ففعلَ الحسنُ ذلك.

---

(١) في (ض، ل) زيادة: (الحديد).

(٢) (فأخرج الحسنِ بن سهل من البلد) في (ر): (فنفر أهل بَغداد بالحسنِ وأخرجوه مِنها).

(٣) أي: أنزله معه. ينظر: «المصباح المنير» (ح د ر).

(٤) في (ر): (عبد الطيب بن عيسى بن موسى)، وفي المطبوع: (الطيب بن يحيى).

(٥) هو العباس بن محمد بن عيسى بن محمد الجعفري، ولَّاه أبو السرايا البصرةَ سنة (١٩٩هـ). ينظر: «الكامل في التاريخ» (٥/ ٤٦٦)، و«تاريخ ابن خلدون» (٣/ ٣٠٤).

[٨: ٤٥] [يحيى البَرمَكيُّ يُغرِي الرشيدَ بجَعفَرِ بنِ الأشعَثْ]

وحدَّثنا أبو محمَّدٍ عبدُ الرَّحمَن بنُ الأَثْرَمِ في هذا الكتاب، في خبرِ موسى بنِ جَعفَرِ بنِ محمَّد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، **قال**: حدَّثنا [أبو] العبَّاسِ بنُ عمَّار، **قال**: حدَّثني أبو الحسنِ النَّوفَليُّ، وهو عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ سُلَيمانَ بنِ عبدِ الله بن الحارِث بن نَوفَلَ، **قال: حدَّثني أبي**[1]:

إنَّ بَدءَ سَعيِ **يحيى بنِ خالدٍ البَرمَكيِّ** على موسى بنِ جَعفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كانَ بسببِ وضعِ الرشيدِ ابنَه محمَّدًا في حَجْرِ **جَعفَرِ بنِ محمَّدِ بن الأَشعَثِ**، فَسَاء ذلك يحيى، **وقال**: إذا ماتَ الرشيدُ وأفضى الأمرُ إلى محمَّدٍ انْتَقَضَتْ دَولَتي، ودولةُ وَلَدي، وتحوَّلَ الأَمرُ إلى جَعفَرٍ وولَدِه.

وكانَ قد عَرَفَ مذهَبَ جَعفَرٍ في التَّشَيُّعِ، فأظهرَ له أنَّه على مذهبه، فلمَّا أَنِسَ إليه[2] جَعفَرٌ أَفْضَىَ إليه بجميعِ أمورِه، وذكر له ما هو عليهِ في موسى بنِ جعفرٍ، فسعى به إلى الرشيدِ، وكانَ الرشيدُ يرعَى له موضِعَه وموضِعَ أبيه من الخلافةِ،

---

(١) كان مع عبد الله بن علي حين دخل دمشق، يروي ما فعله عبد الله ببني أمية وبجثة هشام بن عبد الملك انتقامًا لأخيه محمَّد بن علي. ينظر: «تاريخ دمشق» (٥٣/ ١٢٦)، و«معجم الأدباء» (٦/ ٢٤٣٥).

(٢) في (ض، ل): (به).

وكانَ يقدِّمُ في أمرِه وَيُؤَخِّر، ويحيى لا يألو جهدًا أن يَحطِبَ عليه[1]، إلى أن دخلَ يومًا على الرشيدِ، وجرى بينهما حديثٌ مَتَّ فيه[2] جَعفَرٌ بحُرمَته وحُرمَةِ أبيه، فأمرَ له بعشرين ألفَ دينارٍ، **فأمسك يحيى أيَّامًا، ثمَّ قال للرشيد:** قد كنتُ أُخبِرُك عن جَعفَرٍ ومذهَبِه فتُكَذِّبُ عنهُ[3]، وهاهُنا أمرٌ فيهِ الفَصلُ، إنَّه لا يصيرُ إليه مالٌ إلَّا أخرجَ خُمُسَه فوجَّه به إلى موسَى بنِ جَعفَرٍ، ولستُ أشكُّ في أنَّه فَعَلَ ذلك في العشرين ألفِ[4] دينارٍ الَّتي أمرتَ له بها.

فأرسل هارونُ الرشيدُ إلى جَعفَرٍ ليلًا يستدعيه[5]، وقد كانَ جَعفَرٌ عرفَ سِعايَةَ يحيى عليه، فتباينا بالعداوة[6]، فلمَّا طَرَقَ جعفرًا رسولُ الرشيدِ لم يَشُكَّ أنَّه سمع من يحيى شيئًا فيهِ، وأنَّه دعاه ليقتله، فأفاضَ عليهِ ماءً، ودعا بمسكٍ وكافورٍ، فتحنَّطَ بهما، ولَبِسَ بُرْدَةً، وأقبل إلى الرشيد، فلمَّا دنا منهُ ليُخاطِبَه، شمَّ منهُ رائِحَة الكافورِ، ورأى البُردَةَ، **فقال:** ما هذا يا جَعفَر؟

قال: يا أميرَ المؤمنينَ، قد علمتُ أنَّه يُسْعَى عليَّ عندك، فلمَّا جاءَني رسولُكَ في هذه السّاعَةِ علمتُ أنَّكَ أرسلتَ إليَّ لتقتُلَني.

---

(١) **حَطَبَ به وعليه:** أي: وشى به وسعى إلى السلطان بخبرٍ عليه. ينظر: «المغرب» (ح ط ب)، و«المصباح المنير» (ح ط ب).

(٢) أي: توسَّل. ينظر: «المصباح المنير» (م ت ت).

(٣) **كذَّبَ عن فُلانٍ:** رَدَّ عنهُ. ينظر: «تاج العروس» (ك ذ ب: ٤/ ١٢٦).

(٤) في (ر): (الألف).

(٥) (يستدعيه) ليست في (ض، ل).

(٦) (فتباينا بالعداوة) ليست في (ض، ل).

قال: كلا، ولكن أُخبِرتُ أنَّك تبعَثُ إلى موسَى بنِ جَعفَرٍ من كلِّ ما يصير إليك بخُمُسِهِ، وأنَّك فعلتَ ذلك في العشرين ألف[1] دينار، فأحببتُ أن أعلمَ ذلك.

فقال جَعفَرٌ: الله أكبرُ، يا أميرَ المؤمنينَ مُرْ بعضَ خدمِك يذهب فيأتيكَ بها بخواتيمها.

فقال الرشيدُ لخادمٍ له: خُذْ خاتمَ جَعفَرٍ وانطَلِقْ حتَّى تأتيَ بهذا المالِ. فدفع إليه جعفرٌ خاتمه، وأسمى خازنته التي المال[2] عِندها، ومضى، فدفعَتْ إليه البِدَرَ بخواتيمها، فأتى بها إلى الرشيدِ.

فقال له جعفَرٌ: يا أميرَ المؤمنينَ، هذا أوَّلُ ما تعرفِ به كذبَ مَنْ سعى بي إليك.

فقال: صدقتَ، انصَرِفْ آمِنًا، فإنِّي لا أقبل فيك بعدها قَولَ أحدٍ.

(١) في (ر): (الألف).

(٢) في (ض، ل): (وأسمى له جعفر جاريته التي المال).

[٨: ٤٦] [خارجيٌّ ينجو من يدي عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ]

حدَّثنا عليُّ بنُ الحسن، **قال:** حدَّثنا ابنُ الجرَّاح، **قال:** حدَّثنا ابنُ أبي الدُّنيا، **قال:** بلغني عن العُريانِ بنِ الهيثم(١)، عن أبيه(٢): أنَّ عُبيدَ الله بنَ زيادٍ وجَّهَه إلى يزيدَ بنِ معاويةَ في حاجةٍ، فدخل، فإذا خارجيٌّ بين يدي يزيد يُخاطِبه.

فقال له الخارِجي في بعض ما يخاطبه به: يا شقيّ.

فقال: والله لأقتُلَنَّكَ. فرآهُ يُحرِّكُ شَفَتَيه، **فقال:** يا حَرَسِيُّ، ما يقول؟

قال: يقول(٣): [من الطويل]

عَسَى فَـرَجٌ يَـأْتِـي بِـهِ الله إنَّـهُ ... لَـهُ كُـلَّ يَـومٍ في خَلِيقَتِهِ أَمْـرُ(٤)

---

(١) هو العريان بن الهيثم بن الأسود المذحجي الكوفي، وفد مع والده الهيثم على يزيد، ولي شرطة الكوفة في أيام خالد القسري، وكان شريفًا مطاعًا في قومه، توفي ما بين (١٠١ - ١١٠هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٣/ ١٠٢).

(٢) هو أبو العريان، الهيثم بن الأسود بن أقيش المذحجي الكوفي، أحد المعمرين الشعراء، وله شرف وبلاغة وفصاحة، قال أحمد العجلي: ثقة من خيار التابعين، غزا القسطنطينية سنة (٩٨هـ) مع مَسْلَمَةَ، وكان أبوه **الأسود** ممن شهد القادسية وقتل يومئذٍ، توفي ما بين (١٠١ - ١١٠هـ). ينظر: «الطبقات الكبرى» (٦/ ٢١٤)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ١٧٤).

(٣) (فقال: يا حرسي ما يقول؟ قال: يقول) في (ف): (فقال له: ما تقول؟ قال: أقول).

(٤) **في المطبوع زاد بيتًا آخر:** =

فقال: أخرجاهُ، فاضْربا عُنُقَه.

ودخل الهَيثَمُ بنُ الأسودِ، **فقال:** ما هذا؟ فأُخبِرَ.

فقال: كُفَّا عنهُ قليلًا. ودَخَلَ، **فقال:** يا أميرَ المؤمنينَ، هَبْ مُجرِمَ قومٍ لِوَافِدِهم.

قال: هو لَكَ.

فأخذ الهَيثَمُ بيدِهِ فأخرَجَهُ، **والخارجيُّ يقول:** الحمد لله تعالى على العافية، تألَّى على الله جلَّ وعزَّ فأكْذَبَه، وغالبَ اللهَ فغَلَبَه[1]. [ر/١١٨]

• **وذكر أبو الحسن المدائنيُّ في كتابه «كتاب الفرج بعد الشدَّة والضِّيقَة»** عن محمَّدِ بنِ خالدٍ القُرَشيِّ[2]، **قال:** وَفَدَ أبو العُريان الهيثمُ بنُ الأسودِ على عبد

= إذا اشتدَّ عسرٌ فارجُ يُسرًا فإنَّه قضى الله أنَّ العُسرَ يتبَعُه اليُسرُ
وليس في النسخ التي عندنا، وهذا البيت منسوبٌ لمحمَّد بن أحمد بن رشيد مولى المهدي، وبعضهم ينسبه لأبي محجن الثقفي. ينظر: «معجم الشعراء» للمرزباني (٤١١)، و«شرح مقامات الحريري» للشُّريشي (١/ ٢٥٢).

(١) ينظر: «الفرج بعد الشدة» لابن أبي الدنيا (٧٦)، وقد نقل المؤلِّف نحوها في الباب الثالث (١/ ٣٤٤)، وزاد بيتاً آخر وهو:
إذا اشتَدَّ عُسرٌ فارجُ يُسرًا فإنَّهُ قَضَى اللهُ أنَّ العُسْرَ يَتبَعُهُ اليُسرُ

(٢) هو أبو بكر محمد بن خالد القرشي روى عنه: هشيم، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٣٧٧)، وسمَّى جدَّه سلمة، وذكر أنَّه أخو عكرمة بن خالد، قال ابن حجر: فرَّق بينهما البخاري وابن أبي حاتم وهو الصواب، وقال ابن القطان الفاسي في الذي روى عنه هشيم: لا يعرف، ولا روى عنه غيره. ينظر: «الآثار المروية في الأطعمة السرية» (ص: ٢٧٥)، و«تهذيب التهذيب» (٩/ ١٤٦).

الملكِ بن مروانَ، فدخل إليه وقد أُتِيَ برجلٍ من الخوارج، فأغلظ له الخارجيُّ في الكلام، فحلفَ عبدُ الملك ليقتلنَّه، فلمَّا حَضَرَ السيفُ والنِّطْعُ، **قال أبو العُريان**: يا أميرَ المؤمنين هَبْ جانيَ قومٍ لوافدهم.

فقال: خَلُّوا عنه.

فقال الخارجيُّ لما خرجَ: تألَّى على الله عَزَّوَجَلَّ فكَذَّبه، وغالبَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فغَلَبَه[1].

(١) قوله: (وذكر أبو الحسن المدائني... فغلبه) ليس في (ض، ل)، وأثبتناه من (ر، ف، ن).

[٨: ٤٧] [الحجَّاجُ يعفو عن رجلٍ من أصحابِ ابنِ الأشعثِ][١]

وذكر المدائنيُّ في كتابه عن عُبَيدِ بنِ يحيى الهَجَرِيِّ[٢]، **قال**: حدَّثنا رجلٌ كان من أُسَرَاءِ الحجَّاج من أَصحاب ابن الأَشعَث يوم الزاوية[٣]، **قال**: جعلَ الحجَّاجُ، يقتل عامَّةَ[٤] الأسرى، وبقيت منَّا جماعَةٌ قليلَةٌ، وأُتِيَ بِرَجُلٍ لتُضرَبَ عُنُقُه، **فقال**: يا حجَّاج، واللهِ لَئِن كُنَّا أسأنا في الفِعلِ، فما أحسَنتَ في العقوبَة، وإن كُنَّا لَؤُمْنا في الجِنايَةِ، لما كَرُمتَ في العَفوِ.

فقال الحجَّاجُ: يا حرسيُّ رُدَّهُ. كيفَ قلتَ؟ فأعادَه.

فقال الحجَّاجُ: صدقتَ، وأُفٍّ لهذه الجيفِ الخُبَثَاء[٥]، أما كانَ فيها أحدٌ ينبِّهُنا كما نبَّهنا هذا؟ أطلقوا عنهُ وعن باقي الأسرى. فأُطْلِقُوا[٦].

---

(١) هذه القصة ليست في (ض، ل، ر)، وأثبتناها من (ف، ج).

(٢) **حدث عنه**: الحسن بن علي بن زبان، وروى قصة عبد الله بن عامر بن كريز عامل العراق لعثمان بن عفان مع رجلين من أهل المدينة. ينظر: «الإكمال» (٤/ ١٢٠)، و«تاريخ دمشق» (٢٩/ ٢٦٧)، و«المنتظم» (٥/ ٣١٢).

(٣) **يوم الزاوية**: وقعة كانت بين الحجاج وابن الأشعث، سنة (٨٢هـ). ينظر: «الكامل في التاريخ» (٣/ ٤٩٤).

(٤) في (ج) زيادة: (يومه).

(٥) في (ج): (والخبث).

(٦) ينظر: «البيان والتبين» (١/ ٢١٧)، و«عيون الأخبار» (١/ ١٧٩)، و«عمدة الكتاب» (ص: ٢٨٧).

[٨: ٤٨] [أسيرٌ لدى الحجَّاجِ ينجو من القتلِ][(١)]

وروى المدائِنِيُّ أيضًا[(٢)] عن مَعمَرِ بنِ المثنَّى، **قال:** أُتِيَ الحجَّاج بقومٍ ممَّن كانوا خرجوا عليهِ، فأمرَ بهم فقُتلوا، فأقيمت الصَّلاةُ وقد بَقِيَ منهُم رجلٌ واحِدٌ.

فقال الحجَّاج لعَنْبَسَةَ[(٣)]: انصَرِفْ بهذا، واغْدُ به عليَّ.

قال عَنبَسَةُ: فخرجتُ به، فلمَّا كنَّا في بعضِ الطَّريقِ، **قال لي:** هل فيك خيرٌ؟

قلت: وما ذاكَ؟ **قال:** إنِّي -واللهِ العَظيمِ- ما خرجتُ على المسلمين قطُّ، ولا أستحِلُّ قتالهم، وعندي ودائعُ أموالٍ[(٤)]، فتُخَلِّي عنِّي حتَّى آتيَ أهلي فأَرُدَّ على كلِّ ذي حقٍّ حَقَّه، وأجعَلُ لك عهدَ الله عَزَّوَجَلَّ أنِّي أرجعُ إليك من غَدٍ.

فعَجِبتُ منه، وتضاحكتُ به، فمضينا ساعةً، فأعادَ عليَّ القولَ، **فقلت له:** اذهب. فذهبَ، فلمَّا توارى شَخصُه عنِّي سُقِطَ في يَدي، فأتيتُ أهلي فأَخبَرتُهم، **فقالوا:** لقد اجترأتَ على الحجَّاج. وبِتْنا بأطول لَيلَةٍ، فلمَّا طلعَ الفجرُ إذا أنا به قد جاءَ. **فقلت:** أرجعتَ؟

---

(١) هذه القصَّة ليست في (ر)، وأثبتناها من (ض، ل، ف).

(٢) (أيضًا) في (ض، ل): (في كتابه).

(٣) هو عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، أبو خالد، ويقال: أبو أيوب، أخو عمرو الأشدق، وثَّقه ابن معين، وقال الدارقطني: كان جليسًا للحجاج، (ت: ٩١ - ١٠٠ هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٢/ ١١٥٢).

(٤) في (ف): (وأموال).

فقال: سبحانَ الله، جعلتُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بيني وبينك وكيلًا ثمَّ لا أرجع!

قال: فانطلقتُ به إلى الحجَّاج، **فقال**: أينَ أَسِيرُنا؟

فقلتُ: أصلحَ اللهُ الأميرَ، هو بالبابِ، وقد كانَ لي وله قصَّةٌ طويلةٌ.

قال: وما هي؟ فأخبرتُه الخبرَ، وأدخلتُه عليه.

فقال: أَتُحِبُّ أن أَهَبَهُ لكَ؟ **قلت**: نعم. **قال**: هو لك.

فأخرَجتُه معي، **وقلت له**: خُذ أيَّ طريقٍ شِئتَ، فرفعَ بصَرَه إلى السَّماء، وقال: الحمدُ لله. وانصرفَ، وما كلَّمَني بكلمةٍ.

فقلت في نفسي: هذا مجنونٌ.

فلمَّا كانَ من غَدٍ أتاني، **فقال**: يا هذا، جزاكَ الله خيرًا، إنِّي والله ما جهلتُ ما صنعتَ، ولكنِّي كرهتُ أن أُشرِكَ في حَمدِ الله تعالى غيرَه[1].

۞ **وأخبرَنِيه محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ المظفَّرِ الكاتبُ، قال**: أخبرني أبو العبَّاس أحمدُ بنُ هارون النحويُّ مؤدِّبي[2]، **قال**: أخبرني عليُّ بنُ دُبَيس، عن الخرَّاز، **[عن]**[3] المدائنيِّ، **عن مَعْمَرِ**[4] بنِ المثنَّى مولى بني تَيم[5]، **قال**: أُتِيَ الحجَّاجُ

---

(١) في (ف): (أحدًا). وقد وردَت القصة في «مرآة الزمان» (١٠/ ٨٠).

(٢) هو أحمد بن هارون بن إبراهيم بن مهران أبو العبَّاس المؤدِّب الدينوري، سكن بغداد. ينظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٤٣٣).

(٣) إضافةٌ لا بد منها، **والخرَّاز** هو أحمدُ بن الحارث الخرَّاز، راوِيَةُ المدائنيِّ، وقد سبقت ترجمَتُه (١/ ٣٤٥).

(٤) في (ف): (المعمر).

(٥) تيمِ قريش. ينظر: «المعارف» لابن قتيبة (١/ ٥٤٣).

بقومٍ من الخوارجِ، فأمر بهم فقُتلوا، فأقيمت الصلاةُ وقد بقيَ رجلٌ، فقال لقُتَيبَةَ بنِ مُسلِمٍ(١): انصرف بهذا معك... وذكر الحديثَ.

وجاء بهذا الخبرِ القاضي أبو الحسين هكذا، إلَّا أنَّه ذكر بدلَ عَنْبَسَةَ قُتَيبَةَ(٢).

---

(١) هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين، أبو حفص الباهلي، أمير خراسان كلها بعد إمرة الري، وكان من الشجاعة والحَزم والرأي بمكانٍ، قُتِلَ في سنة (٩٦هـ) وله (٤٨) سنة. ينظر: «تاريخ الإسلام» (٢/ ١١٥٧).

(٢) قوله: (وأخبرَنِيه... قتيبةَ) أثبتناه من (ف)، وليس في باقي النسخ.

[٨: ٤٩] [محمَّدُ بنُ عُمَير المُضَريُّ ينجو من القتل](١)

[أخبرني محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ المظفَّر، **قال**: أخبرني أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدٍ السَّرَخْسِيُّ المُؤَدِّبُ، **قال**: أنبأنا أبو العبَّاسِ ثعلَبُ، **عن** أبي نصرٍ ابنِ أُختِ الأصمَعيِّ(٢)، **عن** خالِهِ الأصمَعيِّ، **قال**: جلسَ الحجَّاجُ يومًا يأكل، ومعهُ على المائِدَة محمَّدُ بنُ عُمَيرِ بنِ عُطارِدَ بنِ حاجِبِ بنِ زُرارَةَ التَّميميُّ(٣)، وحَجَّارُ بنُ أَبْجَرَ العِجْليُّ(٤)، فأقبل في وَسَطِ الطَّعامِ على محمَّدِ بنِ عُمَيرٍ، **فقال**: يا محمَّد، يدعوكَ قُتَيبَةُ بنُ مُسلِمٍ إلى نُصرَتي يومَ رُسْتُقْبَاذَ(٥)، فتقول: هذا أمرٌ لا ناقَةَ لي فيهِ ولا جمل! يا حرسيُّ خُذ بيدِهِ فاضرِبْ عُنُقَه.

---

(١) هذه القصة ليست في النسخ التي لدينا، وهي من المطبوع، وقال المحقق: انفردت بها نسخة الرباط.

(٢) هو أحمد بن حاتم، أبو نصر الباهلي، صاحب الأصمعي، روى عنه كتبه، وأنكر بعضُهم كونه ابنَ أخته، له تصانيف منها: «الشجر والنبات»، و«أبيات المعاني»، (ت: ٢٣١هـ). ينظر: «معجم الأدباء» (١/ ٢٢٦).

(٣) الدارميُّ الكوفيُّ، يعد في الصحابة، ولا تصحُّ له صحبة، يروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلاً، وقيل عن أبيه، كان سيِّد أهل الكوفة، وكان مع علي بصفِّين واستعمله على تميمِ الكوفة. ينظر: «تاريخ دمشق» (٥٥/ ٣٨).

(٤) هو حجَّار بن أبجر بن جابر العجلي البكري الكوفي، يروي عن علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وروى عنه: سماك بن حرب، وذكره ابن حجر في «الإصابة» وقال: له إدراكٌ. ينظر: «تاريخ دمشق» (١٢/ ٢٠٥)، و«الإصابة» (٢/ ١٤٣).

(٥) رُسْتُقْبَاذَ: موضعٌ من أرض دَسْتَوا بالأهوازِ. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٤٥٥)، و«مراصد =

فجَذَبَ سَيْفَه وأخذ بيدِ مُحَمَّدِ بنِ عُمَيرٍ فأقامَه. وحانَتْ من الحجَّاجِ التفاتةٌ، فنظرَ إلى حجَّارِ بنِ أَبْجَرَ يتبسَّمُ، فدخلته العصبيَّةُ، وكانَ مكانُ حجَّارٍ من ربيعَةَ، كمكانِ مُحَمَّدِ بنِ عُمَيرٍ من مُضرَ.

فقال الحجَّاج: يا حرسيُّ، شِمْ سَيفَكَ(١).

وجِيءَ بفُرْنِيَّةٍ(٢)، **فقال للخبَّازِ**: اجعلها ممَّا يلي محمَّدًا، فإنَّ اللَّبنَ يُعجِبهُ](٣).

= الاطلاع» (٢/ ٦١٥). وقد نزلها الحجَّاج سنة (٧٥هـ) لقتال الخوارج، فثار الناس عليه، وعلى رأسهم عبدُ الله بنُ الجارودِ، فقتله الحجَّاجُ، وبعث بثمانيةَ عشرَ رأسًا فنُصِبَتْ برامهرمزَ للناس. ينظر: «تاريخ الطبري» (٦/ ٢١٠).

(١) أي: أَغْمِدْه. ينظر: «لسان العرب» (ش ي م: ١٢/ ٣٣٠).

(٢) **الفُرنِيَّة**: خُبزَةٌ تُشْوَى ثمَّ تُرَوَّى لَبَنًا وسُكَّرًا وسَمْنًا، وتُنسَبُ إلى الفُرْنِ. ينظر: «المدخل إلى تقويم اللسان» (ص: ٤٧٣).

(٣) ينظر: «الكامل في اللغة» (١/ ٢٤٣)، و«مرآة الزمان» (١٠/ ٨١)، و«المقفى الكبير» (٣/ ١٣٩).

[٨: ٥٠] [المستعينُ يأمرُ بقتلِ أحمدَ بنِ إسرائيلَ][1]

[قال مُحَمَّدُ بنُ عُبدوسٍ في كتاب «الوزراء»: حدَّثني الباقَطائيُّ، قال: انصَرفَ إلينا يومًا أحمدُ بنُ إسرائيلَ وهو في نهايةِ القَلَقِ والاغتمامِ وكأنَّهُ ميت، فسألتُه عن خبرِه، فذكرَ أنَّ رجلًا يُعرَفُ بالقاسمِ بنِ شعبانَ الحائكِ صار إلى باب المُستَعِينِ ببغدادَ، وعليهِ جُبَّةُ صوفٍ، وعمامةُ صوفٍ، وخُفَّانِ أحمرانِ، وفي يده عكَّازٌ مُعَقَّدٌ، فصاح: معتز يا مَنصور[2]، وأنَّ مَنْ على بابِ العامَّةِ تعلَّقوا به، وأُدخِلَ الدَّارَ، فسُئِلَ عن خَبَرِه، فادَّعَى عليَّ أنِّي أمرتُه بهذا، وأنْ يدعوَ النَّاسَ إليه، فأمرَ أميرُ المؤمنينَ بضَربِ عُنُقِي، فاسْتُوهِبْتُ مِنهُ، وعُرِّفَ أمرَ الحائكِ، فعَرَفَ أنَّه عُلِّمَ، وحَمَلَ عليَّ بما قالَه. فأمرَ أميرُ المؤمنينَ بإخراجِهِ إلى أنطاكيَّة، ثمَّ عاد مَعَنا، واستقامَ أَمرُه].

(١) هذه القصة ليست في النسخ التي لدينا، وهي من المطبوع، وقال المحقق: انفردت بها نسخة الرباط.

(٢) استخدم هذا النداءَ الخارجون على المستعينِ يوم بَيعَتِه، وحصل بينهم اقتتالٌ شديدٌ. ينظر: «تاريخ الطبري» (٩/ ٢٥٦)، و«البداية النهاية» (١٤/ ٤٦٤).

[٨: ٥١] [مسجونٌ أُمِرَ بقتلِهِ فنجّاه اللّهُ تعالى][١]

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابِه، قال: حُبِسَ رجلٌ قد وَجَبَ عليه حدٌّ، فلمَّا رُفِعَ خَبرُه أُمِرَ بِضَربِ عُنُقِه.

فقال المُخبِرُ: فدخلتُ السجنَ إلى صديقٍ لي محبوسٍ[٢]، فرأيتُ الَّذي أُمِرَ بِضَربِ عُنُقه يلعَبُ.

فقلت للَّذي دخلتُ إليه، وأنا لا أعلمُ أنَّه أُمِرَ بِضَربِ عُنُقِه: ما أَفْرَغَ قلبَ هذا! يلعبُ وهو محبوسٌ.

قال: أَطْرَفُ[٣] من هذا أنَّه أُمِرَ بضرب عُنُقه، وقد عَلِمَ بذاكَ، وهو كما ترى حالَه.

قال: فازددتُ تَعَجُّبًا، وفَطِنَ الرجلُ لما نحن فيه، فأخذ فَصًّا من الفصوصِ ورَفَعَه، **وقال:** إلى أن يسقط هذا إلى الأرض فَرَجٌ -أو مئَةُ فرجٍ[٤]- ورَمَى بالفَصِّ من يده.

قال: فخرجتُ، وأنا متعجِّبٌ منهُ، مفكِّرٌ في قوله.

---

(١) هذه القصة ليست في (ر)، وأثبتناها من (ف، ض، ل).

(٢) (صديق لي محبوس) في (ض، ل): (رجل بيني وبينه نسب، أعرف خَبره).

(٣) في (ل): (أظرف).

(٤) في (ف): (وقال: قبل أن يقع هذا إلى الأرض تحدث أمور).

فما أمسينا ذلك اليوم حتَّى شَغَبَ الجندُ، وفُتِحَتْ السجون، وخرجَ كلُّ مَن كانَ فيها، والرجل فيهم، وسَلِمَ من القتل بقدرة الله. [ص/ ١٧٤]

[٨: ٥٢] [رجلٌ من الأكرادِ يرسله عضدُ الدولةِ للقتل فينجو بإذن الله][1]

حدَّثني الحسنُ بن محمَّد الجبَّائي[2]، **قال**: حدَّثني أبو القاسِم نصرٌ المعروفُ بالمالكي[3]، **قال**: كانَ عضدُ الدولةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وهو صبيٌّ غيرُ بالغٍ- سائرًا من أصبَهانَ إلى فارسَ، لما استدعاه عَمُّه عمادُ الدولةِ عليُّ بنُ بُوَيهِ[4]؛ ليجعلَ إليه ولايةَ عهدِه، ويستخلِفَه[5] من بعده، فسرتُ معه، وأنا إذ ذاك أَحجُبُه.

فلمّا صار [بِسُمَيْرَم][6] أمرني أن أسيرَ إلى كركيلَ[7] والِي [سُمَيْرَم][8] من قِبَلِ أبيه ركنِ الدولةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[9]، فأُطالِبَه أن يُنفِذَ إلى حضرتِه اثنَي عشرَ رجلًا من الأكرادِ، كانوا محبوسين، وكانَ خبرُهم قد بلغَ عَضُدَ الدولةِ، فأرادَهم.

---

(١) هذه القصَّة ليست في (ر، ف)، وهي مثبتة من (ض، ل، غ).

(٢) في (ل، ض): (الجياني).

(٣) (قال: حدَّثني أبو القاسِم نصرٌ المعروفُ بالمالكي) ليست في (ض، ل). وبعدها في المطبوع زيادة: (الذي كانَ يتقلَّد السِّكر ببغداد في أيَّام عضد الدولة وتاج الملَّة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال القاضي أبو عليٍّ: وأنا أعرف هذا الرجلَ، وهو باقٍ إلى الآن، وما اتَّفق لي أن أسألَه عن هذا الخبر).

(٤) ابن فناخسرو بن تمام، أبو الحسن الديلمي، وكانت أيام عماد الدولة ست عشرة سنة، وعاش بضعًا وخمسين سنة، (ت: ٣٣٨هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٧/ ٧١٨).

(٥) في (غ) زيادة: (عليها).

(٦) في النسخ (بسهرم)، وهو تصحيف صوابه: (بسُمَيْرَم)، بلدةٌ بين أصبهان وشيراز في نصف الطريق، وهي آخرُ حدود أصبهان. ينظر: «معجم البلدان» (٣/ ٢٥٧).

(٧) في (ض): (كركيك).

(٨) في النسخ: (سمير)، والصواب المثبت.

(٩) هو الحسن بن بويه بن فناخسرو، أبو علي الديلمي، صاحب أصبهان والري وهمذان وعراق =

فامتنعَ كركيل(١) من إنفاذِهم إليه، **وقال:** هؤلاءِ قطَّاعُ طريقٍ، قَطَعُوا وقَتَلُوا، ولا أُطلِقُهم(٢) إلا بأمرٍ يَرِدُ عليَّ من ركنِ الدولة. فجئتُ إليه فعرَّفتُه.

فقال لي: عُدْ إليه فقلْ له: إن كانوا قَتَلُوا فأنا أحقُّ بقَتْلهم، فأَنْفِذْهُمْ إليَّ. فأقام الرجلُ على الامتناع من تَسلِيمِهم، فعُدتُ إلى عضد الدولةِ فأخبرتُه.

فاغتاظ من ذلك، وأَمَرَني أن أَكبِسَ الحبسَ، وأجيئَه بالأكرادِ، فامتثلتُ ذلك، وأحضرتُهم المَضرِبَ(٣)، ودخلتُ فأعلمتُه.

فأمرني أن أمضيَ أنا وحاجبٌ آخرُ من حجَّابِه -سمَّاهُ- لنقتُلَهم، فحملناهم إلى مَوضِعِ أَمَرَنا، فقتلنا منهم ثلاثةَ أنفُسٍ، وقُدِّمَ الرابعُ فَرماهُ الحاجِبُ بِخِشْتٍ(٤) كانَ في يَدِه، فَنبَا عنهُ، ولم يعمل فيه، فتقدَّم بشَدِّ عَيْنَيهِ وضَربِ رقبته بالسَّيفِ، فشَدَّ عَينَيه بمنديلٍ، فلمّا رفع السيَّافُ يَدَه ليَحُطَّها على المضرِبِ استرخى المنديلُ، فَوَقع على المضربِ فغطَّاه، **فقال السيَّاف:** ارفعوا المنديلَ.

فأومأتُ بطرَفِ عصاةٍ كانَتْ معي -على رَسمِ الحُجَّابِ- لأَشِيلَ المنديل، فيتمكَّنَ السيَّافُ من الضَّربَةِ، وإذا برسولِ عضدِ الدولةِ يَسْعَى ويقول: لا تقتلوا القَومَ.

= العجم كله، والد السلطان عضد وفخر ومؤيد، ملك أربعًا وأربعين سنة وأشهرًا. (ت: ٣٦٦ هـ) عن نيف وثمانين سنة. ينظر: «تاريخ الإسلام» (٨/ ٢٥٤).

(١) في (ض): (كركيك).

(٢) في (غ): (أسلِّمُهم).

(٣) أي: المكان الذي ضُرِبَت به خيام عضد الدولة. ينظر: «المصباح المنير» (ض ر ب).

(٤) في (ض، ل): (بخشب). **والخِشْتُ:** نَبْلٌ حربيٌّ صغير. ينظر: «المعجم الذهبي- فارسي عربي» (ص: ٢٣٩).

قال: فتوقَّفْنا، ومضيتُ إلى حضرتِه، وعرَّفتُه مَن قُتِلَ ومَن لم يُقتَل، وما جرى في أَمرِ الرَّجُلِ، فعَجِبَ من أمرِه، وأمر بإحضاره، فكشف عن مَوضِع الخِشْتِ[1] حتَّى يراهُ، وكانَ في كَتِفِه، فإذا هو قد انتفخَ واخضرَّ، ولم يدخلْ في لحمِه، فازداد تعجُّبُه، وأمر بإطلاقِهِ، وأن يُخلَعَ عليه ويُخَلَّى الجماعةُ، ففُعِلَ ذلك بهم، ومَنَّ الله عليهم فنَجُوا من القتل[2].

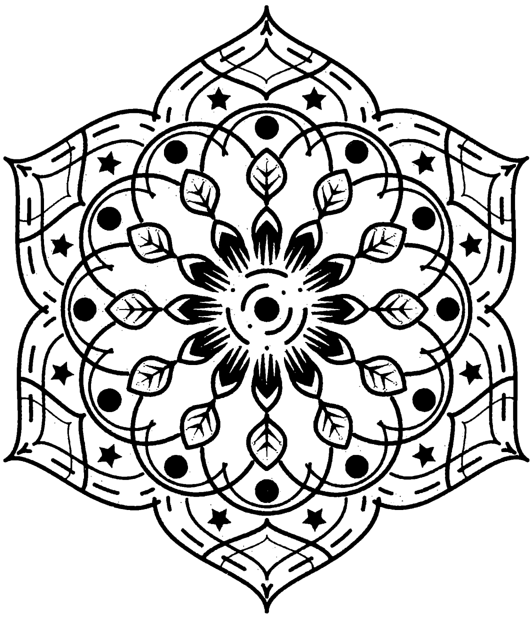
---

(١) في (ض، ل): (الخشب).

(٢) (ومن الله عليهم فنجوا من القتل) في (ل): (ونجوا من القتل والله أعلم).

البَابُ التّاسِعُ

مَنْ شَارَفَ المَوْتَ بِحَيَوَانٍ مُهْلِكٍ رَآه فكَفَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ بِلُطْفِهِ وَنَجَّاه



[٩: ١] [لُقْمةٌ بلُقمةٍ][١]

حدَّثني أبو بكر[٢] محمَّدُ بنُ بَكرٍ الخُزاعيُّ البِسطاميُّ، صاحبُ ابنِ دُرَيد، وكانَ زوجَ ابنتِه الغُرَانِقةِ[٣]، وكانَ شَيخًا من أهل الأدَبِ والحَديثِ، قد استَوطنَ الأهوازَ سنينَ، وكانَ مُلازمًا لأبي رَحِمَهُ اللَّهُ، يبَرُّه ويتفقَّدُه[٤]، قال: كانَ لامرأةٍ ابنٌ غابَ عنها غَيبةً طويلةً، وأَيِسَت منه، فجلسَت يومًا تأكلُ، فحين كسرَت اللُّقمةَ وأَهوَت بها إلى فِيها وقفَ بالبابِ سائلٌ يَستَطعِمُ، فامتنَعَت مِن أكلِ اللُّقمةِ، وحمَلَتْها مع تمامِ الرَّغيفِ فتصدَّقَت بها، وبقيَت جائعةً يومَها وليلتَها.

فما مضَت إلَّا أيّامٌ يَسيرةٌ حتى قَدِمَ ابنُها، فأخبرَ بشدائدَ عَظيمةٍ مرَّت به، وقال: أعظمُ شيءٍ جَرى عليَّ أني كنتُ منذُ أيّامٍ أسلُكُ أَجَمَةً[٥] في المَوضعِ الفُلانيِّ، إذ خرجَ عليَّ أسدٌ، فقبضَ عليَّ مِن على ظهرِ حِماري الذي كنتُ راكبَه، وغارَ الحمارُ، ونشَبَت مخالبُ الأسدِ في مُرَقَّعةٍ كانَت عليَّ وثيابٍ تحتَها وجُبّةٍ،

---

(١) هذه القصة ليست في (ض، ل).

(٢) (أبو بكر) زيادة من (ف، ح، ش).

(٣) كذا في (ن)، وفي (ر) غير منقوطة، وفي (ف): (ابنة العراقية)، وليست في (ج). **وامرأة غُرانِقةٌ وغُرانِقٌ**: شابَّةٌ ممتلئة. ينظر: «لسان العرب» (١٠/ ٢٨٧).

(٤) هو محمَّد بن بكر البسطامي اللغوي، صنَّف كتابًا على كتاب الجمهرة لابن دريد. ينظر: «ذم الهوى» (ص: ٣٥٠)، و«معجم الأدباء» (٦/ ٢٤٣٦)، و«الوافي بالوفيات» (٢/ ١٩٠).

(٥) **الأجمةُ**: الشجر الملتفّ. ينظر: «المصباح المنير» (ء ج م).

فما وصلَ إلى بدَني كبيرُ شيءٍ من مَخالبِه، إلَّا أنِّي تحيَّرتُ وذهبَ أكثرُ عقلِي، فأدخلَني الأسدُ الأَجَمةَ وبَرَكَ ليفترِسَني.

فرأيتُ رجلًا عظيمَ الخَلقِ، أبيضَ الوجهِ والثِّيابِ، قد جاءَ حتى قبَضَ بيدِه مِن غيرِ سِلاحٍ على قَفا الأسدِ، وأشالَه وخبطَ به الأرضَ.

وقال: قُم يا كلبُ، **لُقمةٌ بلُقمةٍ**، فقامَ الأسدُ هاربًا يُهَروِلُ، وَثَابَ[1] إليَّ عقلِي.

فطلبتُ الرَّجلَ فلم أَجِدْهُ، فجلستُ ساعاتٍ إلى أنْ ثابَت إليَّ قُوَّتِي، ثمَّ نظرتُ إلى نفسِي فلم أجِد بها بأسًا، فمشَيتُ حتى لحِقتُ بالقافلةِ التي كنتُ فيها، فعَجِبوا لَمّا رأَوني، فحدَّثتُهم حَدِيثي، ولم أَدْرِ ما معنى قولِ الرَّجل: لقمةٌ بلقمةٍ.

فنظرَت المرأةُ وسألَتْه عن اليومِ والوقتِ، فإذا هو وقتَ أخرجَت اللُّقمةَ من فيها فتصدَّقَت بها[2].

---

(١) **ثاب**: رجع. ينظر: «المصباح المنير» (ث و ب).

(٢) أوردها المصنف في «نشوار المحاضرة» (٢/ ٤٢).

وروى الدينوري خبرًا بنحو هذه القصة في «المجالسة وجواهر العلم» (٣٥٢٩) مرفوعاً عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتى سائلٌ امرأةً وفي فمها لقمةٌ، فأخرجت اللقمةَ فلفَظَتْها، ثمَّ ناوَلَتْها السائلَ، فلم تلبث أن رُزِقَت غلامًا، فلمّا ترعرعَ جاء ذئبٌ فاحتمله، فخرجت تعدو في أثر الذئبِ، وهي تقول: ابني، ابني. فأمر الله ملكًا: الْحَقِ الذئبَ، فخُذِ الصبيَّ من فيه، وقل لأمِّه: إنَّ الله يقرئك السلام، وقل: هذه لقمةٌ بلقمة»، وفيه الحكمُ بن أبان، ضعيف.

وروى نحوها ابن الجوزي في «البر والصلة» (٣٧٧)، وقال: روي هذا مرفوعاً إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يصحُّ رفعُه. وأورده السيوطيُّ في «الجامع الكبير» (١/ ٨٧) (١/ ٢١١) من رواية ابن صصرى في «أماليه» عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢/ ٣٨٣) عن مالك بن دينار، قال: أخذ السبع صبيًّا لامرأةٍ، فتصدقت بلقمة فألقاه السبع، فنودِيَتْ: «لقمة بلقمة».

[٩: ٢] [رجلٌ ينجو من السَّبُعِ فابيضَّتْ نصفُ لحيتِهِ منَ الخوفِ][1]

وفي بعض تواريخ مصرَ: ذُكِرَ أنَّ شخصًا مقدسيًّا كان جالسًا على حانوتِ نجّارٍ من سوق بيت المقدس، فجاء رجلٌ يشتري منه تختًا لولدٍ صغيرٍ، فنظر المقدسيُّ إلى الرجلِ فوجد نصفَ لحيتِهِ أبيضَ ناصعًا، والنصف الثاني أسودُ حالكٌ، وليس بالبياض شيءٌ من السواد، ولا بالسواد شيءٌ من البياض، فتعجَّبَ من ذلك، **فقال له**: لا تعجب، فإنَّ لذلك أصلًا، **فقال**: وما هو؟

قال: كنّا ثلاثة أنفارٍ ومعنا ثلاثون رأسًا من الأغنام، قاصدين من مكانٍ بعيدٍ بيعَها بغزَّة، فبينما نحن بالطَّريق وإذا بنفرين ومعهما من الأغنام عشرونَ رأسًا.

فقلنا لهما: لأي جهةٍ قاصدان؟ **فقالا**: لغزَّة.

فقلنا: ونحن كذلك. فأدرَكَنا المساءُ، فأوينا إلى خانٍ بالطريق، ولم يكن به أحدٌ من الناس، فاختلطت الأغنام بالأغنام، وكلٌّ منَّا يعرف غنمَه، وقصدنا إذا نام الرَّجلان نقتلُهما ونأخذُ الأغنام، فتفطَّنا لذلك، وتنحَّيا عنَّا بمكانٍ بعيدٍ من مرقدنا، وأخذا حِذْرهما، فلم نظفر منهما بالمراد، فلمَّا أصبح الصباح افترقنا، وحُزْنَا أغنامَنا، وهما حازا أغنامَهما، فاتَّفق أن وافيناهما بغزَّةَ عند الصرَّاف يُنقَدانِ ثَمَنَ أغنامِهما، فخرجنا جميعًا من غزَّةَ، فلمَّا أن صِرنا بالبريَّة أقدمنا على قَتلِهما

(١) ذكرت هذه القصة في (س)، وليست في باقي النسخ.

ففرَّا هاربين، فتلاحقنا بهما قريبًا من ذِروَةِ جبلٍ، فأقاما الصِّياحَ، وكان بذِروَة الجبل نُجعُ عَرَبٍ[1]، فجاء على صياحهما جماعةٌ من النُّجع، فقبضُوا علينا وأخذوا ما كان معنا من الدراهيم[2]، وَكَتَفونا وتركونا بإزاء بيوتهم، فصرنا في أسوء حالةٍ منتظرين القتل، فلمَّا جَنَّ اللَّيلُ حفروا ثلاثَ حُفَرٍ في الأرض، وأوقفُوا كلَّ واحدٍ منّا مكتوفًا في حُفرةٍ، وردموا علينا التراب إلى أنَّ ساوى الردمُ حلقومَ كلِّ واحدٍ منَّا، فما بقي يُرى منه إلَّا الذَّقَنُ[3] والرأسُ فقط، وصبُّوا علينا الترابَ والماءَ، وكنت في آخرِ حُفْرةٍ، ورحلَ النَّجعُ وتركونا على هذه الحالة.

فلمَّا أصبح الصباحُ جاء وحشٌ صغيرٌ قدرَ الذئب واطَّلع علينا ومضى، ثمَّ عاد وخلفه سَبُعٌ عظيمُ الخِلقة، فصاح صيحةً عظيمةً، وجاء إلى الأوَّل منَّا ونَبَشَ عليه الأرضَ وأخرجَهُ منها وأكلَهُ، ولم يُبْقِ منه إلَّا بعضَ لحمٍ على عظامٍ، فجاء الوحش الصغيرُ وأكلَ فضلتَهُ، وتوجَّها.

ثم جاءا ثاني يومٍ وفَعَلا بالثاني كالأوَّل، ولم يَبْقَ إلَّا أنا.

ثمَّ جاءا في اليوم الثالث فرأيتُهما من بعيدٍ فتماوتتُ وأرخيتُ عنقي على الأرض، فلمَّا دنا منِّي السبُع وجدني على هذه الحالة، فوضع خدَّه على خدِّي الذي به البياض، فغَمَّضْتُّ عيني وكتمتُ نفَسي، فلم يُحِسَّ منِّي بنفَسٍ يصعدُ.

---

(١) من النُّجْعَة، وهي المَذهَبُ في طَلَبِ الكلأ في مَوضِعِهِ. ينظر: «لسان العرب» (ن ج ع: ٨/ ٣٤٧).

(٢) جَمْعُ الدِّرْهَم: دَراهِمُ؛ قال ابنُ سِيدَه: وجاءَ في تكسِيرِهِ: الدَّراهِيمُ. ينظر: «لسان العرب» (درهم: ١٢/ ١٩٩).

(٣) **الذَّقَنُ** من الإنسان مجتمَعُ لَحيَيهِ. ينظر: «المصباح المنير» (ذ ق ن).

ثمَّ إنَّه أطلعَني من الحُفرةِ وقد انقطع وثاقي، وصارَ يقلِّبني يمينًا وشِمالًا فلم ينظر منِّي حركةً ولا عضوًا يختلجُ، واستمرَّ يرصدُني إلى أن دخل اللَّيل، فلمَّا أَيِسَ منِّي تركني ومضى، فلمّا تحقَّقتُ مفارقتَه، قمت مهرولًا ولا أدري أين أتوجَّه، فرأيت بالصَّحراء بناءً مرتفعًا فأويتُ إليه، وقلتُ أستمرُّ إلى الصباحِ.

فبينما أنا فوقَ حائطٍ من حوائطِ البناء وإذا بِكَرْكَبَةٍ[1] مهولةٍ، فدخلني من الرُّعب ما لا يوصف، **وقلت**: مَن يسلم من الموتِ تجبَّن. وإذا برجلٍ راكبِ فَرسٍ يسوقُ امرأةً، فنزل عن فرسِهِ وكشفَها، ورمى بها إلى الأرض، ووثبَ على صدرِها وبيده خنجرٌ، وهو يعاتِبُها **ويقول**: إنَّ أباكِ يريدُ أن يزوِّجَكِ لغيري.

فتقول: له يابن عمٍّ كيف أصنع! وها أنا بين يديكَ.

فقال لها: لا بدَّ من القتلِ.

فقالت له: تشفعَّتُ عندك **بخليل الرَّحمن** لا تقتلني. فألهَمَني الله أن آخُذَ في يدي قطعتَي حجرٍ وصَفَقْتُ بهما[2]. **وقلت له**: جئتك. ففرَّ هاربًا، وترك المرأةَ والفرسَ.

فنادتني المرأةُ، **وقالت**: بالله مَن تكونُ أنت الذي أغاثني الله بكَ؟

فقلت لها: لا تخافي أنا رجلٌ من الإنسِ. فنزلتُ وحلَّيت وَثَاقَها.

فقالت: أنا أعرفُ الطريقَ الموصلةَ **إلى** ضيعتنا. فسارت أمامي وأنا سائرٌ خلفها، إلى أن وصلنا إلى ضيعتِها، فتوجَّهَتْ إلى منزلها، وقصَّتْ القصَّة

---

(١) **كركب الشّخصُ**: أحدث ضجّة وجَلَبة. ينظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» (٣/ ١٩٢١).

(٢) **صَفَقْتُ الشَّيءَ بيدي**، إذا ضربتَه بباطنِ يدِكَ بِقُوَّةٍ. ينظر: «مقاييس اللغة» (٣/ ٢٩٠).

على أهلها، فجاؤوني وتلقَّوني بأحسنِ اللِّقاء، وأدخلوني منزلَهم، وناشدوني عن سببِ مجيئي إلى هذا القُطر[1]، فقصصت عليهم أمري.

ثمَّ إنَّهم زوَّجُوني بالمرأةِ، ورزقني الله منها الولد الذي جئتُ أطلب له التَّختَ، وهذا البياضُ الذي بلحيتي من أثرِ وضعِ السَّبُعِ على خدِّي. **انتهى**.

(١) **القُطر**: بالضمِّ؛ الناحية والجانب، وجمعه أقطار. ينظر: «مختار الصحاح» (ق ط ر).

[٩: ٣] [كفى بالأجَلِ حارِسًا]

وجدتُ في دفترٍ عتِيقٍ أعطانِيه أبو الحسنِ أحمدُ بنُ يوسفَ الأَزرقِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأخبرَني أنَّه بخطِّ عمِّه أبي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ البُهْلُولِ الأنباريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): هذه **أحاديثُ من النّوادرِ عن ابنِ زُنْبُورٍ**(٢)، ممّا صارَ إلينا ولم أسمَعْه منه، وكان فيها:

حدَّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ الدَّورقيُّ(٣)، **قال**: حدَّثنا الحارثُ بنُ مُرّةٍ(٤)، **قال**: حدَّثنا يزيدُ الرَّقَاشِيُّ، **قال**: حدَّثنا إبراهيمُ بن الخضرِ - وكان أحدَ أُمناءِ الحُكمِ ببغدادَ، ويخلُفُ القضاةَ الغُيَّبَ بحضرةِ قاضِي القضاةِ وغيرهم - قال: **حدّثني صديقٌ لي**(٥)، **قال**: خرجتُ إلى الحائرِ(٦) في أيّام الحَنبليّةِ(٧) أنا وجماعةٌ متخفِّينَ،

(١) هو من بيت مشهور بالعلم والتقدم ورواية الحديث. ينظر: «الجواهر المضية» (١/ ٥٠).

(٢) هو محمَّد بن زنبور المكي، هو أبو صالح محمَّد بن جعفر بن أبي الأزهر، ولقب أبيه جعفر: زنبور، وثَّقه النسائي، وضعفه ابن خزيمة، (ت: ٢٤٨هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٥/ ١٢٢٧).

(٣) العبدي البغدادي المعروف بالدورقي، أبو يوسف، كان ثقةً حافظًا متقنًا، (ت: ٢٥٢هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٦/ ٤٠٤)، و«تاريخ الإسلام» (٦/ ٢٣٤).

(٤) هو أبو مرَّة، الحارث بن مُرَّة بن مُجَّاعة الحنفي اليمامي ثمَّ البصري، قال ابن معين: ليس به بأس، وقال مرة: صالح، (ت: ١٩١ - ٢٠٠). ينظر: «تهذيب الكمال» (٥/ ٢٨٠)، و«تاريخ الإسلام» (٤/ ١٠٨٩).

(٥) من قوله: (وجدت في دفتر... صديق لي) في (ض، ل): (وعن إبراهيم بن الخضر).

(٦) **الحائر**: اسمٌ لموضعٍ بناحية الكوفة، دُفِنَ فيه الحسين بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، والعامَّة تسمِّيه (الحَيْر). ينظر: «تصحيح الفصيح» (ص: ٥٠٤)، و«معجم البلدان» (٢/ ٢٠٨).

(٧) ينظر: «الأوراق» للصولي (٢/ ١٩٨)، و«مرآة الزمان» (١٧/ ١٣٥)، و«الكامل في التاريخ» (٧/ ٤٠).

فلمّا صِرنا في أجَمةِ بَزِيقيا[1] قال لي رفيقٌ لي منهم: يا فلان، إنَّ نفسي تحدِّثُني أنَّ السَّبُعَ يَخرُجُ فيَفرِسُني[2] مِن دونِ الجماعةِ، فإنْ كان ذلكَ فخُذ حِماري وما عليه فأدِّه إلى عِيالي في مَنزِلي.

فقلتُ له: هذا استشعارٌ يجبُ أنْ تتعوَّذَ باللهِ تعالى منه، وتُضْرِبَ[3] عن الفِكرِ فيه.

فما مَضى على هذا إلَّا شيءٌ يَسيرٌ حتى خرجَ الأسدُ، فحينَ رآه الرَّجلُ سَقطَ عن حمارِه وأقبلَ يَتشهَّدُ، وقصدَه الأسدُ مِن بينِ الناسِ كلِّهم فأخذَه ودخلَ به الأجمةَ، وسُقتُ أنا الحمارَ، وأسرعتُ مع القافلةِ، وبلَغْنا الحائرَ وزُرْنا، ورجعتُ إلى بغدادَ، فاسترَحْتُ في بَيتي يومًا أو يومَين، ثمّ أخذتُ الحمارَ وما كانَ عليه وجئتُ إلى منزِله لأُسلِّمَه إلى عيالِه، فدَقَقتُ البابَ، فخرجَ إليَّ الرَّجلُ بعينِه!

فحينَ رأيتُه طارَ عقلِي[4] جزَعًا وفرَحًا، وشكَكتُ حتى مسَحْتُ عَينَيَّ، فعانَقَني، وبكَى وبكَيتُ، ثمَّ ضحِكَ، فعجِبتُ من ضَحِكِه مع البُكاء، فقلتُ: حدِّثنِي حدِيثَك.

---

(١) في (ل، ر) (بريقا)، وفي المطبوع: (بانِقْيا). وكله تصحيف، والصواب المثبَت من (ف)، وهي قرية قرب حلّة بني مزيد من أعمال الكوفة، كما في «معجم البلدان» (١/ ٤١٢).

(٢) **فَرَسَ الأسدُ** فريستَه من باب ضرب؛ أي: دَقَّ عنقَها، وافترسها مثله. ينظر: «مختار الصحاح» (ف ر س).

(٣) في (ض، ل): (وتتوب).

(٤) في (ض، ل): (قلبي).

فقال: إنَّ السَّبُعَ ساعةَ أخذَني جرَّني إلى الأجَمةِ، وأنا حائرٌ في[1] أمرِي، فلَمّا توسَّطتُ الأَجَمةَ ألقاني، فبَرَك عليَّ مُتَفَجِّجًا[2]، ثُمَّ سمعتُ صوتَ وَطءٍ شديدٍ، ورأيتُ السَّبُعَ قد خلّاني ومَضى، ففتَحتُ عَينَيَّ فإذا الذي سمعتُ صوتَ وَطئِه خِنزيرٌ، وإذا السَّبُعُ لَمّا رآه عنَّ له أنْ تَركَني ومَضى فَصادَه وبَرَكَ عليه يَفرِسُه وأنا أُشاهدُه، إلى أنْ فرَغَ مِن أكلِه وشَبِعَ، ثمَّ خرجَ السَّبُعُ من الأجَمةِ وغابَ عنِّي.

وسكنَتْ نفسِي، فتأمَّلتُ حالي فوجَدْتُ مخاليبَه قد وصلَت إلى فخِذي وُصولًا قليلًا، وقوَّتي قد عادَتْ إليَّ.

فقلتُ: لأيِّ شيءٍ جُلوسي؟ فقُمْتُ أمشِي في الأجَمةِ أطلبُ الطَّريقَ، وإذا بجِيَفِ ناسٍ وبقَرٍ وغيرِ ذلك، وعِظامٌ باليَةٌ ومَخَالٍ لفُيُوجٍ[3]، وآثارِ مَن قد فرسَهم الأَسدُ.

فما زلتُ أتخطّاها حتى انتهيتُ إلى رجلٍ قد أكلَ الأسدُ بعضَه وبقيَ أكثرُه، وهو طرِيٌّ وفي وسَطِه هِمْيَانٌ[4] قد تَخرَّقَ بعضُه وظهَرَتْ منه الدَّنانيرُ،

---

(١) في (ل، ر): (وأنا أعقل أمري).

(٢) **متفجِّجاً**: أي مباعداً ما بين رجليه. ينظر: «لسان العرب» (ف ج ج: ٢/ ٣٣٩)، و«تاج العروس» (٣/ ٤٥٠)، وتصحفت في (ض) إلى: (متفخخاً).

(٣) **المخالي**: جمع (مِخْلاة): وهي ما يجعَلُ فيها الخَلَى، وهو الرَّطْبُ من الحشيش، وأَخْلَت الأرض: كَثُرَ خلاها. ينظر: «مختار الصحاح» (خ ل ا).

والفيوج: جمع (فَيْج): وهو الجماعة، وقد يطلق على الواحد، فيجمع على فُيُوجٍ وأَفياج، مثل: بيت وبيوت وأبيات، وأفاجَ إفاجةً: أسرعَ، ومنه الفَيْجُ، قيل: هو رسول السلطان يسعى على قدمه. ينظر: «المصباح المنير» (ف ي ج).

(٤) **الهِمْيَان**: كيس يجعل فيه النفقة ويشد على الوسط، قال الأزهري: وهو معرب دخيل. ينظر: =

فتقدَّمتُ فجمعتُها، وقطَعتُ الهِمْيانَ، وأخذتُ جميعَ الدَّنانيرَ، وتتبَّعتُها حتى لم يَفُتْنِي منها شيءٌ.

وقَوِيَت نفسِي فضلَ قوّةٍ فأسرَعتُ في المشيِ، وطلبتُ الجادّةَ فوقفتُ عليها، ثمَّ أتمَمْتُ مَشيِي إلى بعضِ القُرى، فاستأجرتُ حمارًا وعدتُ إلى بغدادَ، ولم أَمضِ إلى الزِّيارةِ؛ لأنِّي خشيتُ أن تسبقُوني فتَذكُروا خَبرِي، فيَصيرَ عند عِيالي مأتَمٌ، فسبقتُكم وأنا أُعالِجُ فخِذي، وإذا مَنَّ اللهُ تعالى عليَّ بالعافيةِ عُدتُ إلى الزِّيارة.

۞ وقد حدَّثني بهذا الحديثِ غيرُ واحدٍ من أهلِ بغدادَ، بقريبٍ من هذهِ العبارةِ.

۞ وبلَغَني عن أبي الحسينِ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ مُقلةَ أنَّه قال: كنتُ بالمَوصِلِ مع المتَّقِي لله، وأنا أَزِرُ[1] له إذ ذاكَ، فأتانِي سَلامةُ أخو نُجحٍ الطُّولُونيِّ[2] بفَيجٍ معه كتبٌ، فقال: اسمَع ما يقولُ هذا فإنَّه طريفٌ، فدعَوتُه، وقلتُ: قُل.

= «المصباح المنير» (هـ م ن).

(١) وَزَرَ للسلطان يَزِرُ، من باب (وَعَدَ)، فهو وزير. ينظر: «المصباح المنير» (وزر).

(٢) **سَلامةُ**: هو أبو القاسم سلامة أخو نجاح الطولوني، كان حاجب الخلفاء، أخذ ماله وعياله، وسار إلى الشام أيام المستكفي، فمات هناك سنة (٣٣٦هـ). ينظر: «الأوراق» للصولي (٢/ ١٨٨)، و«الكامل في التاريخ» (٧/ ١٨٠).

ونُجحٍ: هو أخو سلامة الطولوني، ولي شرطة بغداد في سنة (٣٠٦هـ)، وخلع عليه المقتدر وولاه أصبهان في سنة (٣١٢هـ). ينظر: «الكامل في التاريخ» (٦/ ٦٩٨).

فقال: خرجتُ من بغدادَ أُريدُكم، ومعِي رفيقٌ لي، فيجٌ من أهلِ بلدٍ[1]، فأَعطانِي لَمّا صِرنا بين تَكْرِيتَ[2] والسِّنِّ[3] دراهمَ كانَت معه، وقال لي: إنَّ نفسَه تحدِّثُه أنَّ الأسدَ يخرُجُ فيَفترِسُه.

وذكرَ قريبًا من هذا الحديثِ[4].

(١) **بلد**: مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٤٨١).

(٢) (**تَكْرِيتُ**) بفتح التاء والعامَّة يكسرونها: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٣٨).

(٣) (**السِّنّ**) بكسر أوَّله وتشديد نونه، يقال لها: سنّ بارمّا: مدينة على دجلة فوق تكريت، لها سور وجامع كبير. ينظر: المرجع السابق (٣/ ٢٦٨).

(٤) قوله: (وقد حدَّثني بِهَذا... هذا الحديثِ) ليس في (ض، ل)، والقصَّة أوردها المصنِّف في «نشوار المحاضرة» (٢/ ٤٤).

[٩: ٤] [تخلَّصَ من السَّبُعِ بأهوَنِ سببٍ]

حدّثني الحسنُ بنُ صافي مولى محمَّدِ بنِ المتوكِّلِ القاضي(١)، قال: حدَّثني غلامٌ لي أثِقُ به، قال: أَصعَدتُ(٢) من واسطٍ ماشيًا أُريدُ بغدادَ، فلمّا صِرتُ بينَ دَيرِ العاقولِ(٣) والسِّيبِ(٤)، وأنا وَحدي في يومٍ صائفٍ له ريحٌ شديدةٌ، رأيتُ بالبُعد غَيضةً(٥) عظيمةً، وقد خرجَ منها سبُعٌ؛ فحينَ رآني وَحدي أقبلَ إليَّ يُهروِلُ، فذهبَ عليَّ أمرِي وأيقنتُ بالهَلاكِ، وخَدِرَ(٦) بَدني كلُّه، ورَبا لِساني(٧) في فمِي وتحيَّرتُ.

إلَّا أنِّي أخذتُ مِندِيلِي فجعلتُه على رأسِ قَصبةٍ كانت معي، وظننتُ أنِّي أُفزِعُه بذلك.

---

(١) قوله: (حدّثني الحسنُ... القاضي) في (غ): (قال أبو الحسن صافي مولى محمَّدِ المتوكِّلِ القاضي)، وفي (ض): (وحدّث أبو الحسن)، وفي (ل): (وحدّث أبو الحسنُ بنُ صافي).

(٢) **أصعد في الأرض**: أي مضى وسار. وأصعد من بلد كذا إلى بلد كذا إصعاداً: إذا سافر من بلد سفلى إلى بلد عليا. ينظر: «مختار الصحاح»، و«المصباح المنير» (ص ع د).

(٣) **دَيْرُ العَاقُولِ**: بين مدائن كسرى والنّعمانية، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٥٢٠).

(٤) **السِّيب**: أصله: مجرى الماء كالنهر، وهو كورة من سواد الكوفة. ينظر: «معجم البلدان» (٣/ ٢٩٣).

(٥) **الغيضة**: الأجمة، وهي الشجر الملتف. ينظر: «المصباح المنير» (غ ي ض).

(٦) **خَدِر**: استرخى فلا يطيق الحركة. ينظر: «المصباح المنير» (خ د ر).

(٧) أي: ارتفع في فمه وعلا، فلم يمكنه الكلام. وفي (ض): (وزبى).

فأنا في تلك الحالِ من الإياسِ، وقد حصلَ بيني وبينه نحوُ مئتَي ذِراعٍ، إذ قلعَت الرِّيحُ أصلَ حَشيشٍ يُقال له: بارِقٌ عَينُهُ، والتفَّ بشَوكٍ فصارَ كالكارةِ[1] العظيمةِ، والرِّيحُ تُدَحرِجُه نحوَ السَّبُعِ، وقد تمكَّنَت منه، وصار لها حفيفٌ شَديدٌ.

فحينَ رأى السَّبُعُ ذلك وسمِعَ الصَّوتَ رَجَعَ مُنصرِفًا، وفَزِعَ فزَعًا شَديدًا، فجعلَ يُهروِلُ ويُدِيرُ وجهَه في كلِّ عَشْرِ خُطُواتٍ، فإذا رأى ذلك الأصلَ يَتدحرَجُ في أَثَرِه عَدَا.

فلم يَزَلْ كذلك إلى أنْ بعُدَ عنِّي بُعدًا شديدًا، ودخلَ الغَيضةَ.

وعادَت نفسِي إليَّ، فمشَيتُ في طريقي وأفلتُّ منه.

---

(١) **الكارة**: ما يحمل على الظهر من الثياب. ينظر: «مختار الصحاح» (ك و ر).

[٩: ٥] [اجتمعَ عليهم بضعة عشَرَ أسدًا ثمَّ نجَوا منهم]

حدَّثني سعيدُ بنُ عبدِ الله السَّمَرقَندِيُّ الحنفِيُّ الفقيهُ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ الحسينِ(١) الوكيلُ على أبوابِ القُضاةِ بالأهوازِ، قالا: حدَّثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ سَهلٍ الشّاهدُ الواسِطيُّ القاضِي(٢) بما خُبِّرَه(٣)،(٤) قال: أخبرَني وكيلانِ كانَا لي في ضَيعتِي بنَواحِي الجامدةِ(٥) ونهرِ جعفرٍ(٦)، ثِقتانِ عندِي: أنَّهما كانا مع صُنّاعٍ قد أخرجُوهما إلى أجَمةٍ يَقطعونَ منها قصَبًا، فرأَوا شِبلًا كالسِّنَّورِ، فقتلَه أحدُ قَطّاعِي القَصَب.

فقال الباقونَ: قَتَلْتَنا، السّاعةَ يجِيءُ السَّبُعُ واللَّبوةُ، فإذا لم يَرَياه طَلَبانا، ونحنُ نبِيتُ في الصَّحراءِ وبينَ القَصَبِ، فيَفْرِسَا بعضَنا.

---

(١) في المطبوع: (جَعفَر).

(٢) هو أبو بكر محمَّد بن سهل، كان وجهًا من وجوه الشهود بواسط، ثمَّ تقلَّد القضاء بها سنين، دفعات. ينظر: «نشوار المحاضرة» (٨/ ١٧٠).

(٣) (بما خبره) ليس في (غ، ف)، وفي بعض النسخ غير واضحة، وما أثبت هو الأقرب للصواب؛ أخذاً من (ج، ش).

(٤) قوله: (السَّمَرقَندِيُّ الحنفِيُّ... بما خُبِّرَه) ليس في (ض، ل).

(٥) تقدم أن **الجامدة**: قرية من عمل واسط، بينها وبين البصرة، كما في «معجم البلدان» (٢/ ٩٥)، و«لب اللباب» (ص ٥٩).

(٦) **نهر جعفر**: نهرٌ قرب البصرةِ كان لجعفر مولى سلم بن زياد، ونهر جعفر أيضًا: نهرٌ بين واسط ونهر دقلة، عليه قرًى، وهو أحد ذنائبِ دجلة. ينظر: «معجم البلدان» (٥/ ٣١٩).

قال: فما كان بأسرعَ مِن أنْ سمِعنا صوتَ السَّبُع، فطِرْنا على وُجوهِنا، واجتمَعنا فلجَأنا إلى دارِ خَرابٍ خارجَ الأجمةِ، وعَلَونا سطحَها، وكان فيها غُرفةٌ وعليها بابٌ كنّا نأوِي إليها ليلًا.

فلمّا رأى السَّبُعُ شِبلَه قَتيلًا قصَدَنا، وصار في صَحنِ الدّارِ الخَرابِ التي نحن على سطحِها، وكان بينَ يدَي الغُرفةِ صُحَينٌ.

فأخذَ السَّبُعُ يَطْفِرُ[1] ليصيرَ معنا، فما قدَرَ على ذلك، فوَلَّى وعَلا أكَمَةً في الصَّحراءِ، وصاحَ فجاءَته اللَّبْوةُ، فطَفَرَتْ[2] فما وصلَت.

فاجتمعَا وصاحَا، فجاءَهما عددٌ آخَرُ من السِّباعِ، فطَفَرُوا فما قدَرُوا علينا، فلم يزالُوا كذلك حتى اجتمعَ بِضعةَ عشَرَ سبُعًا، وكلَّما جاءَ واحدٌ طفَرَ إلينا فلا يَبلُغُنا، ونحنُ كالموتى خوفًا من أن يَصِلَ إلينا واحدٌ منهم.

فبينا نحنُ كذلك إذ اجتمعَتْ السِّباعُ كلُّها كالحلَقةِ، وجعلَت أفواهَها في الأرضِ، وصاحَت صيحةً واحدةً، فرأينا حُفَيرةً قد انحفرَت في التُّرابِ من أنفاسِها. فما كان إلَّا ساعةٌ حتَّى جاء سبُعٌ أسودُ هَزِيلٌ مُنجَرِدُ الشَّعرِ لطيفٌ.

فتلقَّتهُ السِّباعُ كلُّها، وبَصْبَصَتْ[3] بينَ يدِيه وحَولَه، وجاء يَقدُمُها وهي خلفَه حتَّى رآنا في الغُرفةِ، ورأى الموضِعَ، ثمّ جمَعَ نفْسَه وطفَرَ، فإذا هو في الصَّحنِ

---

(١) أي: يَثِبُ، والطفرة: الوثبة، ينظر: «مختار الصحاح» (ط ف ر).

(٢) في (ف) زيادة: (تريدنا).

(٣) **بصبصَ الكلب وتَبصبَصَ**: أي حرَّك ذنبَه، والتبصبص: التملُّق. ينظر: «مختار الصحاح» (ب ص ص).

الذي بينَ يدَي الغرفةِ، وكنّا قد أغلَقْنا البابَ، واجتمعْنا كلُّنا خلفَه لندفَعَه عن الدُّخول.

فلم يزَلْ يدفعُ البابَ بمؤخَّرِه حتى كسرَ بعضَ ألواحِه ودخلَ عَجُزُه إلينا، فعمَدَ أحدُنا إلى ذنَبِه فقطَعَه بمِنْجَلٍ كان معنا، فصاحَ صيحةً مُنكَرةً وهربَ، ورمَى بنفسِه إلى الأرضِ.

فلم يزَلْ يَخمِشُ السِّباعَ ويَنهشُها ويُقَطِّعها بمَخالِبِه، حتى قتلَ منها غيرَ واحدٍ، وتهارَبَت السِّباعُ الباقيةُ مِن بين يدَيه، وهامَ في الصَّحراءِ يَطلُبُ أحدَها[1].

ونزَلْنا نحن لَمّا لم يَبْقَ منها شيءٌ، فلحِقنا بالقريةِ، وأخبَرْناهم خبرَنا، فقال لنا شيخٌ منهم: هذا مثلُ الجُرَذِ العَتيقِ، إذا قُطِعَ ذنَبُه أكلَ الفأرَ[2].

---

(١) (يَطلُبُ أحدَها) في (ف): (يتبع آثار السباع).

(٢) ذكر الجاحظ قريباً من هذا الكلام في الجرذ إذا خصي، فقال: الجرذ إذا خصي فإنه يأكل الجرذان أكلاً ذريعاً، ولا يقوم له شيء منها. ينظر: «الحيوان» للجاحظ (٧/ ٦٥)، وذكره الزمخشري في «ربيع الأبرار» (٥/ ٤٣٣)، وعنه الدميري في «حياة الحيوان الكبرى» (١/ ٢٧٥).

[٩: ٦] [افترسَ السَّبُعُ صاحبَ الدَّينِ وسَلِمَ الغَرِيمُ]

حدَّثنا قاضي القُضاةِ أبو السّائبِ عتبةُ بنُ عُبَيدِ اللهِ بن موسى الهَمْدانيُّ[١]، قال: كان رجلٌ من أهلِ أَذْرَبِيجانَ له على رجلٍ دَينٌ، فهربَ منه وطالَتْ غَيبتُه.

فلَقِيَ صاحبُ الدَّينِ المَدِينَ بعدَ مُدَّةٍ في صَحراءَ مُنفرِدًا، فقبَضَ عليه وطالبَه، فحلفَ له بالله أنَّه مُعسِرٌ، وسألَه الإنظارَ، وقال له: لو أنِّي أَيْسَرُ النّاسِ لَما تمكَّنتُ هاهنا من دَفعِ شيءٍ ألبتّةَ.

فأبى عليه، وأخرجَ قيدًا كان معه ليُقَيِّدَه به حتى لا يَهرُبَ، فضَرَعَ[٢] إليه المَدِينُ أنْ لا يفعلَ، وسألَه وبَكى، فلم يَنفَعْه معه ذلك.

فقيَّدَه بالقَيدِ، ومَشى هو وإيّاه إلى قريةٍ بقُربِ المَوْضعِ الذي التقَيا فيه، فجاءَاها مساءً وقد أغلَقَ أهلُها بابَ سُورِها، فاجتهدَا في فتحِه لهما، فأبى أهلُ القريةِ فتحَهُ عليهما.

فباتَا في مسجدٍ خَرابٍ على بابِ القريةِ، فأَدخلَ صاحبُ الدَّينِ رِجلَه في حَلْقةٍ من حَلْقَتَي القَيدِ؛ لئلا يهرُبَ صاحبُه، فجاءَ السَّبُعُ وهما نائمانِ،

---

(١) كان أبوه عبيد الله تاجرًا مستورًا ديِّنًا، ونشأ أبو السائب يطلب العلم، وتفقه على مذهب الشافعي، ثمَّ دخل مراغة، وولي القضاء فيها، ثمَّ قلِّد قضاء أذربيجان، ثمَّ قلِّد قضاء همذان، ثمَّ ولي قضاء القضاة بالعراق، (ت: ٣٥٠هـ). ينظر: «المنتظم» (١٤/ ١٣٧)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ٨٩٤).

(٢) ضرع: ذلَّ وخضع. ينظر: «المصباح المنير» (ض ر ع).

فقبضَ على صاحبِ الدَّينِ فافترسَه وجرَّه، فانجرَّ الغَريمُ معه؛ لمكانِ الحَلْقةِ التي في إحدى رِجلَيه.

فلم تزَلْ تلك حالُه إلى أنْ فرَغَ السَّبُعُ مِن أكلِ صاحبِ الدَّينِ وشَبِعَ، وانصرَفَ وتركَ المَدِينَ وقد تجرَّحَ بدنُه، وبَقِيَت ركبةُ صاحبِ الدَّينِ[1] في القَيدِ، فحملَها الرَّجلُ مع قَيدِه، وجاء إلى أهلِ القريةِ فأخبرَهم الخبرَ، فحَلُّوا قَيدَه، وسارَ لوَجْهِه ذلك[2].

(١) في (ر، ض): (الغَريم).

(٢) ذكرها المصنف في «النشوار» (١/ ٢٠٨).

[٩: ٧] [الحوَّاء ينجو من لَسعةِ الأفعى القاتلة]

حدَّثني أبو جَعفرٍ مَسعودُ بنُ عبدِ اللهِ الضَّبِّيُّ، في سنةِ ثلاثٍ وأربعينَ وثلاثِ مئةٍ، شيخٌ من التُّنَّاءِ(١) البَصْريِّين، كان قد انتقلَ عنها إلى قريةٍ له وضَيعةٍ بقربٍ من نهرِ الدَّيرِ(٢) فاستوطنَها، قال:

كان في هذا البُستانِ -وأومأَ إلى بستانٍ إلى جانبِ دارِه كثيرِ الأَشجارِ- أفعَى تُسمّى الجِرابَ، وذلك أنَّه كان في قَدْرِ الجرابِ(٣) الكبيرِ طُولًا وسَعةً وانتفاخًا.

فكثُرَت جِناياتُه حتى أَخـرَبَ(٤) عليَّ هذه القريةَ، فانتقلتُ عنها إلى النَّهرِ الآخَرِ(٥)، وبطَلَتْ ضَيعتِي، وصار هذا البُستانُ كالأَجَمةِ، لا يَجسُرُ أحدٌ على دُخولِه.

فطلبتُ حَوّاءً(٦) من البَصرةِ ليَصِيدَه، وبَذلتُ له على ذلك بدَلًا.

---

(١) **تَنَأْتُ بالمكان**: إذا أقمتَ به، **والتُّنَّاء**: المقيمون بالبلد وهم كأنهم الأصول فيه. ينظر: «شمس العلوم» للحميري (٢/ ٧٧٧)، و«لسان العرب» (١٠/ ٤٠٣).

(٢) **نهر الدير**: نهر كبير بين البصرة ومطارا، بينه وبين البصرة نحو عشرين فرسخاً، سمي بذلك لدير كان على فوهته يقال له: دير الدّهدار. ينظر: «معجم البلدان» (٥/ ٣٢٠).

(٣) **الجراب**: وعاء الزاد، جمعه: أجربة. ينظر: «مختار الصحاح» (ج ر ب).

(٤) **خَرِبَ المنزل فهو خرابٌ**، ويتعدّى بالهمزةِ والتَّضعيف، فيقال: أَخْرَبْتُه وخرَّبْتُه. ينظر: «المصباح» (خ ر ب).

(٥) أي: إلى الجانب الآخر من النَّهر.

(٦) **الحَوَّاء والحاوي**: هو الذي عمله جمع الحيَّات. ينظر: «لسان العرب» (١٣/ ١٤٦).

فجاء الحوّاءُ وبَخَّرَ بدُخْنةٍ[1] معه، فخرجَ الأفعى، فحينَ رآه الحَوّاءُ هالَه أمرُه، وقصدَه الأفعى فنهشَه، فتَلِفَ في الحالِ.

فصارَ لي حديثٌ بذلك، وشاعَ الخبرُ، فامتنعَ الحوّاؤون من المجيءِ إليه، وتغرَّبْتُ عن الضَّيعةِ والقَريةِ، وبطلَت مَعيشَتي منهما.

فكنتُ يومًا جالسًا في النَّهرِ الآخَرِ، إذ جاءَني رجلٌ فسلَّمَ عليَّ، وقال: بلغَني خبرُ أفعى عندَك قد قتلَ فُلانًا الحوّاءَ، وأخربَ عليكَ ضَيعتَك، فجئتُ لتدُلَّني عليه حتى آخذَه.

فقلتُ: ما أحبُّ تعريضَك لهذا، فقد صارَ لي بتلَفِ ذلك الحوَّاءِ حديثٌ.

فقال: إنَّ ذلك الحوَّاءَ كان أخِي، وأنا أريدُ أنْ آخُذَ بثأْري وأُرِيحَ النَّاسَ مِن هذا المَلْعونِ، أو اللَّحاقَ بأخِي.

فقلتُ له: فتُشْهِدُ على نفسكَ أهلَ الأنهارِ المجاوِرةِ لنا، أنَّ هذا باختيارِكَ لا بمسألةٍ منِّي، ففعلَ، فأرَيتُه البُستانَ.

فقال: أريدُ شيئًا آكلُه، فجِئناه بطَعامٍ فأكلَ، ثمّ أَخرجَ دُهنًا كان معَه، فطَلَى به جميعَ بَدَنِه، وقال لغلامٍ كانَ معه: انظُرْ هل بقِيَ في بدنِي مَوضعٌ لم أَطْلِه؟ فقال الغلامُ: لا.

فجلسْتُ أنا فوقَ السَّطْحِ الذي في دارِي أنظُرُ.

---

(١) **الدُّخنة**: ذريرة أو بخور تدخن بها البيوت. ينظر: «المحكم» (٥/ ١٤٣)، و«لسان العرب» (١٣/ ١٥٠).

فأخرجَ دُخْنةَ فبَخَّرَ بها، فما كان بأسرعَ مِن أنْ ظهرَ الأفعى كأنَّه دَنٌّ، فحينَ قرُبَ من الحَوّاءِ هربَ منه وتَبِعَهُ الحوّاءُ[1]، فلحِقَه وقبضَ عليه، فالتفتَ الأفعى فعضَّ يدَه، فتركَه الحَوّاءُ فأفلتَ، وذهبَ عليه أمرُه، وحمَلْناه فماتَ في اللَّيلِ، وانقلَبَت النّاحيةُ بحديثِ الرَّجلِ والأَفعى.

ومضَى على هذا مدّةٌ، فجاءَني يومًا رجلٌ يُشبِهُ الرَّجلَ، وسألَني عمّا سألَني الأخوانِ عنه، فأخبرتُه بالخبرِ.

فقال: الرَّجلانِ أخوايَ، ولا بُدَّ لي من الأخذِ بثأرِهما، أو اللَّحاقِ بهما.

فأشهدتُ عليه، وأَريتُه الموضِعَ، وصعدتُ إلى السَّطحِ.

فأكلَ وشرِبَ أقداحًا كثيرة، وأخرجَ دُهنًا كان معه، فطَلَى به جسدَه دُفْعاتٍ، كلُّ ذلك وهو يسألُ غُلامَه هل بقيَ منِّي موضعٌ لا دُهنَ عليه؟ فيقولُ الغلامُ: لا، فيقولُ: أَعِد الطِّلاءَ فيُعِيدُه، حتى دهنَه وطَلاه ثلاثَ دُفعاتٍ، وصار الدُّهنُ يَنقُطُ من بدنِه.

وبخَّرَ فخرجَ الأفعى، فطلبَه الحَوّاء فأخذَ الأفعى يُحاربُه، وتمكَّنَتْ يدُ الحوّاءِ من قَفاه، فانثَنى عليه فعَضَّ إبهامَه.

وبادَرَ الحوّاءُ فخَرَمَ فاه[2]، وجعلَه في سلَّةٍ[3]، وأخرجَ سكِّينًا كانَت معه فقطَعَ إبهامَ نفسِه، وغَلى زيتًا وكواها به، وخرَّ كالتّالف، فحملْناه إلى القريةِ،

---

(١) في (ر): (فحين قرب من الحوَّاء هرب منه وتَبِعَهُ الحواء).

(٢) أي: قطع، كما في «مختار الصحاح» (خ ر م)، كذا في (ر)، وفي (ض، ل): (خزم) أي: ثقب، وكل مثقوب مخزوم. ينظر: «مقاييس اللغة» (٢/ ١٧٨)، وله وجه.

(٣) في (ض، ل): (سلسلة).

فإذا بصبيٍّ من غِلماني قد جاءَ وبيدِه ليمونةٌ، وكان اللَّيمونُ إذ ذاك قليلًا بالبَصرةِ جدًّا، وعندي منه شجرةٌ واحدةٌ.

فحينَ رأى الحوّاءُ الحَبّةَ اللَّيمونِ، قال: هذا يا سيِّدي موجودٌ عندَكم؟

قلتُ: نعم.

قال: أَغِثْني بكلِّ ما تقدِرُ عليه، فإنّا نعرِفُه في بلدِنا يقومُ مَقامَ التِّرياقِ.

فقلتُ: فأينَ بلدُك؟ قال: عُمانُ.

قال: فأتيتُه بكلِّ ما كان عندِي، فأقبلَ يَقْضَمُه[1] ويُسْرِعُ في أكلِه، وعمَدَ إلى بعضِه فاستخرجَ ماءَه، وجعلَ يحتَسِي منه، ويَطْلِي به الموضعَ، وتجاوزَ به الوقتُ وقتَ موتِ أخيهِ، فأصبحَ من غَدٍ صالحًا.

فسألتُه عن خبرِه، فقال: ما خلَّصني بعدَ الله جلَّ وعزَّ إلَّا اللَّيمونُ الذي أكلتُه وشربتُ من مائِه وانطلَيتُ به، وأظنُّ أنَّ أخوَيَّ لو اتَّفقَ لهما تَناوُلُه ما تَلِفا.

فقلتُ له: ذلك الدُّهنُ الذي اطَّليتَ به، ما هو؟

فقال: الطَّلْقُ؛ الذي لو طُرِحَ معه النّارُ على الجِسمِ حتى لا يكونَ فيه خللٌ، ما ضرَّت النّارُ الجسمَ[2]، وإنَّما تلِفَ أخوايَ لأنَّ بعضَ أبدانِهم خَلا من الطِّلاءِ أو جفَّ عنه.

---

(١) **القَضْم**: الأكل بأطراف الأسنان، وبابه (فهم). ينظر: «مختار الصحاح» (ق ض م).

(٢) **الطَّلْق**: حجر بَرّاق، يَنحَلُّ إذا دُقَّ إلى طاقات صغار ودقاق، يعمل منه مَضاوئ الحمامّات، فيقوم مقام الزُّجاج، ويسمَّى كوكب الأرض، وعرق العروس. وهو أنواع: بحريّ، ويمانيّ، وجبليّ، وهو يتصفح إذا دقّ صفائح بيضًا رِقاقًا، لها بصيص وبريق، ومنه شيء يتكوّن =

فقلتُ: وكيف تمكَّنَ منكَ الأفعى؟

قال: بطُولِ الزَّمانِ حتى صِدتُه، جَفَّ بعضُ الدُّهن فتمكَّنَ منِّي، ولولا اللَّيمونُ لتَلِفْتُ.

فقال: فتعلَّمتُ منه استخراجَ ماءِ اللَّيمونِ، فكنتُ أوَّلَ مَن استخرجَه بالبَصرة، ونبَّهَ النّاسَ على منافعِه، وجرَّبتُه في الطَّبيخِ فوجَدْتُه طيِّبًا، وتداولَه النّاسُ.

قال: ثمّ أخرجَ الأفعى، فقطعَ رأسَه وذَنَبَه، وأغلاهُ في طِنجيرٍ[1]، واستخرجَ دُهنَه فجعلَه في قواريرَ، وانصرفَ.

= من حجارة الجصّ، ويشبه الشبّ اليمانيّ، يتشظّى، ومن منافعه: أنه يُطلى به المواضع التي تدنو من النار، كي لا تعمل النار فيها. ينظر: «المعتمد في الأدوية المفردة» للتركماني (ص: ٣٠٦).

(١) **الطِّنجير** - بكسر الطاء - إناءٌ من نحاس يطبخ فيه، قريبٌ من الطبق. ينظر: «المصباح المنير» (ط ج ر).

[٩: ٨] [مَفلوجٌ لَسَعَتْه عقربٌ جرّارةٌ[١] فعُوفِيَ]

حدَّثني عبدُ الوهّابِ بنُ محمَّدِ[٢] بنِ مَهدِيٍّ، المعروفُ بأبي أحمدَ بنِ أبي سلَمةَ، الشّاهدُ الفقيهُ، المتكلِّمُ العَسكرِيُّ[٣]، في سنةِ خمسٍ وخمسينَ وثلاثِ مئةٍ بعسكرِ مُكْرَمَ[٤]: أنَّه شاهدَ رجلًا مفلُوجًا، حُمِلَ من أَصْبهانَ إلى عَسكرِ مُكْرَمَ ليُعالَجَ، فطُرِحَ على بابِ خانٍ في جِواره، في الجانبِ الشَّرقيِّ منها، قد هُجِرَ وفُرِّغَ لكثرةِ العقاربِ الجرّاراتِ فيه[٥].

وطُلِبَ له مَوضعٌ يَسكنُه، فلم يُوجَد في الحالِ، فأنزلَه غلمانُه في الخانِ، وهم لا يعلمونَ حالَه، وأنَّه إنَّما أُخلِيَ لكَثرةِ العقاربِ الجرَّاراتِ فيه.

---

(١) **الجرارة**: نوع من العقارب إذا مشى على الأرض جر ذنبه، وهي عقارب صغار صفر، وتكون بعسكر مكرم. ينظر: «حياة الحيوان الكبرى» (١/ ٢٧٤) و(٢/ ١٨٧).

(٢) (بن مُحَمَّد) ليس في (ض).

(٣) هو أبو أحمد بن أبي سلمةَ الشاهد العسكري المعتزلي الحنفي، وأبوه أبو سلمة العسكريُّ، أحد غلمان أبي عليّ الجُبَّائي، وروى لهما التنوخي أخبارًا في «نشوار المحاضرة» (٢/ ١٢٨)، و(٧/ ١٩٩)، و(٨/ ٢٠١).

(٤) قوله: (المعروفُ بأبي أحمدَ... مُكْرَمَ) ليس في (ض).

(٥) قال عنها الجاحظ في كتابه «الحيوان» (٤/ ٢١٩): وكان الرّجل تلسعه الجرّارة بعسكر مكرم أو بجنديسابور فتقتله، وربّما تناثر لحمه، وربّما تعفّن وأنتن، حتى لا يدنو منه أحد إلّا وهو مخمِّرٌ أنفَه، مخافة إعدائه، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم، وهو لا يعلم أنّ الوخزة التي وخزها كانت من جرّارة.

وصَعِدَ أصحابُ الرَّجلِ إلى السَّطحِ ليلًا، وتركُوه في أسفلِه؛ لِمَا وُصِفَ لهم مِن أنَّ المفلوجَ لا يجبُ أنْ يبيتَ في السَّطحِ.

فلمّا كان مِن غدٍ وجدُوه جالسًا، وكان طَرِيحًا مُلقًى لا يمكنُه أنْ يَنقلِبَ من جَنبٍ إلى جَنبٍ، ووجدُوا لسانَه صحيحًا فصيحًا، وكان مُنكسرًا بالعلّة، حتَّى إنَّ الرَّجلَ مشَى مِن يَومِهِ ذلك.

فأُحضِرَ بعضُ أهلِ الطِّبِّ وسُئلَ عن خبرِه، ففتَّشَه فوجدَ أثرَ لَسْعِ الجَرّارةِ في إبهامِ رِجلِه اليُسرَى.

فقالَ له: انتقِلِ السّاعةَ مِن هذا الخانِ، فإنَّه مشهورٌ بكَثرةِ العقاربِ الجَرّاراتِ، وقد لسَعَتْكَ واحدةٌ منهنَّ فأبرأَتْك، وعشتَ بشيءٍ ما عاشَ به أحدٌ قطُّ، وقامَت حرارتُها ببَردِ الفالِجِ فأزالَتْه، ولم تتجاوَزْه فتَقْتُلَك، وسيُعقِبُك ذلك حِدّةً وحرارةً شديدةً فاصبِر لها حتى أعالِجَك باليسيرِ من الرُّطوبةِ فلا تَرْجِعَ إليكَ بُرودةُ الفالجِ، وانتَقِلِ الآنَ لئلّا تَلْسَعَكَ أُخرى فتتْلَفَ.

فانتَقَلَ الرَّجلُ، وتعاهَدَه الطَّبيبُ، فحُمَّ المفلوجُ مِن غَدٍ، وتَلَطَّفَ في عِلاجِه حتى بَرِئَ[1].

---

(١) ذكرها باختصار: الجاحظ في «الحيوان» (٥/ ٣٦٣)، وابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ١١٧، ١١٩)، والزمخشري في «ربيع الأبرار» (٥/ ٤٤٠).

[٩: ٩] [نامَ بجوارِ الأفعى ليلةً كاملةً]

حدَّثني عبد الله[١] بن محمَّد بن [الخفَّاف][٢] الصَّرَوِيُّ[٣]، قال: كنتُ أتصرَّفُ مع المختارِ بنِ الغيث[٤] بن حمران[٥] أحدِ قُوّادِ بَني عُقَيلٍ، فسارَ وأنا في جملتِه مع تَكينَ الشِّيرازي[٦]، لَمّا تغلَّبَ على المَوصِل، وطلبَ ناصرَ الدَّولةِ[٧]، وسارَ العسكرُ سيرًا عجِلًا، فتقطَّعَ النّاسُ.

---

(١) في (ر): (عُبَيدُ الله).

(٢) (الخفاف) في (ر، ف، ن): (الحفا).

(٣) (بن الحفا الصروي) ليست في (ض، ل)، وقد وقع في النسخ اختلافٌ كثيرٌ في الاسم، في هذا الموضع وغيره، وهو: أبو القاسم عبد الله (أو عبيد الله) بن محمَّد بن الحسن (أو الحسين) بن الخفَّاف العَبْقسيّ الصَّرَويّ، وقد سبق التنبيه عليه في القصة (٣/ ٤٦).

(٤) (الغيث) في (ض): (المغيث).

(٥) (بن حمران) في (س): (بن عمران)، وفي المطبوع: (بن حمدان)، وليست في (ض).

(٦) كذا في (غ، ش)، وفي بقية النسخ مختلف فيه، وفي بعضها بياض، وفي المطبوع: (الشيرزادي)، وله أخبار متفرقة: ففي سنة (٣٣٢هـ) عبر توزون بخمس مئة من الأتراك مع تكين الشيرازي وألف فارس من العرب للإيقاع بمعز الدولة، وفي سنة (٣٣٤هـ) أخرجه ابن شيرزاد إلى الجبل، وفي سنة (٣٣٥هـ) أُسِرَ فجاؤوا به إلى ناصر الدولة فسمله وأنفذه إلى قلعة من قلاعه، ثمَّ حمله إلى معزِّ الدولة فأحسن إليه معزُّ الدولة وأطلقه وأقطعه إقطاعًا. ينظر: «تجارب الأمم» (٦/ ٨٣، ١١٣، ١٣٣)، و«تاريخ الأنطاكي» (ص: ٧٣)، و«الكامل في التاريخ» (٧/ ١٧٢، ١٧٣).

(٧) ينظر خبر تكين وناصر الدولة في «الكامل في التاريخ» (٧/ ١٧٢)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ٦٣٧)، و«تاريخ ابن خلدون» (٤/ ٣٠١).

وكانت تحتي حِجْرٌ[1] قصَّرَتْ بي، فصِرْتُ في أُخرَيَاتِ النَّاسِ، ثمّ انقطَعْتُ عن العسكرِ حتى صِرتُ وَحدِي.

ثمّ أوردتُ الدّابّةَ ماءً كانَ في الطَّريقِ، فحَمِرَت[2]، ولم يُمكِنها أن تسيرَ خطوةً واحدةً، فخفتُ أنْ يدركَني مَن يَسلُبُني أو يأسِرُني، فنزلتُ عن الدّابّةِ أمشِي، وفي عُنقي سيفٌ بحمائلَ، والمِقْرعةُ[3] في يَدِي، فسرتُ فراسخَ حتى صعِدتُ جبلَ سِنجارَ[4]، وكنتُ أحتاجُ أنْ أسيرَ فيه نحوَ الفَرسَخِ، ثمّ أدخل إلى سِنجارَ[5]، فجنَّني اللّيل، واستنفَدَ المشيُ جلدِي، وخِفتُ الوحوشَ في اللَّيل، فطلبتُ موضعًا أبيتُ[6] فيه لَيلتِي، فلم أجِد.

فرأيتُ جِبَابًا[7] كثيرةً مَنقُورةَ في أرضِ الجَبلِ للخَمرِ، فطلبتُ أقربَها قَعرًا، فرميتُ فيه حجَرًا، فظَننتُ أنَّ قَعْرَه قامةٌ أو نحوُها، فرميتُ نفسِي فيه، وكان البردُ شديدًا، فنمتُ ليلتي لا أعقلُ من التَّعبِ والجُوعِ.

---

(١) **الحِجْر**: هي الأنثى من الخيل. ينظر: «مختار الصحاح» (ح ج ر).

(٢) قال الأزهري في «تهذيب اللغة» (٥/ ٣٦): **الحمرة** ورم من جنس الطواعين نعوذ بالله منها. وفي «لسان العرب» (٤/ ٢١١): والعرب إذا ذكرت شيئاً بالمشقَّة والشدَّة وصفته بالحمرة. وفي (س): (فَحُمَّ)، وهو مناسب للمعنى السابق، وفي (ن): (فخمد)، وربما يكون المعنى: خمدت من هذا المرض، والله أعلم.

(٣) **المِقْرَعةُ**: ما تقرع به الدابة. ينظر: «مختار الصحاح» (ق ر ع).

(٤) **سِنْجَارُ**: بكسر أوّله، وسكون ثانيه ثمّ جيم، وآخره راء: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيّام. ينظر: «معجم البلدان» «٣/ ٢٦٢».

(٥) في (ل): (فبقي بيني وبين سنجار مقدار فرسخ).

(٦) في (ر): (في الجَبَل فطلبت موضعًا أستكنُّ).

(٧) **الجِباب**: جمع جُبٍّ، والجُبُّ: بئر لم تُطوَ. ينظر: «مختار الصحاح» و«المصباح المنير» (ج ب ب).

فلمّا كان مِن الغدِ انتبهتُ، وعندي أنَّ الجُبَّ محفورٌ كالآبارِ، وأنّي أضعُ رِجلي في جوانبِه وأتسلَّقُ فأصعدُ، فتأمَّلتُه فإذا هو محفورٌ كالتَّنورِ، رأسُه ضيِّقٌ، وأسفلُه شديدُ السَّعة، وجوانبُه مقوَّسةٌ، فقمتُ في وسَطِ الجبِّ فإذا هو أعلى من قامَتي وبَسطَتي، فحِرتُ في أمري، ولم أدْرِ كيف السَّبيلُ إلى الصُّعود.

وطلعَت الشَّمسُ وأضاءَ الجبُّ، وإذا فيه أفعى مُدَوَّرٌ كالطَّبَقِ بين حجرَينِ، وقد سدِرَ من البَرْدِ[1] فليسَ يَنتشرُ، فتنحَّيتُ عن[2] مكانِه، وهمَمتُ أنْ أجرِّدَ السَّيفَ وأقطعَ الأَفعى، ثمّ قلتُ: أتعجَّلُ شرًّا لا أدرِي ما عاقبتُه، ولا منفعةَ لي في قَتلِه؛ لأنّي سأتلَفُ في هذا الجُبِّ، وهو قَبري، فما مَعنى قتلِ الأفعى؟ أدعُه فلعلَّه أنْ يَبتدِئَني بالنَّهشِ فأتعجَّلَ الموتَ، ولا أرى نفسِي تخرُجُ بالجُوعِ والعَطَشِ.

فأقمتُ يَومي كلَّه على ذلك، وما يتحرَّكُ الأفعى، وأنا أبكِي وأنوحُ على نفسِي، وقد يئِستُ من الحياةِ، فلمّا كان من الغَدِ أصبحتُ وقد ضعُفْتُ، فحملَني حُبُّ الحياةِ على الفكرِ في الخَلاصِ، فقُمتُ فجمعتُ من حجارةٍ رقيقةٍ كانَت في الجُبِّ شيئًا كثيرًا، فعبَّيْتُها في وسَط الجُبِّ، وعلَوْتُها لتَنالَ يَدِي طرفَ الجبِّ فأحملَ نفسِي إلى رأسِه، فحينَ جعلتُ رِجلي على الحجارةِ تَدكْدَكَتْ تلك الحجارةُ؛ لرِقَّتِها ومَلاسَتِها[3].

---

(١) سدِرَ: تحيَّر واضطرب، والسَّادرُ أيضاً: هو الذي لا يبالي ما صنع، ولا يهتم بشيء، والسَّدَرُ أيضاً: الدُّوار، ولعلَّ الأخير هو المراد، والله أعلم. ينظر: «مقاييس اللغة» (٣/ ١٤٨)، و«مختار الصحاح» (س د ر)، و«لسان العرب» (٤/ ٣٥٥). وفي (ط): (خدر)، ولا يَبعُد.

(٢) (فتنحَّيتُ عن) في (ف): (فتجنبتُ).

(٣) في (ل): (فحين جعلتُ رجلي على الحجارة زلقت لزلقها).

فلم أزَلْ أُعِيدُ تَعبِيَتها ورُكوبَها، وتَزلَقُ من تحتِ رِجلي، وأنا متشاغلٌ بذلك يومِي كُلَّه، وجاءَ اللَّيلُ فلم يُمْكِنني أن أقومَ من الجُوعِ والضَّعفِ، وانكَسرَتْ نفسِي، ثمَّ حملَني النَّومُ.

فلمّا كان من الغَدِ فكَّرتُ في حيلةٍ أخرى(١)، فعمَدتُ إلى السَّيف فسَلَلتُه(٢)، ولم أزَلْ أقلعُ به من أرضِ الجُبِّ ما يمكنُ نحتُه وقَلعُه من تُرابٍ قليلٍ، ثمّ عبَّيتُ ذلك بالرَّضْراضِ(٣) والحجارةِ الرِّقَاقِ، وجعلتُ بينَ كلِّ سافَينِ(٤) من الحجارةِ تُرابًا، ثمّ رددتُ السَّيفَ إلى جَفْنِه(٥).

ووقعَ لي أنْ شدَدتُ المِقرعةَ بعِلاقَتِها ومنديلٍ كان معي، ورميتُ السَّيفَ إلى رأسِ الجُبِّ، وقد أمسكتُ حمائلَه بإحدى يدَّي، فحصلَ السَّيفُ فوقَ الجُبِّ معترضًا لرأسِه، وحمائلُه مُدَلَّاةٌ إليَّ، ثمَّ علَوْتُ الرَّضْراضَ، وتعلَّقْتُ بحَمِيلةِ السَّيفِ المعترِضِ على رأسِ الجُبِّ وطفَرْتُ، فصار السَّيفُ معترِضًا في جَفنِه، والمِقرعةُ مشدودةٌ إليه تحتَ صَدرِي، وظهرَتْ يداي من البئرِ، فحصل جوانبُها

(١) من هنا إلى قوله: (فإذا أنا قد خرجتُ منها) وقع بين النسخ المختلفة تقديم وتأخير في بعض العبارات بما لا يُغَيِّرُ في المعنى شيئاً ذا بال.

(٢) (فعمدت إلى السَّيف فسللته) في (ض، ل): (ووقع لي أن أشدَّ المقرعة بعلاقتها في حمائل السَّيف، ودليت المقرعة إلى داخل البير، وقد أَمسَكت المقرعة بإحدَى يَدي، وجعلت جفير السَّيف فَوق الجب مُعتَرضاً، وحمائله في المقرعة، وهي مدلاة إلى الجب. ثمَّ سللت السيف).

(٣) **الرضراض**: ما دَقَّ من الحصى. ينظر: «مختار الصحاح» (ر ض ض).

(٤) كل صف من اللَّبِن أو الطين في البناء هو سَافٌ ومِدْماكٌ. ينظر: «مختار الصحاح» (د م ك)، و«لسان العرب» (٩/ ١٦٦).

(٥) **جَفن السيف**: غلافه. ينظر: «المصباح المنير» (ج ف ن).

تحتَ إبطِي، وأَشَلْتُ نفسِي، فإذا أنا قد خرجتُ منها، بعد أن اعوجَّ السَّيفُ، وكادَ يندَقُّ ويدخلُ في بَطني لِثقَلِي عليه.

فوقعتُ خارجَ الجُبِّ مغشِيًّا عليَّ مِن هَوْلِ ما نالَني، ووجدتُ أسنانِي قد اصطَكَّت، وقوَّتي قد ضعُفَت عن المشيِ، فما زلتُ أحبُوا حَبوًا وأطلبُ المَحَجّةَ حتى وقَعْتُ عليها.

ورآني قومٌ مُجتازُون فأخذُوا بيدِي، فقَوِيَ قلبي، فمشَيتُ معهم حتى دخلتُ سِنجارَ آخرَ النَّهار، وقد بلغَتْ رُوحي إلى حدِّ التَّلَف.

فدخلتُ مسجدًا فطَرَحتُ نفسي فيه وأنا لا أشكُّ في الموتِ، وحضَرَتْ صلاةُ المَغرِب، فاجتمعَ أهلُ المسجدِ فيه، وسألُوني عن خَبري، فلم يكُن لي قدرةٌ على الكلامِ، فحملُوني إلى بيتِ أحدِهم، ولم يَزالُوا يتلطَّفُون بي ويَصُبُّونَ في حَلْقي الماءَ، ثمَّ المرَقةَ والثَّرِيدَ، إلى أنْ فتحتُ عينيَّ بعدَ عَتَمة، وتكلَّمْتُ، وبتُّ ليلتي بحالٍ عظيمةٍ من الألمِ.

فلمّا كان من الغَدِ أُدخِلتُ الحمَّامَ، وأقمتُ عندهم أيّامًا حتى قَوِيتُ.

ثمَّ أخرجتُ نفقةً كانَت معي فاستأجَرتُ منها مركوبًا، ولحِقتُ بصاحِبي، وسلَّم اللهُ تعالى وكفَى.

[٩: ١٠] [طفلٌ يسقطُ في النَّهرِ ثمَّ يلتقطُه العُقابُ وينجو سالمًا]

حدَّثني أبو محمَّدٍ يحيى بنُ محمَّدِ بنِ سليمانَ(١) بنِ فهدٍ الأَزْديُّ المَوْصِلِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **قال:** حدَّثني أبي، **قال:** حدَّثني دَيْسَمُ بنُ إبراهيمَ بنِ شادكلويه(٢) الكُرْدِيُّ، المتغلِّبُ(٣)، وكان على جَميعِ ما كان في يدِ يوسفَ بنِ ديودادَ من أذربيجانَ(٤)، لَمّا وَرَدَ إلى حضرةِ سيفِ الدَّولةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَستَنجِدُه على المرزُبانِ بنِ محمَّدِ بنِ مُسافرِ

---

(١) (بن محمَّد بن سليمان) ليست في المطبوع.

(٢) في (ل): (سالويه)، وفي (غ، ف): (سادلويه)، وفي (ج، ش): (شاذلويه).

(٣) إبراهيم من الخوارج من أصحاب هارون الشادي الخارج بالموصل، هرب بعد مقتله إلى أذربيجان، وأصهر في الأكراد إلى بعض رؤسائهم، فولد له ابنه ديسم ونشأ في أذربيجان، ولما كبر ديسم استضافه ابن أبي الساج، وتنقَّل في الأطوار إلى أن استولى بعده على أذربيجان في سنة (٣٣٠هـ)، وكان معظم جيوشه من الأكراد، ثم هرب منها في سنة (٣٤٢هـ)، وطلب من معز الدولة أن ينجده بعسكر، فلم يفعل؛ لمصالحته ومصاهرته لركن الدولة، فاستنجد بناصر الدولة بن حمدان بالموصل فلم ينجده، فسار إلى سيف الدولة بالشام، وأقام عنده إلى سنة (٣٤٤هـ). ينظر: «الكامل» لابن الأثير (٧/ ١٠٧-٢٠٣)، و«تاريخ ابن خلدون» (٣/ ٥١٣)، و(٤/ ٦٦٨).

(٤) هو أبو القاسم، الأمير يوسف بن أبي الساج، قلَّده المقتدر في سنة (٣١٤هـ) نواحي المشرق، وأمره بالقدوم من أذربيجان إلى بغداد والمسير إلى هجر لمحاربة أبي طاهر القرمطي، وحاربه، فقتله القرمطي سنة (٣١٥هـ). ينظر: «المنتظم» (١٣/ ٢٦٣)، و«الكامل» لابن الأثير (٦/ ٧١٥، ٧١٧، ٧٤٠).

السَّلّارُ[1] لَمّا هزمَه عنها[2]، وأنا أكتبُ لسيفِ الدَّولةِ رَحِمَهُ اللَّهُ إذ ذاكَ على سائرِ أمرِه: أنَّ بناحيةِ أذربيجانَ نهرًا يُقالُ له: الرَّسُّ[3]، شديدٌ جَرْيُه جدًّا[4]، وفي أرضِه حجارةٌ كثيرةٌ، بعضُها ظاهرٌ وبعضُها يغَطِّيه الماء، وليس للسُّفنِ فيه مَسْلَكٌ، وله أجرافٌ[5] هائلةٌ، حجارةٌ لا مَشارِعَ لها، وعليه قنطرةٌ يجتازُ عليها السَّابلةُ.

قال: فكنتُ مُجتازًا عليها في عَسكرِي، فلمّا صِرتُ في وسطِ القَنطرةِ، رأيتُ امرأةً تمشِي وهي حاملةٌ ولدًا لها طِفلًا في القِمَاطِ[6]، فزحَمَها بغلٌ محمَّلٌ فطرحَتْ نفسَها على القَنطرةِ فزَعًا، وسقطَ الطِّفلُ مِن يَدِها إلى النَّهرِ، فوصلَ إلى الماءِ بعد ساعةٍ؛ لبُعدِ ما بينَ القنطرةِ وصفحةِ الماءِ، ثمّ غاصَ فارتفعَت الضَّجةُ من العسكرِ، ثمّ رأينا الصَّبيَّ قد طَفا على وجهِ الماءِ، وقد سَلِمَ من تلك الحجارةِ.

---

(١) من كبار الديلم، وكان صاحب الطرم، مَلَكَ أذربيجان في سنة (٣٣٠هـ)، وزحف إلى الرَّيِّ في سنة (٣٣٧هـ) لمحاربة ركن الدولة، فهزمه ركنُ الدولة وحبسه، ثم تخلَّص من حبسه وتصالحَ معه في سنة (٣٤٣هـ) وصاهره، (ت: ٣٤٥هـ). ينظر: «تجارب الأمم» (٦/ ١٤٦، ١٤٩، ١٩٣)، و«تاريخ ابن خلدون» (٤/ ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧٢، ٦٧٣).

(٢) ينظر: «تجارب الأمم» (٦/ ١٨٣)، و«الكامل في التاريخ» (٧/ ١٠٧-١١٠)، و«تاريخ ابن خلدون» (٤/ ٦٦٩).

(٣) نهر بين أذربيجان وأرَّان. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ١٣٦).

(٤) (شديدٌ جَرْيُه جدًّا) أثبتناه من (ش)، واضطربت العبارة في بقية النسخ، والصواب هو المثبت، والله أعلم.

(٥) **الأجراف**: جمع: جُرُف، وهوما تجرفته السيول وأكلته من الأرض. ينظر: «مختار الصحاح» (ج ر ف).

(٦) **القِماط**: خرقة عريضة يُشَدُّ بها الصغير، وجمعه: قُمُط، مثل: كتاب وكتُب. ينظر «المصباح المنير» (ق م ط).

والمَوضعُ كثيرُ العِقْبانِ(١)، ولها أوكارٌ في أَجْرافِ ذلك النَّهرِ، ومنه تُصادُ فِراخُها.

فحينَ صَعِدَ الطِّفلُ في قِمْطِه وافقَ ذلك عُقابًا طائرًا، فرآه فظنَّه طُعمةً، فانقضَّ عليه، وشبكَ مَخالِيبَه في القِمْطِ، وطارَ به، وخرجَ إلى الصَّحراءِ.

فطمِعتُ في تخليصِ الطِّفلِ منه، فأمرتُ جماعةً أنْ يرَكُضُوا خلفَ العُقابِ ففعلوا، وطلبَت نفسِي مشاهدةَ الحالِ، فركَضْتُ إلى أنْ كادَت الخيلُ أنْ تَنقطِعَ تحتَنا، فإذا العُقابُ قد ترجَّلَ إلى الأرضِ، وابتدأَ يَخرِقُ قِمْطَ الصَّبيِّ ليَفْرِسَه، فحينَ رأَوه صاحُوا عليه بأجمَعِهم، وقصدُوه فأدهشُوه عن استلابِ الصَّبيِّ، فطارَ وتركَه على الأرضِ، فلَحِقْنا الصَّبيَّ فإذا هو سالمٌ، ما وصلَ إليه جُرحٌ، وهو يَبكِي، فكَبَبْناه برفقٍ حتى خرجَ الماءُ مِن جَوفِه، وحَمَلْناه إلى أمِّه حيًّا سالِمًا.

---

(١) **العِقبان**: من جوارح الطير، جمع: عُقاب، ويقال للأنثى. ينظر: «المصباح المنير» (ع ق ب).

[٩: ١١] [أبو القاسمِ العَلويُّ يُواجِهُ الأسدَ]

حدّثني أبو القاسمِ بنُ الأعلمِ العَلَويُّ الكُوفيُّ الفيلسوفُ(١)، قال: خرجتُ مِن بغدادَ أريدُ الكوفةَ، فلمّا صِرتُ فيما بينَها وبينَ حمَّام عمرَ(٢)، وهي قريةٌ من قرى الكُوفةِ قريبةٌ منها(٣)، فأفضَيتُ إلى أجمةٍ هناك، وقد كنتُ تقدَّمتُ الرُّفقةَ، وأنا راكبٌ حمارًا لي، ووَرائي بمسافةٍ قريبةٍ غلامٌ لي مملوكٌ راكبٌ بغلةً، فسِرنا حتى بعُدْنا عن الرُّفقة.

فلمّا دخلتُ الأجمةَ رأيتُ مُسنّاةً(٤) دقيقةً في وسطِ الأجمةِ عليها المسلكُ، يُوصِلُ إليها في هُبوطٍ، فرُمتُ النُّزولَ إليها فوقفَ الحمارُ تحتي، فضربتُه ضربًا شديدًا فلم يَبْرَحْ.

---

(١) هو علي بن الحسن العلويّ، المعروف بابن الأعلم، صاحب الزيج، من أولاد جعفر الطيار، بغدادي المولد والمنشأ، عالمٌ بالهيئة، تقدَّم عند عضد الدولة، (ت: ٣٧٥هـ) آيبًا من الحج. ينظر: «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» (ص: ١٨٠)، و«الأعلام» (٤/ ٢٧٢).

(٢) في النسخ (عمر)، قال البَلاذُري في «فتوح البلدوان» (ص: ٢٧٦): منسوب إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص، وفي المطبوع: (أعين)، قال في «المغرب» (ص: ١٣٠): هو بستان قريب من الكوفة، وقال في «معجم البلدان» (٢/ ٢٩٩): منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص، وذكرهما ابن أبي الدنيا بالتخيير. ينظر: «الصمت» (ص: ٢٥٤)، و«ذم الكذب» (ص: ٣٧).

(٣) ينظر: «أحسن التقاسيم» للمقدسي (ص٥٣). وقوله: (فلمّا صِرتُ... قريبةٌ منها) ليس في (ف).

(٤) **المُسنّاة**: حائط يبنى في وجه الماء، ويسمَّى السد. ينظر: «المصباح المنير» (س ن ن).

فالتفتُّ إلى كَفَلِه[1] لأتأمَّلَ قوائمَه فوجدتُ أسدًا واقفًا، بينَه وبينَ كَفَلِ الحِمارِ نحوُ ذراعَينِ أو أقلَّ، وإذا الحمارُ قد شمَّ رائحتَه، فأصابَتْه رِعدةٌ عظيمةٌ، فرسخَتْ قوائمُه في الأرضِ، ولم يتحرَّك.

فلم أشكَّ في التَّلَفِ، وأنَّ الأسدَ سيمُدُّ يدَه، فيجذبُني عن الحمارِ، فغمضتُ عينيَّ لِئلا أرى كيف أحصلُ في مخاليبه وفمِه، وأقبلتُ أتشهَّدُ وأقرأُ، وأنا مع هذا أجدُ عقلِي ثابتًا.

ثمّ ذكرتُ في الحالِ حكايةً كنتُ أسمعُها، أنَّ الأسدَ لا يفرِسُ الإنسانَ وهو مواجهٌ له، فاستدَرتُ إليه وفتَحتُ عينيَّ في عينَيهِ، وأقبلتُ أتشهَّدُ خفيًّا، والأسدُ فاتحٌ فاه، وأنا أتأمَّلُ أسنانَه، وتَصِلُ إلى أنفي روائحُ لِفِيْهِ مُنتِنةٌ.

فإنِّي لكذلك إذ لحِقَني الصَّبيُّ المملوكُ وهو راكبٌ على البَغلةِ، ومعه رجلٌ راكبُ دابّةً، ووراءَهما قومٌ مُشاةٌ.

فحينَ رأى الأسدَ على تلك الصُّورةِ جَزِعَ جزعًا شديدًا، **وصاحَ بأعلى صوتِه**: يا معشرَ المسلمينَ، أدْرِكُونا، فقد افترسَ الأسدُ مولايَ العلَويَّ.

فحينَ سمِعَ الأسدُ صِياحًا مِن ورائِه انزعجَ، والتفَتَ فرأى الصَّبيَّ فوثَبَ إليه فتناولَه من السَّرجِ، وعارَ البغلُ[2]، وحصلَ الصَّبيُّ في فمِ الأسدِ كالفأرةِ في فَمِ السِّنَّورِ، وأنا كالميِّتِ إلَّا أنِّي أَعقِلُ.

---

(١) **الكَفَل** - للدابة وغيرها -: مؤخَّرُها. وفي (ر): (نعله).

(٢) أي: انفلت. ينظر: «مختار الصحاح» (ع ي ر).

ومَضى الأسدُ والصَّبيُّ في فمِه حتى دخلَ الأجَمةَ وتَوارَى عنَّا، فقلتُ في نفسِي: قد فَداني اللهُ عَزَّوَجَلَّ بمَمْلوُكي، وخلَّصَ نفسِي بيسيرٍ مِن مالي، فما وُقوفي؟

فرمَيتُ نفسِي عن الحِمار، وسِرتُ أعدُو على المُسنّاةِ، فتلقَّاني قومٌ قد جاؤُوا من الكوفةِ، ورأَوا ارتِيَاعِي وفزَعِي، فسألُوني عن أمرِي فأخبرتُهم.

فتقدَّمُوا يطلُبون الأسدَ، وقَوِيَت نفسِي فزِدْتُ في العَدْو، إلى أن خرجتُ من الأجمةِ، ولَحِقَتني الرُّفقةُ التي كنتُ فيها، وقد قادُوا البغلةَ التي كانَت تحتَ مملُوكِي والحمارَ الذي كان تحتي، فركبتُه ودخلتُ الكوفةَ.

وكان هذا يومَ الثُّلاثاءِ، غِرّةَ المحرَّمِ سنةَ ثمانٍ(١) وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ، فصُمْتُ يومِي، ونذَرتُ صومَ كلِّ يومِ ثلاثاءَ أبدًا ما بقيتُ، فأنا أصومُه إلى الآن.

وجاءَني أبو عليٍّ عمرُ بنُ يحيى العَلَويُّ(٢)، فهنَّأَني بالسَّلامةِ وبقُدومِي، وقد كان خبَرِي شاعَ.

---

(١) في (ض): (ثلاث).

(٢) في سنة (٣١٧هـ) لم يحجَّ أحد من العراق، فلما جاءت سنة (٣٢٧هـ) كاتب أبو عليٍّ عمر بن يحيى العلوي القرامطة، وكانوا يُحبُّونه لشجاعته وكرمه، وسألَهم أن يأذنوا للحجيج ليسير بهم ويعطيهم من كل جمل خمس دنانير، ومن المحمل سبعة دنانير، فأذنوا لهم، فحجَّ الناس وهي أوَّل سنة مكس فيها الحاج. ينظر: «المنتظم» (١٣/ ٣٧٨).

[٩: ١٢] [رجلٌ قويٌّ يقاتل الأسد]

حدَّثني سعدُ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ الأَزديُّ البَصريُّ الشّاعرُ المعروفُ بالوحيدِ[١]، قال: حدَّثني مردان[٢] بنُ شُعيبٍ العدويُّ، عديُّ ربيعَةَ[٣]، قال: وأنا وهو نقصِدُ تلَّ هَوَارَا[٤]، وكانَ مِن أهلِها[٥]، قال: كنتُ في حداثَتي شديدَ القُوّةِ والأَيْدِ[٦] - وكانَت بُنيتُه لَمّا حدَّثَني تدُلُّ على ذلك منه[٧] - قال: كنتُ عند زوجةٍ لي من عبدِ القيسِ بمنارةَ[٨] -وهي قَرْيةٌ من قُرى[٩] تلِّ هَوارا، على أربعةِ فراسخَ، لعبدِ القيسِ- وعندي قومٌ من أهلِ المرأةِ، فتفاخَرْنا حتى انتهَينا إلى تجريدِ السُّيوف، فحجزَ بينَنا مشايخُ القريةِ.

---

(١) هو أبو طالب، كان شاعرًا مجيدًا، مدح بني حمدان، وكان عارفًا باللغة والمعاني، وقد ردَّ على المتنبي عدة مواضع أخطأ فيها، جيِّد التصنيف، له من الكتب: «العدناني»، و«القحطاني»، و«معاني شعر المتنبي»، (ت: ٣٨٥). ينظر: «معجم الأدباء» (٣/ ١٣٥٦)، و«بغية الطلب» (٩/ ٤٢٧٢).

(٢) في (ف، ش، ج): (مروان).

(٣) (عديُّ ربيعَةَ) في (ش، ج): (عن عديُّ بن ربيعَةَ)، وفي المطبوع (من عدي ربيعة).

(٤) **تَلُّ هَوَارَةَ:** من قرى العراق. كذا في «معجم البلدان» (٢/ ٤٥) و«مراصد الاطلاع» (١/ ٢٧٣).

(٥) قوله: (قال: وأنا وهو... أهلِها) ليس في (ش، ج).

(٦) **الأيد:** القوة. ينظر: «مختار الصحاح» (أ ي د).

(٧) قوله: (البَصريُّ الشّاعرُ... على ذلك منه) ليس في (ض، ل).

(٨) كذا في النسخ هنا وفيما يأتي. ينظر: «مجلة لغة العرب العراقية» (٩/ ١١).

(٩) كذا في (ف)، وفي (ر، ل): (قرية من)، وفي (ض): (قريبة من).

وبدَرَ لِساني أنْ حلفْتُ بالطّلاقِ أن لا أبيتَ بمنارة، فخرجتُ منها أريدُ مَنزِلي بتَلِّ هوارا، ومعي سَيفي وحَجَفَتي[١]، وكانَ ذلك ليلًا.

فسرتُ في الطَّريقِ وَحدِي، وبلغتُ إلى أَجَمةٍ لا بُدَّ مِن سُلوكِها، فلمّا سرتُ فيها قليلًا سمعتُ صيحةً مِن ورائي قبيحةً، فجرَّدتُ سَيفي ورجعتُ أطلُبُ الصَّوتَ، فوجدتُ أسدًا قد فرَسَ رجلًا، هو الذي صاحَ وهو في فمِ الأسدِ عَرضًا بثِيابه.

فصِحتُ بالأسدِ وقصَدْتُه، فرمَى بالرَّجلِ ورجعَ إليَّ، فقاتلتُه ساعةً، ثمّ وثبَ عليَّ وثبةً شديدةً، فلَطِئتُ[٢] بالأرضِ، وجمعتُ نفسي في حَجَفتي، فلِشدّةِ وَثبتِه جازَني فصارَ وَرائي، فأسرعتُ الوُثوبَ نحوَه، وبَعَجْتُه[٣] بالسَّيفِ بضربةٍ في فِيه، وكان سيفًا ماضيًا[٤]، فدخلَ في فِيه وخرجَ من لَبَّتِه[٥]، فخرَّ صريعًا يَضطربُ، فتَداركتُه بضَرَباتٍ كثيرةٍ حتى تَلِفَ.

وعدتُ إلى الرَّجل، فوجدتُه يتنفَّسُ ولا يَعقِلُ، فحملتُه إلى الجادّةِ، وكانت ليلةً مُقمِرةً.

---

(١) **الحَجَفَة**: نوعٌ من التُّرُوسِ يُصنَع من جلود الإبل. ينظر: «لسان العرب» (ح ج ف: ٩/ ٣٩).
(٢) **اللَّطْءُ**: لُزوقُ الشَّيء بالشيء. لَطِئَ بالأرض ولَطَأَ: لزِق بها. ينظر: «لسان العرب» (١/ ١٥٢).
(٣) **بعَجَ بطنه بالسكين**: شَقَّه. ينظر: «مختار الصحاح» (ب ع ج)، وفي (ض): (وتعجلته).
(٤) أي: نافذاً قاطعاً. ينظر: «مختار الصحاح» (م ض ي).
(٥) **اللَّبَّة**: المَنْحَر. ينظر: «مختار الصحاح» (ل ب ب).

وتأمَّلتُ الرَّجلَ، فإذا هو تاجرٌ من تَلِّ هَوارَا[1] أعرفُه، فلم تَطِب نفسِي بتركِه أصلًا، فتركتُه على الجادّةِ، وعدتُ فأخذتُ رأسَ الأسدِ، وحملتُه والرَّجلَ في صَبِيغةٍ[2] كانت عليَّ.

والصَّبيغةُ: إزارٌ أحمرُ يَتَّشحُ به عربُ تلك النّاحيةِ.

وكان الأسدُ في خلالِ قتالِي إيّاه قد ضربَ فخِذي بكَفِّه، فأحسستُ به في الحالِ كغَرزةِ الإبرةِ؛ لِمَا كنتُ فيه من الهَولِ، فلمّا جعلتُ أمشي حاملًا لِرأسِ الأسدِ والرَّجُل أحسستُ بالألمِ، ورأيتُ الدَّمَ يَجرِي، وقوَّتي تضعُفُ، فصبَّرتُ نفسِي حتى بلغتُ تلَّ هَوارا وقد أصبحتُ.

فبَدَرَ أهلُ القريةِ إليَّ[3] فسألُوني عن خَبري، فألقيتُ الصَّبيغةَ التي فيها الرَّجلُ والرّأسُ، فاستَهْوَلُوا الحالَ لَمّا حدَّثتُهم بها.

وفتَّشوا الرَّجلَ، فوجدُوا في بدنِه خُدوشًا يَسيرةً، فأخذُوه، ورُمتُ أن أمشيَ إلى بَيتي فلم أَقدِر، حتى حُمِلتُ، وكنتُ أُعالَج من تلك الجِراحِ مُدّةً.

وعُولِجَ الرَّجلُ فبَرِئَ قبلي، وهو حيٌّ إلى الآنَ، يُسَمِّينِي مولايَ ومُعتِقي، وجِراحي أنا - لصُعوبتِها - تَنتَقِضُ عليَّ في بعضِ الأوقاتِ.

---

(١) (تل هوارا) في (ض): (أهل الأهواز).

(٢) في (ض): (ضبيغة).

(٣) في (ر): (فتنكر أهل القريَة حالي وحال الجرح).

قال **سعدُ بنُ محمَّدٍ**[1]: وأَراني الجُرحَ، وكان عظيمَ الفَتحِ.

(١) (سعدُ بنُ محمَّدٍ) في (ش، ج): (صاحب الحكاية).

[٩: ١٣] [رجلٌ ينجو من الأفعى بحِيلةِ ابنِ عِرْسٍ[١]]

وحدَّثني سعدُ بن محمَّدٍ الأزديُّ، قال: حدَّثني رجلٌ يُعرَفُ بعبدِ العزيزِ بنِ الحسنِ[٢] الأَزْديِّ من تُجّارِ القَصْباءِ[٣] بالبَصْرةِ[٤]، قال: كنتُ يومًا في القَصباءِ[٥]، وقد أُخرجَ من النّهر قصبٌ رطبٌ، فعُمِل كالقِبابِ على العادةِ فيما يرادُ تجفيفُه من القصبِ، وكان يومًا صائمًا، فكدَّني الحَرُّ، فدخلتُ إحدى تلك القِبابِ القصبِ، وهي تكونُ باردةً جدًّا، وعادةُ التُّجّار أن يَستكِنُّوا بها[٦].

فنِمتُ في القُبّةِ، فلبَردِها استثقَلتُ في النّومِ، فانتبهتُ بعدَ العصرِ، وقد انصرفَ النّاسُ من القَصباءِ، وهي في موضعٍ بالبصرةِ في أعلاها معروفٍ، به صَحراءُ وثعابينُ.

فاستوحشتُ من الوَحدةِ، وعملتُ على القيامِ.

---

(١) **ابن عِرْس** - بكسر العين وإسكان الراء -: حيوان دقيق يشبه الفأر، يعادي الحية ويقتلها، يجمع على: بنات عرس وبني عرس. ينظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٢) (بن الحسن) في (ط، ح) (بن محمَّد).

(٣) **القَصْباء**: القَصَبُ، واحدها: قَصَبَة. ينظر: «مختار الصحاح» (ق ص ب).

(٤) قوله: (قال: حدَّثني رجلٌ... بالبَصْرةِ) ليس في (ض، ل).

(٥) المراد بها هنا: المكان الذي ينبت القَصَب. ينظر: «التقفية في اللغة» (ص: ٣٩).

(٦) أي: يستتروا فيها. ينظر: «المصباح المنير» (ك ن ن).

فإذا بأَفعى في غلظِ السّاعدِ، طويلٍ متدوِّرٍ على بابِ القبّةِ كالطَّبَق.

فلم أجِد سبيلًا إلى الخروجِ، ويئستُ من نفسي وتحيَّرتُ، وجزِعتُ جزَعًا شديدًا، فأخذتُ في التَّشهُّدِ والتَّسبيحِ والتَّضَرُّعِ(١) إلى اللهِ تعالى.

فإنِّي لكذلك، إذ جاءَ ابنُ عِرْسٍ مِن بعيدٍ، فلمّا رأى الأفعى وقفَ يتأمَّلُه، ثمّ رجعَ من حيثُ جاء، وغابَ قليلًا، ثمّ جاءَ ومعه ابنُ عِرْسٍ آخرُ، فوقفَ أحدُهما عن يمينِ القُبّةِ، والآخرُ عن يسارِها، فصارا بذلك عند رأسِ الأفعى وذَنبِه، والأفعى غافلٌ عنهما، ثمَّ أحسَّ بهما، فانحلَّ عن استدارتِه، فوثَبا في دُفعةٍ واحدةٍ، فإذا رأسُه وذنبُه في فمِ كلٍّ واحدٍ منهما، فاضطربَ فلم يُفلِت منهما، وجرَّاه حتى بعُدَا عن عَيني، فخرجْتُ من القبّةِ سالمًا.

---

(١) في (ر): (والفزع).

[٩: ١٤] [ألقى نفسَه على نباتِ البَرْدِيِّ[١] فوقعَ على أسدٍ]

وحدَّثني سعدُ[٢] بنُ محمَّدٍ الوحيدُ، قال: حدَّثني الحسنُ بنُ عليٍّ الأنصاريُّ[٣] المقرئُ[٤] بالرَّمْلةِ، وكان فارِسًا فاتِكًا شُجاعًا جَلْدًا، قال: خرجتُ في قافلةٍ من الرَّملةِ، صاحبُها ابنُ الحدّادِ، وأنا على مُهْرٍ لي، وعليَّ سِلَاحي.

فبلَغْنا في ليلةٍ ظلماءَ إلى وادِي عارا[٥]، وهو وادٍ عميقٌ جدًّا، عمقُه نحوُ فرسخٍ، وفي بطنِه ماءٌ يَجرِي، وعليه شجرٌ كثيرٌ، وهو مشهورٌ بالسِّباعِ، والطَّريقُ على جَنَبةٍ[٦] من جَنَباتِه في مَضيقٍ، فازدحَمَت القافلةُ، فسقطَ جملٌ عليه حِملُ بَزٍّ[٧]، فرأيتُ صاحبَه يَلْطِمُ ويَبكي، وكان مُوسِرًا.

فدَعاه ابنُ الحدّادِ، وقال له: أنتَ رجلٌ مُوسِرٌ، فما هذا الجزَعُ؟ فقال له: إنَّ في هذا الجمَلِ أكثرَ من عشَرةِ آلافِ دِينارٍ عَينًا.

---

(١) البَرْدِيُّ: نبات يعمل منه الحصر. ينظر: «المصباح المنير» (ب ر د).

(٢) في (ض، غ): (سعيد)، وهو تصحيف.

(٣) (الأنصاريُّ) ليس في (ض).

(٤) (المقرئ) في (ر، س، ن): (المصري).

(٥) في (ض): (غارا) بالغين، وفي (ل): (أوعارا)، والمثبت من (ر).
ووادي عارا (أو: عارة): وادٍ في فلسطين على طريق الرملة، معروف بوجود السباع فيه. ينظر: «المسالك والممالك» لابن خرداذبه (ص: ٢١٩).

(٦) الجَنَبَةُ: النَّاحِيَةُ. ينظر: «مختار الصحاح» (ج ن ب).

(٧) البز: نوع من الثياب. ينظر: «المصباح المنير» (ب ز ز).

فحطَّ ابنُ الحدّادِ القافلةَ، ونادَى: مَن ينزِلُ الواديَ ويُخَلِّصُ هذا الجملَ والمالَ الذي فيه، وله ألفُ دِينارٍ، فلم يَجسُر على ذلك أحدٌ.

فلمّا كرَّرَ النِّداءَ جئتُه، وقلتُ: تُعجِّلُ ليَ الدَّنانيرَ؟

فقال: لا، ولكِن أكتبُ كتابًا السّاعةَ، وأُشهِدُ مَن في القافلةِ، فإذا حصلَ الجملُ وحِملُه بما فيه مِن المالِ؛ فالمالُ لكَ.

فكتَبْنا كتابًا وأشهَدْنا فيه.

وأعطيتُهم دابَّتي ورَحْلِي، وأخذتُ سيفًا وحَجَفةً وشَمعةً مُشعَلةً، ورمتُ النُّزولَ إلى الوادِي.

فرأيتُ منزلًا غرَّني، فاستعجلتُ سُلوكَه، فنزلتُ ساعةً حتى صرتُ على جانبٍ من الوادي مُشجِرٍ، فإذا فيه أثرُ الرُّعاةِ والغَنمِ، ثمّ لم أجِد طريقًا إلى أسفلَ، وكان سبيلِي أن أرجعَ وأرتادَ المنزِلَ إليه من جهةٍ أخرى.

فحملَني ضيقُ الوقتِ والحرصُ على الدَّنانيرِ؛ أنْ جعلتُ أتوغَّلُ وأنتقلُ من شجرةٍ إلى شجرةٍ ومن حجرٍ إلى حجرٍ، حتى حصلتُ في جنبِ الوادي على صخرةٍ ملساءَ بارزةٍ كالرفِّ، ليس لها إلى أسفلَ طريقٌ ألبتّةَ، فاطَّلعتُ بالشَّمعة فإذا بيني وبين القَرارِ نحوُ عشرينَ ذراعًا، وفي أسفلِ الوادِي بَرْدِيٌّ كثيفٌ يَجرِي بينَه الماءُ، وله خريرٌ شديدٌ.

فأجمعتُ رأيِي على أنْ أُلقِيَ نفسِي، فأطفأتُ الشَّمعةَ، وشددتُها بحمائلِ السَّيفِ مع الحجفةِ، وألقيتُ ذلك في موضعٍ علَّمتُه عن يَمينِي، ثمّ جمعتُ نفسِي فوثبتُ في وسطِ البَرديِّ، فوقعتُ على شيءٍ ثارَ مِن تحتي ونفضَنِي، وصاحَ صيحةً

عظيمةً ملأَ بها الوادِي، وإذا هو أسدٌ، ثم إنَّه شقَّ البَرْديَّ وسَعى هاربًا، فوقفَ بإزائي من جانبِ الوادِي الآخرِ.

فطلبتُ سَيفي وحجَفتي حتى أخذتُهما، ووقفتُ أنتظرُ أن يمضيَ السَّبعُ فأطلبَ الجملَ، فأقبلَ يريدُني، فمشيتُ بين يدَيه في ذلك البَرْديِّ، وهو في أثَري يخوضُ الماءَ، ويشُقُّ البَردِيَّ، وأنا أُخاتِلُه من موضعٍ إلى موضعٍ.

وطلعَ القمرُ، فأبصرتُ بناءً حقيرًا في جنبِ الوادِي، فقصدتُه فإذا هو بيتُ رحًى يُدِيرُها الماءُ، فدخلتُه.

ثمّ فكَّرتُ، فقلتُ: هذا مألَفُ الأسدِ، والسّاعةَ يجيئُني.

فخرجتُ وجئتُ إلى شجرةٍ كبيرةٍ، فقطعتُها بالسَّيفِ من نصفِ ساقِها وجرَرْتُها من ورائي، وجذبتُ ساقَها ودخلتُ بيت الرّحى، فامتلأ البابُ بها وفضلَت عنه كثيرًا، وجلستُ وساقُ الشّجرةِ تحتِي.

فما كانَ إلَّا مقدارُ جلوسِي، حتى أحسَستُ بالأسدِ يَزحَمُ الشَّجرةَ يرومُ الدُّخولَ إليَّ، فاستندتُ إلى الحائطِ، وأمسكتُ ساقَ الشَّجرةِ أُدافعُه بها، حتى ملَّنِي ومِلِلْتُه.

ثمَّ ربَضَ بإزاءِ البابِ إلى أن أسفرَ الصُّبح، فلمّا كادَت أن تطلعَ الشَّمسُ مضى، فأقمتُ إلى أن انبسطَت الشَّمسُ، حتى أمنتُه.

ثمّ خرجتُ، فما زلتُ أطلُبُ أثَرَ الجملِ حتى انتهيتُ إليه، وإذا هو قد تقطَّع، والعِدلانِ(١) مَطرُوحان، وكانوا أمرُوني بفَتقِهما واستخراجِ المالِ وحَملِه، إن لم

---

(١) **العِدْلُ**: الذي يعادل في الوزن والقدر، ويستخدم للأحمال. ينظر: «مختار الصحاح» =

أقدِر على تخليصِ الجملِ، ففعلتُ ذلك، وحملتُ المالَ على ظهرِي، وطلبتُ المَصعَدَ، وقد علَت الضّحى، فصعدتُ فيه.

فلمّا صرتُ برأسِ الوادي إذا ببادية[1] مُجتازِين، فقصدُوني، فمانَعتُهم عن نفسِي، فلم أُطِقْهم، وضربُوني بالسّيوف، فقلتُ لشيخٍ رأيتُه كالرئيسِ لهم: لي الذِّمامُ[2] على ما معي حتى أصدُقَك، وأنفعَك نفعًا كثيرًا؟

فقال: اصدُقنِي حتى أُعطِيَك الذِّمامَ.

فحدَّثتُه بالحديثِ، فأخذُوا المالَ وسيَّرُوني معهم، حتى وقفُوا على العِدْلَينِ فاحتملُوها، ثمَّ ضربَ الشَّيخُ يدَه في المالِ، فحَثا[3] لي منه ثلاثَ حثَياتٍ، فقلتُ: إنَّ هذا لا ينفعُني إنْ لم تُبلِغُوني مَأمَني، فأناخَ جملًا فحملَني عليه، وسارَ بي سيرًا حثيثًا، حتى أَراني القافلةَ على بُعد.

ثمَّ أنزلَني، وقال: الحَقْ برُفقتِك، فما عليكَ من أحدٍ بأسٌ.

فمشَيتُ حتى لحِقتُ القافلةَ، وقد خبَّأتُ تلك الدَّنانيرَ في سَراويلي، فعرَّفتُهم أنَّ المال أخذَتْه الباديةُ، وكتمتُهم ما أعطَوني، وأَريتُهم آثارَ الضَّربِ فيَّ، فصدَّقُوني لَمَّا رأَوه، ولم يُفتِّشُوني.

= و«المصباح المنير» (ع د ل).

(١) **البادية**: البَدْوُ. ينظر: «مختار الصحاح» (ب د ا).

(٢) **الذمة**: العهد والأمان والضمان. ينظر: «المصباح المنير» (ذ م م).

(٣) **حثا الرجل التراب**: إذا هاله بيده، أو: قبضه بيده ثم رماه. ينظر: «المصباح المنير» (ح ث و).

وركبتُ مُهرِي وسِرتُ معهم، فدخَلْنا طبَرِيّةَ، فشكَوا إلى أميرِها أبي عثمانَ مولى بن عقيل[1]، فأَسرى إلى الأعرابِ، فارتجعَ منهم أكثرَ المالِ والثِّيابِ، وردَّه إلى صاحبِه.

وكنتُ أنا - لَمّا دخَلْنا طبريّة - فارقتُهم، وتقدَّمتُ إلى دمشقَ، ثمّ لَحِقُوني بها، وبلغَني ما رُدَّ عليهم، فقلتُ لصاحبِ الجَملِ: قد بذلْتُ مُهجتِي، وأفلتُّ من الأسدِ ومن الموتِ مِرارًا ومن الأعرابِ، حتى وصلَ إليك أكثرُ مالِك، فلا أقلَّ من أنْ تُوصِلَ إليَّ بعضَ ما كنتَ وعدتَني.

فأعطاني مئتَي دِينارٍ، فأضفتُها إلى ما أعطانِيه الأعرابُ، فإذا الجميعُ ستُّ مئةِ دينارٍ، مع السَّلامةِ من تلك الشَّدائدِ[2].

(١) (مولى بن عقيل) في بعض النسخ: (ملهم مولى بني عقيل).

(٢) والسَّلامة في الدين بالرزق الحلال خيرٌ عند الله وأبقى.

[٩: ١٥] [أنجاهُ اللَّهُ من التِّمساحِ بالتِّمساحِ][1]

وجدتُ في بعضِ الكُتُبِ: عن أبي عبد الله مانع[2] الفَرِميِّ، وكان رجلًا صالحًا، قال: كنتُ بالزار[3]، وهو موضعٌ بين الفَرَما[4] وبين جَرْجِيرَ[5]، فقمتُ ليلةً لأتوضأَ في النِّيلِ، فلمّا صِرتُ في الماءِ إذا بِتِمساحٍ قد قبَضَ على عضُدِي، وأخذَني حتى ذهبَ بي إلى الماءِ، فغوَّصَني ليفترِسَني، ففَزِعتُ إلى اللهِ تعالى، وذهبَ عليَّ أمرِي، ولم أعلَم كيف كانَت حالَتي، إلَّا أنِّي أحسَستُ بالتِّمساحِ قد خلَّى عنِّي، وإذا بتمساحٍ أكبرَ منه قد هجَمَ عليه في الماءِ يُعالِجُه[6] على أخذِي منه، فألقَانِي من فمِه، وأقبَلا يتَناهشَانِ في وسطِ الماء، فسبَحتُ إلى الشَّطِ وصعدتُ سالمًا، لا أَلَمَ بي إلَّا الخَدْشَ الذي في عضُدِي فبَرَأَ بعد أيامٍ يَسيرةٍ.

---

(١) هذه القصة ليست في المطبوع.

(٢) (عبد الله مانع): في (ر، ن): (عبدِ ربِّ ماتع)، وفي (ف): (عبدِ ربٍّ مانع القرشي).

(٣) ذكرها في «معجم البلدان» (٣/ ١٢٦) باسم (الزارة) وقال: كورةٌ بالصعيد قرب قِفْطَ.

(٤) **الفَرَما**: مدينة قديمة بين العريش والفسطاط شرقي تنيس على ساحل البحر على يمين القاصد لمصر، وهي أول مدن مصر، وبينها وبين بحر القلزم المتصل ببحر الهند أربعة أيام. ينظر: «البلدان» لليعقوبي (ص: ١٦٨)، و«معجم البلدان» (٤/ ٢٥٦).

(٥) **جرجير**: قريةٌ بينها وبين الفَرَما مرحلة (٤٤ كم تقريبًا). ينظر: «البلدان» لليعقوبي (ص: ١٦٨).

(٦) في (ل): (يغالبه).

[٩: ١٦] [رجلٌ ينجِّيه اللَّهُ من الأسدِ والثُّعْبانِ]

ووجدتُ أيضًا: أنَّ رجلًا وفدَ على هشامٍ بن عبد الملك[١]، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، لقد رأيتُ في طريقي عجَبًا.

قال: وما هو؟ قال: بينما أنا أسيرُ في جبلَي طيِّءٍ[٢]، إذ نظرتُ فإذا عن يَميني أسدٌ كالبغلِ، وعن يَساري ثعبانٌ كالحبلِ، وهما مُقبِلانِ نَحوِي.

ففَزِعتُ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ورفعتُ رأسِي إلى السَّماءِ، وقلتُ: [من الرجز]

يا دافعَ المَكرُوهِ قد تَراهُما ... فنجِّنِي يا ربِّ من أَذاهُما
ومِن أَذى مَن كادَني سِواهُما ... لا تَجعَلَنْ شِلْوِيَ مِن قِراهُما[٣]

قال: فدَنَيا منِّي فتشمَّماني، حتى لم أشكَّ في الموتِ، فسبقَ إليّ الثُّعبانُ يشَمُّني[٤]، فوثَب عليه الأسدُ فكَدَمَ[٥] ذنَبَه، فالتفتَ الثُّعبانُ إلى الأسدِ فنهشَه،

---

(١) (بن عبد الملك) زيادة من (ك).

(٢) **جبلا طيّء**: أَجَأ، وسَلمى. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٩٤) و(٢/ ١٠٢)، و«مراصد الاطلاع» (٢/ ٧٢٩).

(٣) **الشِّلْوُ**: العضو، والجمع: أشلاء، وقيل: شِلو الإنسان: جسده بعد بِلاه. ينظر: «مقاييس اللغة» (٣/ ٢٠٩)، و«المصباح المنير» (ش ل و). **والقِرَى**: ما يقدم للضيف. ينظر: «مختار الصحاح» (ق ر ا).

(٤) في (ل): (لينهشني).

(٥) **كَدَمَ**: عضَّ بأدنى فِيه. ينظر: «مقاييس اللغة» (٥/ ١٦٥).

فإذا بالأسدِ مُلقًى بنَهشةِ الثُّعبانِ، والثُّعبانُ وقعَ مَيتًا[1] بكَدمةِ الأسدِ، فوقفتُ أنظرُ إليهما وأشكُرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ كيف نجَّاني منهما بعد اليَأسِ من الحياةِ، وسِرتُ بحَمدِ اللهِ سالمًا.

(١) في (ل): (مقطوعاً).

[٩: ١٧] [قَضى ليلةً مع الأسدِ في حُجرةٍ مُغلَقةِ البابِ]

وبلغَني عن قاضِي القُضاةِ أبي السّائبِ، ولم أسمَعْ ذلك منه[1]، قال: وافيتُ من همَذانَ إلى العراقِ، وأنا فقيرٌ.

فلمّا انصرفتُ أريدُ قصرَ ابنِ هُبَيرةَ[2] قيلَ لي: إنَّ الأرضَ مَسْبَعةٌ[3]، وأُشيرَ عليَّ أنْ ألحقَ قريةً فيها حِصنٌ سُمِّيَت لي، فآويَ إليه قبلَ المَساء.

وكنتُ ماشيًا، فأسرعتُ وكدَدْتُ نفسِي[4] إلى أنْ لحقتُ القريةَ، فوجدتُ بابَ الحصنِ مُغلقًا، فدَقَقتُه فلم يُفتَح لي، فسألتُ وتوسَّلتُ[5].

---

(١) (أبي السّائِب، ولم أسمع ذلك مِنهُ) ليست في (ض، ل).

(٢) بناه يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري في أيام مروان بن الحَكَم، وهو يومئذ عامل مروان على العراق، وهي مدينةٌ عامرةٌ جليلةٌ ينزلها العمال والولاة، على نهرٍ يأخذ من الفراتِ يقال له «الصراة»، وبين قصر ابن هبيرة وبين معظم الفرات مقدار ميلين. ينظر: «الروض المعطار في خبر الأقطار» (ص: ٤٧٥).

(٣) أرض مَسْبَعة: كثيرة السِّباعِ. ينظر: «المصباح المنير» (س ب ع).

(٤) أي: أتعبتها. ينظر: «مختار الصحاح» (ك د د).

(٥) أي: للقائمين بحراسته.

فقالوا: قد أتانا منذُ أيّامٍ مَن ذَكرَ مثلَ ما تذكُرُ أنت، فأدخَلْناه وآوَيناه، فكان عينًا للُّصوصِ، وفتحَ الحصنَ ليلًا فأدخلَهم، فسلَبُونا، ولكن الحَق بذلك المسجدِ فكُن فيه؛ لئلّا تُمسِيَ فيأتيكَ السَّبُع.

فصرتُ إلى المسجدِ، فدخلتُ بيتًا كان فيه وجلستُ، فلم يكُن بأسرعَ مِن أَنْ جاء رجلٌ على حمارٍ مُنصرفًا من الحائرِ، فدخلَ المسجدَ وشدَّ حمارَه في غلَقٍ كان في بابِ البيتِ، ودخلَ إليَّ.

وكان معه كُرَازٌ[1] فيه ماءٌ، وخرجَ فأخرجَ منه سراجًا وأصلحَه، وقدحَ فأوقدَ السِّراجَ، وأخرجَ خبزَه، وأخرجتُ خُبزِي، فاجتمَعْنا على الأكلِ.

فما شعَرْنا إلَّا بالأسدِ قد حصَلَ في المسجدِ، فلمّا رآه الحِمارُ دخلَ البيتَ الذي نحنُ فيه، فدخل السَّبعُ وراءَه، فخرجَ الحمارُ وجذبَ بابَ البيتِ بالرَّسَنِ المشدودِ في غلقِ البابِ، فأغلقَه علينا وعلى السَّبُع، فحصَلْنا في أقبحِ مَنزِلٍ، وقدَّرْنا أنَّ السَّبُعَ ليس يَعرِضُ لنا بسببِ السِّراجِ، وأنَّه إذا طَفِئَ أكلَنا أو أحدَنا.

وما طالَ الأمرُ أنْ فَنِيَ ما كانَ في السِّراجِ من الزَّيتِ وطَفِئ، فحَصَلْنا في الظُّلمةِ والسَّبُعُ معنا، فما كان عندَنا من حالِه شيءٌ إلّا إذا تنفَّسَ، فإنّا كنّا نسمَعُ نفَسَه.

وراثَ الحمارُ مِن فزَعِه، فملأَ المسجدَ رَوثًا، ومضى اللَّيلُ ونحنُ على حالِنا، وقد كِدْنا نتلَفُ فزعًا، ثمّ سمِعنا صوتَ الأذانِ من داخلِ الحِصْنِ، وبدا ضوءُ الصُّبحِ، فرأَيناه مِن شُقوقِ البابِ.

---

(١) **الكُرَازُ**: هو القارورة. ينظر: «المصباح المنير» (ك ر ز).

وجاءَ المؤذِّنُ من الحصنِ، فدخلَ إلى المسجدِ وحلَّ رسَنَ الحمارِ من الغلقِ، فمرَّ يطيرُ في الصّحراءِ؛ لعلمِه بما قد أفلتَ منه، وفتحَ المؤذِّنُ باب البيتِ لينظُرَ مَن في البيتِ، فوثبَ السَّبعُ إليه فدَقَّه، وحملَه إلى الأجمةِ، وقُمنا نحن فانصَرَفْنا سالِمين، وحصَّلنا الحمارَ.

[٩: ١٨] [أخذَه الأسدُ في المكانِ الذي أخذَ فيه أباهُ]

وبلغَني عن أبي عيسى محمَّدِ بنِ محمَّدِ بن عليٍّ بنِ مُقلةَ[١]، **قال:** كنتُ عند أبي عليٍّ عمرَ بنِ يحيى العَلَويِّ بالكُوفة، إذ دخلَ إليه غلامٌ له، فقال: يا مَولاي، أخذَ الأسدُ فلانًا وكيلَنا.

فانزعجَ، **وقال:** أينَ؟

قال: في مَوضِع كذا وكذا، وأدخلَه الأجمةَ الفُلانيّةَ.

فقال أبو عليّ: لا إلهَ إلَّا اللهُ! في هذا المَوضِعِ[٢] بعَينِه أخذَ الأسدُ أباه، وأدخلَه إلى هذه الأجمةِ بعينِها، منذ كذا وكذا سنةً.

فاغتمَّ، فسلَّيْناه، فعادَ إلى شأنِه في المحادثةِ.

فأنا قاعدٌ أحدِّثُه، إذ دخل عليه غِلمانُه متبادِرين، فقالوا: قد وافَى فلانٌ الوكيلُ - عن المأخوذِ- ودخلَ الرَّجلُ فسُرَّ به[٣] أبو عليٍّ، وسألَه عن خبرِه.

---

(١) في (ف): (أبي عيسى محمَّد بن علي بن محمَّد بن مقلة)، وفي (ك): (أبي عيسى محمد بن علي بن مقلة الكاتب)، وفي المطبوع: (أبي عليّ مُحَمَّد بن عَليّ بن مقلة الكاتِب)، وفي (ض): (عن أبي موسى)، **ولعلَّه** محمَّد بن محمَّد بن علي بن الحسن بن مقلة، أبو الحسن، ابن الوزير أبي عليٍّ، قدم مصر، حدَّث بالديار المصرية عن أبيه، وذكرت المصادر أنَّ كنيته أبو الحسن. ينظر: «الوافي بالوفيات» (١/ ١٤١)، و«المقفى الكبير» (٧/ ٤٣).

(٢) في (ف): (في مثل هذا اليوم).

(٣) في (ر): (فبش له).

فقال: نعم، أخذَني السَّبُعُ كما شاهدَ مَن حدَّثكم، وكنتُ راكبًا، فحملَني بِفِيه كما يحمِلُ السِّنَّورُ الفأرةَ(١)، إلَّا أنَّه ما كلَمَني(٢)، وأدخلَني الأجمةَ، وقد زالَ عقلِي فلم أعرِف من أمرِي شيئًا.

إلَّا أنَّني أفقتُ فلم أرَه، ووجدتُ أعضائِي سالمةً، ووجدتُ حولِي من الجَماجمِ والعظامِ شيئًا كثيرًا، فلم يزَلْ عقلِي وقوَّتي يَثُوبانِ إليَّ إلى أنْ قمتُ، ومشيتُ فعثَرتُ بشيءٍ، فتأمَّلتُه فإذا هو هِمْيَانٌ، فأخذتُه وشَدَدتُ به وسطِي، ومشيتُ إلى أنْ بَعُدتُ عن الموضعِ، فوصلتْ إلى مَوضعٍ شبيهٍ بوَهْدةٍ(٣)، فجلستُ فيه وغطَّيتُه بما أمكنَني كَسرُه من قصبِ الأجمةِ بقيّةَ ليلتِي.

فلمَّا طلعَت الشَّمسُ أحسَسْتُ بكلامِ المارّةِ وحوافرِ بِغَالِهم، فخرجتُ وعرَّفتُهم قصَّتي، وركبتُ بغلَ أحدِهم.

فلمَّا بعُدتُ عن الأجمةِ وأمِنتُ على نفسِي فتحتُ الهِمْيانَ، فإذا فيه رُقعةٌ بخطِّ أبي بأصلِ ما كان في الهِمْيانِ من الدَّنانيرِ وما أنفَقَه، فإذا هو هِمْيانُ أبي الذي كانَ في وسَطه لَمّا افترسَه السَّبُعُ.

فلمّا وصلتُ البلد حسَبتُ الخَرْجَ ووزَنتُ الدَّنانيرَ(٤)، فإذا هي بإزاءِ ما بقِيَ من الأصلِ، ما نقَصَت شيئًا.

---

(١) في (ر): (كما تحمل السنور بعضَ جرائها).

(٢) أي: ما جرحني، والكَلْم: الجراحة. ينظر: «المصباح المنير» (ك ل م).

(٣) **الوهدة**: المكان المطمئن. ينظر: «مختار الصحاح» (و هـ د).

(٤) أي: حسب المصروف ووزن الباقي.

قال: وأخرجَ الهِمْيانَ ففتحَه وأخرجَ الثَّبَتَ[1]، فنظرَه أبو عليٍّ وقال: نَعمَ هذا خطُّ أبيكَ.

وعَجِبَت الجماعةُ من ذلك.

(١) **الثَّبَتُ**: الحجة والبينة. ينظر: «لسان العرب» (٢/ ٢٠).

[٩: ١٩] [نَجا مِن الأسدِ وافترسَ مَمْلُوكَه]

وبلغَني عن رجلٍ من أهلِ الأَنبارِ[١]، قال: خرَجتُ إلى ضَيعةٍ لي في ظاهرِ الأَنبارِ، راكبَ دابّةٍ كانَت لي، ومعي مملوكٌ أسودُ في نهايةِ الشَّجاعةِ.

فلمَّا صِرنا في بعضِ الطَّريقِ - بالقُربِ من الموضِعِ - إذ نشأَتْ سحابةٌ فأمطَرَت، وكان المساءُ قد أدركَنا، فمِلْنا إلى قِبابٍ كانت على الطَّريقِ للسَّابلةِ، فلجَأْنا إليها، فقَوِيَ المطرُ جدًّا حتى منعَنا من الحركةِ، فأشارَ عليَّ الغلامُ بالمبيتِ وتَركِ التَّعرُّضِ للغَرَرِ.

فقلتُ له: نخافُ ويحكَ اللُّصوصَ.

فقال لي: تخافُ اللُّصوصَ وأنا معكَ؟

قلتُ: فالأسد؟

قال: نُصَيِّرُ الدّابّةَ في داخلِ القُبّةِ، وأنت تَلِيها، وأنا عندَ البابِ، وأَشُدُّ وسطِي بالحبلِ الذي معنا، وأشدُّ طرفَه برِجلك حتى لا يأخذَني النَّومُ، فإنْ جاءَ الأسدُ أخذَني دونَك.

---

(١) **الأنبار**: مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور، وكان أول من عمّرها سابور بن هرمز ذو الأكتاف، ثم جدّدها أبو العباس السفّاح أول خلفاء بني العباس وبنى بها قصوراً، وأقام بها إلى أن مات. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٢٥٧).

فقلتُ: واللهِ ما أدرِي ما أقولُ لك، فاعمَل ما تَرى. ففَعلَ ما قال[1].

فواللهِ ما مضَت قطعةٌ من اللَّيلِ حتى جاء الأسدُ، فأخذَ الأَسْـودَ فدَقَّه واحتمَلَه، وجرَّ بِرجلي المشدودةِ معه في الحَبلِ، فلم يَزَل يجرُّني على الحجارةِ والشَّوكِ والدَّكادكِ[2] إلى أنْ صارَ بي إلى أجمةٍ هناك، وأنا لا أعقلُ شيئًا من أمرِي، ولا أُحِسُّ بأكثرِ ما يمرُّ بي، ولا تمييزَ لي يؤدِّيني إلى الاجتهادِ في حلِّ الحبلِ مِن رِجلي.

ثمّ رمى بالأسودِ وربضَ عليه، وما زال يأكلُ منه حتَّى شَبعَ، وتركَ ما فضَلَ عنه، وليس لي مِن حسِّ الحياةِ إلَّا النَّظرُ فقط، ثمّ مضى فنامَ بالقُربِ منه.

وبقِيتُ زمانًا على تلكَ الحالِ، ثمّ سكنَ رَوعِي وثابَ فَهمِي، ورجعَت إليَّ نفسِي، فحلَلْتُ رِجلي من الحبلِ المَشدودِ[3]، وقمتُ لأَدِبَّ، فعثَرتُ بشيءٍ لا أدرِي ما هو، فأخذتُه بيدِي فإذا هِمْيانٌ ثقيلٌ، فشدَدتُه في وسطِي، وخرجتُ من الأجمةِ وقد قاربَ الصُّبحُ أنْ يُسْفِرَ.

وصرتُ إلى القُبّةِ التي فيها دابَّتي، فإذا هي واقفةٌ بحالِها، فأخرجتُها وركبتُها، وانصرفتُ إلى مَنزِلي فوجدتُ في الهِمْيانِ جُملةَ دَنانيرَ، فحَمِدتُ اللهَ تعالى على السَّلامةِ، وبَقِيَ الرُّعبُ في قلبِي والتَّأَلُّمُ في رِجلي[4] مدّةً.

---

(١) في المطبوع: (وما زالَ يحسن لي ذلك الرَّأي حَتَّى أطعته، وملنا إلى إحدَى القباب، ودخلناها).

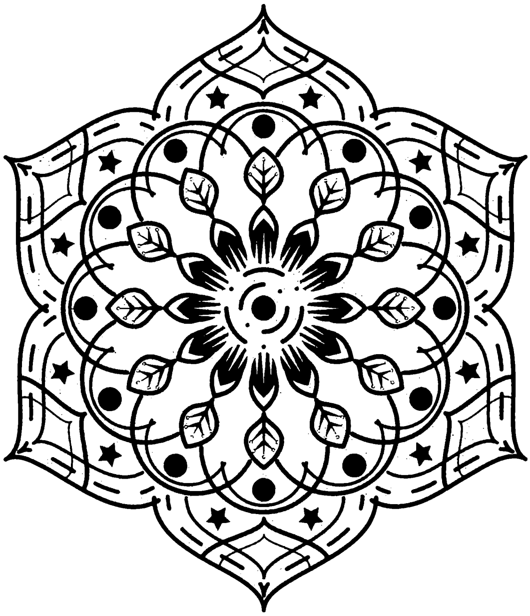
(٢) جمع دَكْداك، والدَّكداك من الرمل: ما التبد بالأرض فلم يرتفع. ينظر: «مقاييس اللغة» (٢/ ٢٥٩).

(٣) في (ر): (المشؤوم).

(٤) في (ر): (بدني).

البَابُ العَاشِرُ

فِي مَنِ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ بِمَرَضٍ نَالَهُ فَعَافَاهُ اللهُ بِأَيْسَرِ سَبَبٍ وَأَقَالَهُ



[١٠: ١] [دُعاءُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للشفاء من الألم]

حدَّثني عليُّ بنُ عُمَرَ بنِ أحمدَ الحافِظُ[١] مِن حِفظِهِ، **قال:** حدَّثنا أبو بكرٍ النَّيسابُورِيُّ[٢]، **قال:** حدَّثنا يونسُ[٣] بنُ عَبدِ الأَعلى، **قال:** أخبرنا عبدُ اللهِ بنُ وَهبٍ، **أن مالِكًا** أخبرهُ **عن** يَزيدَ بنِ خُصَيفَةَ[٤]، **عَن** عَمرِو بنِ عَبدِ الله بنِ كَعبٍ السُّلَميِّ[٥]، **عَن** نافِعِ بنِ جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ[٦]، **عَن عُثمانَ بنِ أبي العاصِ الثَّقَفيِّ**[٧]،

(١) هو الحافظ أبو الحسن الدارقطني، انتهى إليه علمُ الأثر، والمعرفة بعلل الحديث، صنَّف كتاب «السنن»، و«المختلف والمؤتلف» وغيرهما، (ت: ٣٨٥هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٣/ ٤٨٧)، و«وفيات الأعيان» (٣/ ٢٩٧).

(٢) هو عبد الله بن محمَّد الفقيه، مولى أبان بن عثمان بن عفان، كان حافظًا متقنًا، موثقًا في روايته، قال الدارقطني: لم نر مثله في مشايخنا، لم نر أحفظ منه للأسانيد والمتون. (ت: ٣٢٤هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١١/ ٣٣٩)

(٣) كذا في جميع النسخ، وحُرِّفَت في المطبوع إلى: (أبو بِشرٍ).

(٤) هو يزيد بن خصيفة بن سعيد بن ثمامة، كان عابدًا ناسكًا، ثقةً، كثير الحديث، ثبتًا. ينظر: «الطّبقات الكبرى» (٧/ ٤٨٦).

(٥) هو عمرو بن عبد الله بن كعب السلمي بن مالك الأنصاري، عداده في أهل المدينة، قال النسائي: ثقة. ينظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٦/ ٣٤٦)، و«تهذيب الكمال» (٢٢/ ١١٤).

(٦) هو نافع بن جبير بن مطعم بن عدي، مدني ثقة، كان من فصحاء قريش، روى له الجماعة، (ت: ٩٩ هـ). ينظر: «تاريخ دمشق» (٦١/ ٤٠١)، و«تهذيب الكمال» (٢٩/ ٢٧٤).

(٧) هو أبو عبد الله، عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي، أسلم في وفد ثقيف، استعمله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الطائف، وأقرّه أبو بكر ثم عمر، (ت: ٥٠، أو: ٥١هـ). ينظر: «البداية والنهاية» (١١/ ٢١٨)، و«الإصابة» (٤/ ٣٧٣).

قال: شكوتُ إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا بي قد كادَ يُبطِلُني، فقال لي: «**يا عُثمانُ، ضَع يَدَكَ عَلَيهِ، وَقُل: بسمِ الله، أَعوذُ بِعِزَّةِ الله وَقُدرَتِهِ مِن شَرِّ هذا الوَجَعِ، وَشَرِّ ما أَجِدُ. سَبعَ مَرّاتٍ**»، قال: فَقُلتُه، فَشَفاني اللهُ[1]. هذا أو نحوُه[2].

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٤٢) بلفظ: «**امْسَحْهُ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ**»، وأخرجه مسلم (٢٢٠٢) من طريق ابن وهب عن ابن شهاب، بلفظ: «**ضَعْ يَدَكَ على الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ**: «باسمِ الله» ثلاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ».

(٢) (هذا أو نحوه) ليست في (ف)، وهذا الحديث ليس في (ض، ل).

[١٠: ٢] [الشاعرُ أبو عَزَّةَ الجُمَحيُّ يُشفَى من البَرَصِ]

حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ أحمدَ الورَّاقُ، **قال**: حدَّثنا أحمدُ بنُ سُلَيمانَ الطُّوسيُّ، **قال**: حدَّثنا الزُّبَيرُ بنُ بكَّارٍ، **قال**: حدَّثني محمَّدُ بنُ الضَّحَّاكِ[١]، **عن** أَبيه[٢]، ومحمَّدُ بنِ سَلَّامٍ[٣]، **عن ابنِ جُعْدُبَة**[٤]، **قال**:

بَرِصَ أبو عَزَّةَ الجُمَحيُّ الشّاعِرُ[٥]، فكانَت قُرَيشٌ لا تُؤاكِلُه، ولا تُجالِسُه، **فقال**: الموتُ خيرٌ من هذا. وأَخَذَ حَديدَةً، ودخلَ بعضَ شِعابِ مَكَّةَ، فطَعَنَ

---

(١) هو محمَّد بن الضَّحاك بن عثمان بن الضَّحاك الحِزامي، من أهل المدينة، يروي عن أبيه، ومالك، وروى عنه إبراهيمُ بنُ المنذِر الحزامي، ويعقوبُ بن حميد، وأهلُ المدينة. ينظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٧/ ٢٩٠)، و«الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة» (٨/ ٣٤٧).

(٢) هو الضَّحاك بن عثمان بن الضَّحاك بن عثمان الحِزامي الأصغر، من ولد خالد بن حِزام، كان علَّامةَ قريشٍ بالمدينة بأشعار العرب وأيَّامها؛ يروي عن الإمام مالك بن أنسٍ وكان من كبار أصحابه، وعن جدِّه الضحَّاك، وروى عنه ابنُه محمَّد، وقرَّةُ بنُ حبيب البصري، (ت: ١٨٠هـ). ينظر: «نسب قريش» (ص: ٢٣٤)، و«تهذيب الكمال» (١٣/ ٢٧٥).

(٣) من أول السند إلى هنا ليس في (ض، ل).

(٤) في (ل، غ): (أبي جعدية)، وفي (ن): (أبي جعدبة)، وفي (ف): (أبي جعدة)، وكلُّه تصحيف، والصواب المثبت من (ر، ح)، وهو يزيدُ بنُ عياض بن جُعدُبَةَ الليثيُّ المدنيُّ، أبو الحكم، انتقل إلى البصرةِ ومات بها فِي زمن المهدي، قال البخاريُّ ومسلمٌ: منكرُ الحديث، وروى **له**: الترمذيُّ، وابنُ ماجه، قال الترمذيُّ (٦٤٥): «ضعيفٌ عندَ أهلِ الحديثِ». ينظر: «طبقات فحول الشعراء» (١/ ٢٥٦)، و«تهذيب الكمال» (٣٢/ ٢١١).

(٥) هو عمرو بن عبد الله بن عُمَيرٍ الجُمَحي، كان شاعرًا يُحَرِّضُ بشعرِه على قتال المسلمين، =

بها في مَعَدِّهِ، -والمَعَدُّ: مَوضِع عَقِبَي الرّاكِبِ من الدّابَّة[1]- قال **ابن جُعْدُبة**: فمارت[2] الحديدةُ. وقال **ابن الضحّاك**[3]: بين الجلدِ والصِّفَاقِ[4]، فَسالَ مِنهُ ماءٌ أصفرُ، وَبَرِئ، **فقال**: [من مشطور الرجز]

اللّهمَّ[5] ربَّ وَائِــلٍ ونَهْدِ

والتَّهَمَاتِ[6] والجِبَالِ الجُرْدِ

قال مؤلِّفُ هذا الكتاب: كذا في كتابِ الطوسيِّ[7]، والصوابُ عندي «لاهمَّ»:

وَرَبَّ مَنْ يَرْعَى بَياضَ[8] نَجْدِ

= أسره النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدرٍ، ثم مَنَّ عليه بعد أن أعطاه مَوثِقًا أن لا يقاتلَه، فلمّا كان يوم أُحدٍ أغراه صفوانُ بنُ أميَّة فخرج مع قريش، فأُسِرَ، فأمر النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتله. ينظر: «مغازي الواقدي» (١/ ١١١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٢٦٠).

(١) وقال اللحياني: المَعَدُّ الجَنْبُ. ينظر: «لسان العرب» (م ع د: ٣/ ٤٠٦).

(٢) في (ش، ح): (فمرت).

(٣) قوله: (قال ابن جُعْدُبة: فمارت الحديدةُ وقال ابن الضحاك)، وفي (ض، ل، غ): (قال: فصارت الحديدة)، والمثبت من النسخ الأخرى، وموافق للمصادر، ولكن عندهم (الضحاك) بدل (ابن الضحاك).

(٤) **مَارَ الشَّيءُ**: تحرَّكَ بسرعةٍ. **والصِّفاق**: الجلدُ الأسفلُ الذي تحتَ الجلدِ الذي عليه الشعرُ. ينظر: «لسان العرب» (ص ف ق: ١٠/ ٢٠٣)، و«المصباح المنير» (م و ر).

(٥) في (غ، ش، ح): (لا همَّ)، وفي هامش (غ): (بمعنى اللَّهمَّ).

(٦) في (ض): (والمَهْمَهاتِ). **والتَّهَمَات**: جمع تَهَمَة، وهي الأرضُ المتصوِّبة إلى البَحْرِ. ينظر: «لسان العرب» (ت هـ م: ١٢/ ٧٢).

(٧) في (ج) زيادة: (اللَّهمَّ).

(٨) في (ض): (رياض).

أَصْبَحْتُ عَبْدًا لَكَ وَابْنَ عَبْدِ
أَبْرَأْتَنِيْ مِنْ وَضَحٍ بِجِلْدِي
مِنْ بَعْدِ ما طَعَنْتُ في مَعَدِّي(١)

(١) ينظر: «طبقات فحول الشعراء» لابن سلَّام (١/ ٢٥٦)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٣/ ٢٢٤)، و«المنتظم» (٣/ ١٧٤).

[١٠: ٣] [لبيبُ العابدُ لجأ إلى اللَّه فعافاه اللَّهُ من مرضٍ مُزمِنٍ]

حدَّثنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ يوسُفَ بنِ يَعقوب بنِ إسحاقَ بنِ البُهلولِ التنوخيُّ، قال:

كنَّا نَنزِلُ بِبابِ الشَّامِ(١) من الجانِب الغربيِّ من بَغدادَ بالقُربِ من رجلٍ(٢) مَشهورٍ بالزهدِ والعِبادَة، يُقال له: لَبيبٌ العابِدُ(٣)، لا يُعرَفُ إلا بهذا، وكانَ النَّاسُ يَنْتابُونَه(٤)، وكانَ صديقًا لأبي.

فحَدَّثني لَبيبٌ قال: كنتُ مملوكًا رُوميًّا لبعض الجُندِ، فربَّاني وعَلَّمَني العَمَلَ بالسِّلاحِ، فصِرتُ رَجُلًا، ومات مولايَ بعد أن أعتقَني.

فتوصَّلت إلى أن جعلتُ(٥) رزقَه لي، وَتَزَوَّجت بسيدتي(٦) امرأةِ مولايَ، وقد عَلِمَ الله تعالى أنِّي لم أُرِدْ بذلك إلَّا صِيانَتَها، فأقمتُ مَعها مُدَّة. [ر/١٢٩]

(١) محلَّة كانت بالجانب الغربيِّ من بغداد. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٠٨).

(٢) في (ر) (كان ينزل... رجلٌ).

(٣) هو أبو علي، لبيب بن عبد الله الرومي العابد الزاهد الورع، يقصدُ للتَّبرك، وله كلامٌ حسن، (ت: ٣١٢هـ). ينظر: «طبقات الأولياء» (ص: ٣٦٨).

(٤) أي: يقصدونه، ويأتونه مرَّةً بعدَ مرَّة. ينظر: «لسان العرب» (ن وب: ١/ ٧٧٥).

(٥) (جعلت) في (ف): (صار).

(٦) في (ر، ف): (بسِتِّي)، وهي عامِّية.

ثمَّ اتَّفقَ أنِّي رَأَيتُ يَوْمًا حَيَّةً داخِلَةً إلى جُحْرِها، فَأَمسَكت ذَنَبَها لأقتلَها، فانْثَنَتْ عَلَيَّ فنَهَشَتْ يَدِي فشَلَّتْ، ومَضَى على هذا زمانٌ طَويلٌ، فشَلَّتْ يَدِي الأُخرَى لغيرِ سَبَبٍ أعرِفُهُ، ثمَّ شَلَّتْ رجلايَ، ثمَّ عَمِيتُ، ثمَّ خَرِستُ.

فمكثتُ على هذا الحالِ مُلْقًى سنةً كامِلَةً، لم تَبْقَ لي جارِحةٌ صَحيحَةٌ إلَّا سَمعِي، أسمعُ بِهِ قليلًا[1]، وأنا طريحٌ على ظهري، لا أقدرُ على كلامٍ ولا إيماءٍ ولا حركةٍ؛ أُسْقَى وأنا رَيَّانُ، وأُتْرَكُ وأنا عطشانُ، وأُطعَمُ وأنا شبعان، وأُمنَعُ وأنا جائِع.

فلمَّا كانَ بعد سنةٍ[2]، **دَخَلَتِ امـرَأَةٌ على زوجَتي، فقالت:** كيفَ أبو عليٍّ، لَبيبُ؟

فقالت لها زوجَتي: لا هوَ حَيٌّ فيُرجَى، ولا ميتٌ فيُسْلَى[3].

فأقلقني ذلك، وآلَمَ قلبي ألمًا شديدًا، فبكيتُ، وضَجَجْتُ[4] إلى الله تعالى في سِرِّي بالدعاء.

وكنت في جَميع تِلكَ العِلَلِ لا أَجِدُ ألمًا في نفسي، فلمَّا كانَ في بَقيَّةِ ذلك اليَومِ، ضَرَبَ عليَّ جَسَدِي ضَرْبًا شديدًا[5] كاد يُتلِفُني، ولم أَزَلْ على ذلك إلى أن دَخَلَ اللَّيلُ وانتصفَ، فَسَكَنَ الأَلَمُ قليلًا، فَنِمتُ.

---

(١) (قليلًا) في (ر، ف، ن): (ما أكره).

(٢) (بعد سنة) في (ض): (ذات يوم).

(٣) في «نشوار المحاضرة» (٢/ ٢٨٨): (فينسى).

(٤) في (ف): (ورغبت).

(٥) في (ر) زيادة: (حتى).

فما أحسَستُ إلَّا وقد انتبَهت وقت السَّحَرِ وإحدَى يَدَيَّ على صَدْرِي، فعجبتُ في نفسي من ذلك وقلتُ: كيف صارت يدي على صدري، وقد كانَت طول هذه السَّنةِ مطروحةً على الفراش لا تَنْشالُ أو تُشال(1).

ثمَّ وَقَعَ في قلبي أن أتعاطى تحريكَها، فحرَّكتُها فتحرَّكَتْ، فَفرِحتُ فَرَحًا شَديدًا، وَقَوِي طَمَعي في فَضْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في العافية، فحرَّكتُ الأُخرَى فتحرَّكَتْ، فقبضتُ إحدَى رجليَّ فانقبضَت، فرَدَدْتُها فَرَجَعَت، وفعلتُ مثلَ ذلك بالأخرى، فرُمْتُ الانقلابَ من غير أن يَقلِبَني أحدٌ -كما كانَ يُفعَلُ بي- فانقَلَبتُ بنفسي، فجَلَستُ ورُمتُ القيامَ فأمكنني، فَقُمت ونزلتُ عن السريرِ الَّذي كنتُ مطروحًا عليه، وكان في بيتٍ من الدَّار، فمشيتُ أتلَمَّسُ الحائِطَ في الظُّلمَة؛ لأَنَّهُ لم يكن هُناكَ سراجٌ إلى أن وَقَعَتْ يدي على البابِ، وأنا لا أطمعُ في بَصَرِي، فخَرَجتُ من البَيت إلى صحن الدَّار، فرأيتُ السَّماءَ والكَواكِبَ تُزهِرُ، فكدتُ أموت فَرحًا. [ض/ ١٨٤]

وانطَلَق لساني بأن قلتُ: **يا قديمَ الإحسانِ، لك الحمدُ.**

ثمَّ صِحتُ بِزَوجَتي، **فقالت:** مَن أنت، أبو عليٍّ؟ **فقلت:** السّاعةَ صرتُ أبا عليٍّ، أَسْرِجي السراجَ. ففَعَلَتْ.

فقلتُ: ائْتِينِي بمقراضٍ. فأَتَتْ(2) به، فقَصَصْتُ شارِبًا كانَ لي على زِيِّ الجُندِ.

---

(١) يقال: **شُلْتُ** بالجرَّةِ؛ أي: رَفَعْتُهَا، وأَشَلْتُ الجَرَّةَ فانْشَالَتْ هي. ينظر: «مختار الصحاح» (ش و ل).

(٢) في (ل، ر): (جيئي بمقراض فجاءَت).

فقالت لي زوجَتي: ما تصنع! السّاعَةَ يَعِيبُكَ رفقاؤك.

فقلتُ: بعد هذا لا أَخدُم أحدًا غيرَ رَبِّي.

فانقَطَعتُ إلى الله تعالى، وخرجتُ من الدَّارِ، وطلَّقتُ الزَّوجَةَ، ولَزِمتُ العبادةَ[1].

قال أبو الحسن: خَبَرُ لبيبٍ هذا مُسْتَفِيضٌ[2] مَشهورٌ، وكانَتْ هذه الكلمةُ: «**يا قديمَ الإحسانِ لكَ الحمدُ**» قد صارَت عادَتَه، يقولها في حشوِ كلامِه. وكانَ يقال: إنَّه مُجابُ الدَّعوَة.

فقلت له: إنَّ النَّاس يَقُولونَ إنَّك رأيتَ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم، فَمَسَحَ يده عليكَ، فَبَرِئتَ.

فقال: ما كانَ لعافيتي سَبَبٌ إلَّا ما عرَّفتُك[3].

(١) (العبادة) في (ل، ر): (رَبِّي).

(٢) (مستفيض) ليست في (ض، ل).

(٣) وردت القصة أيضًا في «نشوار المحاضرة» (٢/ ٢٨٧)، ونقلها عن التنوخي ابن قدامة في «التوابين» (ص: ١٦٥)، و«طبقات الأولياء» (ص: ٣٦٩).

[١٠: ٤] [الرازيُّ يكشِفُ عِلَّةَ مريضٍ ينفُثُ الدَّمَ]

حدَّثَني محمَّدُ بنُ عليٍّ بنِ الخَلَّالِ البَصريُّ، أبو الحسين(١)، أحدُ أُمَناءِ القُضاةِ(٢)، **قال**: حدَّثني بعضُ أهل الطِّبّ الثِّقات: أنَّ عاملًا(٣) من بغدادَ كان قد قَدِمَ الرَّيَّ وهو يَنفُثُ الدَّمَ، وكانَ لَحِقَه ذلك في طَرِيقِه.

فاستدعى أَبا بكرٍ الرَّازيَّ الطَّبيبَ المشهورَ بالحِذْقِ، صاحب الكتب المصنَّفة(٤)، فأراه ما ينفثُ، ووَصَفَ له ما يَجِدُ، فأَخَذَ الرَّازِيُّ مَجَسَّهُ(٥)، ورَأى قارورَتَه(٦)، واستوصَفَ حالَه مُنذُ ابتِداءِ ذلك به، فما قامَ له دليلٌ على سِلٍّ ولا قَرْحَةٍ، ولم يَعرِف العلَّةَ، فاستنظَرَ الرجلَ ليُفَكِّرَ(٧) في الأَمرِ.

فقامَتْ على العليل القيامةُ، **وقال**: هذا إياسٌ لي من الحياة؛ لحِذْقِ الطَّبيب، وجَهْلِه بالعِلَّةِ، فازدادَ ما به من الألم.

---

(١) في (ر): (الحسن). ينظر: «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٣٦)، و«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص: ٤١٧).

(٢) في (ن، ف) (القاضي). وصُحِّفَت (أمناء) في المطبوع إلى (أَبناء).

(٣) في (ض، ر، ل): (غُلامًا)، والمثبت من (ن، ص)، وموافق لسياق القصة.

(٤) هو أبو بكر محمَّد بن زكريا الرازيُّ، يقال: إنَّه لما شرع في تعلُّم الطبِّ كان قد جاوز أربعين سنة، فصار إمامَ وقته فيه، دبَّر مارستان الرَّي ثم مارستان بغداد في أيام المكتفي، (ت: ٣١١هـ). ينظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص: ٤١٧)، و«وفيات الأعيان» (٥/ ١٥٩).

(٥) **المَجَسُّ، والمَجَسَّةُ**: الموضِعُ الذي يَجُسُّهُ الطَّبِيبُ. ينظر: «لسان العرب» (ج س س: ٦/ ٣٨).

(٦) أي: بولَه. ينظر: «حياة الحيوان الكبرى» (١/ ٣٤٧).

(٧) في (ل): (لينظر).

ووَلَّدَ الفِكرُ للرازيِّ أن عادَ إليهِ فسَأَلَه عن المياه التي شَرِبَها في طَرِيقِه، فأَخبَرَهُ أنَّه قد شَرِبَ من مُسْتَنْقَعاتٍ وصَهارِيجَ[1].

فقامَ في نَفسِ الرَّازيِّ بحِدَّةِ الخاطِرِ وجُودَةِ الذكاءِ، أنَّ عَلَقَةً كانَت في الماءِ وقد حَصَلَتْ في مَعِدَتِه، وأنَّ ذلكَ النفثَ للدَّمِ من فِعْلها.

فقال له: إذا كانَ في غدٍ[2] جئتُك فعالجتك ولم أنصَرِفْ أو تَبْرأ إن شاء الله تعالى، ولكن بشرطِ أن تأمُرَ غلمانَكَ أن يُطِيعوني فيكَ بما آمُرُهُم به. **فقال**: نعم.

وانصَرف الرَّازيُّ، فتقدَّم فجمعَ له كُوزَين[3] كبيرين من طُحْلُب، فأحضَرَهما من الغَد معه، فأراهُ إيَّاهُما وقال له: ابْلَعْ جميعَ ما في هَذَينِ الكوزين[4]، فَبَلع الرجلُ منه شيئًا يسيرًا، ثمَّ وقفَ، **فقال له**: ابْلَعْ. **قال**: لا أستَطِيع.

فقال الرازيُّ للغلمان: خُذُوه، فأَنِيمُوه. فَفَعَلوا به ذلك، وطَرَحُوه على قفاه، وفتحوا فاه، وأقبلَ الرازيُّ يَدُسُّ[5] الطُّحلُب في حَلْقِه، ويَكبِسُه كَبْسًا شَديدًا، ويُطالِبُه ببَلْعِه شاءَ أم أَبَى، ويتهدَّدُه بالضَّربِ إلى أن أَبْلَعَه كارِهًا أَحَدَ الكوزَين[6] بأَسْرِه، والرَّجُلُ يستغيثُ فلا يَنفَعُهُ مع الرّازيِّ شيءٌ.

---

(١) **الصهاريج**: جمع صِهْريج؛ وهو حوضٌ يجتمع فيه الماء. ينظر: «مختار الصحاح» (ص هـ رج).

(٢) (في غد) في (ف): (غَدا).

(٣) (كوزين) في (ر، ف، ن): (ملءَ مِرْكَنَين). **والكوز**: الكوب الذي له عروة، فإذا كان بلا عروة فهو كوب. ينظر: «لسان العرب» (ك و ز: ٥/ ٤٠٣). **المِرْكَنُ**: الإِجَّانة، وهي إناءٌ تغسل فيها الثياب. ينظر: «مختار الصحاح» (ر ك ن).

(٤) (الكوزين) في (ر): (المركنين).

(٥) كذا في جميع النسخ، وصُحِّفَتْ في المطبوع إلى: (يُدير).

(٦) (الكوزين) في (ر): (المِركنين).

إلى أن قال العليلُ: السّاعَةَ أقذِفُ. فزاد الرّازيُّ[1] فيما يَكبِسُه في حَلْقِه، فذَرَعَه القَيءُ فقَذَفَ، فتَأمَّل الرّازيُّ قَذْفَه، فإذا فيهِ عَلَقَةٌ، وإذا هي[2] لمَّا وصل إليها الطُّحلُب، قَرِمَتْ إلَيهِ[3] بالطبع، فترَكَتْ مَوضِعَها والتَفَّتْ على الطُّحلُب، فلمَّا قَذَفَ العليلُ خَرَجَتْ مع الطحلبِ، فنهض العليلُ معافى[4].

(١) (شيء، إلى أن قال العليل: السّاعَة أقذف، فَزاد الرّازي) ليست في (ر).

(٢) (وإذا هي) في (ص): (وذلك أنه).

(٣) أي: اشتهته. **والقَرَمُ في الأصل**: شِدَّةُ الشَّهوة إلى اللَّحمِ، ثم كَثُرَ حتَّى قالوا: قَرِمتُ إلى لقائك. ينظر: «لسان العرب» (ق ر م: ١٢/ ٤٧٣).

(٤) ينظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص: ٤١٧)، و«وفيات الأعيان» (٥/ ١٥٨)، و«قلادة النحر» (٣/ ٣٣). كلُّهم نقلوها عن التنوخي.

[١٠: ٥] [رجلٌ يُصاب بوجعٍ شديدٍ في مَعِدَتِه فشافاه اللَّهُ وفرَّجَ عنه على يدِ طبيبٍ حاذقٍ]

حدَّثني الحسن[١] بن مُحَمَّد السطوي[٢]، غُلامٌ كانَ يَخدُمُ أبي، **قال**: حدَّثني أبو[٣] الحسن عليُّ بنُ الحسن الصَّيْدلانيُّ النبات آذري[٤]، خَليفَةُ القاضي أبي القاسِمِ عليِّ بنِ محمَّدٍ التنوخيِّ على القَضاءِ بنبات آذر[٥] **قال**:

كانَ عندنا غلامٌ بسوقِ الأربَعاء[٦]، حَدَثٌ من أولادِ التُّنَّاء[٧]، فلَحِقَه وجعٌ في مَعِدَته شَديدٌ، بلا سَبَبٍ يَعرِفُهُ، وكانَ يَضرِبُ عليهِ أكثرَ الأوقاتِ ضَرَبانًا[٨]

(١) في (ل، ر): (الحسين).

(٢) في (ل، ر): (الشطوي)، وفي (ف): (السطوسي).

(٣) قوله: (حدَّثني الحسن بن مُحَمَّد... أبو) في (ش، ج): (عن أبي).

(٤) كذا في معظم النسخ هنا وفي الموضع الثاني، وفي بعضها: (البنات آذري)، ولم أجد لها ذِكرًا في كتب البلدان، وذكر في «تجارب الأمم» أنَّ أبا عبد الله البريدي انتقل من الباسيان إلى **بناتاذر**، وأيضًا لم أجدها في كتب البلدان؛ ولعل ذلك تصحيفٌ لـ(**باذَوَرْد**)، وهي مدينةٌ كانت قربَ واسطٍ بينها وبين البصرة. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٣١٨). والله أعلم.

(٥) قوله: (غُلامٌ كان... آذر) ليس في (ض، ل)، وقوله: (النبات آذري... آذر) ليس في (ش، ج).

(٦) (غلام بسوق الأربعاء) في (ر): (بسوق الأربعاء من نبات آذر غُلام). **وسوق الأربعاء**: بلدة من نواحي الأهواز، على شاطئ نهر تستر. ينظر: «حدود العالم من المشرق إلى المغرب» (ص: ١٤٩)، و«معجم البلدان» (٣/ ٢٨٣).

(٧) يقال: هو من تُنَّاء تلك البلدة: إذا كان أصلُه منها. ينظر: «أساس البلاغة» (١/ ٩٨).

(٨) في (ر): (ضربا).

عظيمًا حتَّى كادَ يَتلَفُ، وقلَّ أكلُه، ونَحَلَ جِسمُه، فحُمِلَ إلى الأهواز، وعُولِجَ بِكُلِّ شَيءٍ فَلَمْ يَنْجَعْ فيهِ، ورَدُّوه إلى بَيته وقد يُئِسَ مِنهُ.

فاجتاز بنا بعضُ الأساة، فعَرَّفْنا[1] حالَه والدَ العليلِ، فاستدعاه، وَأراهُ ابنَه، **فَقال للعليل**[2]: اقعُدْ واشْرَحْ لي حالَك مُنذُ الصِّحَّةِ إلى الآن. فشَرَحَها. وطاوله في الحديث إلى أن **قال العليلُ**: إنِّي دخلتُ بُسْتانًا لنا وكانَ في بيت البقر مِنهُ رمَّانٌ كثيرٌ قد جُمِعَ للبيع، فأكلتُ منهُ عدَّة رمَّانات.

فقال له: كيفَ كنتَ تأكُله؟

قال: كنت أَعَضُّ رَأسَ الرمَّانَةِ بفَمِي وأَرْمِي به، وأَكْسِرُها وأقطعُها على قطعٍ وأمتصُّها.

فقال له الطَّبيب: في غَدٍ أُعالجك فتبْرَأُ بإذن الله تعالى. وخَرَجَ.

فلمَّا كانَ من الغَدِ جاءَهُ بِقِدْرِ إسْفِيذَباج[3]، قد طَبَخَها بِلَحمِ جَرْوٍ سمينٍ، **فقال للعليل**: كُلْ هذا.

فقال العليل: ما هو؟ **قال**: إذا أَكَلتَه عرَّفتُك.

---

(١) في (ل، ر): (فعرف).

(٢) قوله: (فاجتاز بنا... للعليل) في (ك): (فاستدعى والدُه طبيبًا حاذقًا، وأراهُ ولده، فَقال له الطَّبيب).

(٣) **الإسفيذباج**: نوعٌ من الطعام مكوَّنٌ من اللحم المعرَّق بالألية مع الحِمّص، والبصلِ، والكمُّون، والكسفرة، ومستحلَب اللوز. ينظر: «كتاب الطبيخ» لابن الكريم البغدادي (ص: ٣٢).

قال: فأكلَ العليلُ، **فقال له**: امْتَلِئْ من الطَّعام. فَفَعَل، ثمَّ أطعمهُ بطِّيخًا كثيرًا، ثمَّ تَرَكَه ساعَتين، وسقاه فُقَّاعًا قد خُلِطَ بِماءٍ حارٍّ وشِبتٍّ[(١)].

ثمَّ قال له: أَتَدري أيَّ شَيءٍ أكلتَ؟ **قال**: لا.

قال: لحمَ كلبٍ. فحين سمع الغُلام ذلك اندفَعَ فقَذَفَ جَميعَ ما في بَطنِه.

فأمر الطَّبيبُ بِعَينيهِ ورَأسِه أن يُمسَكا، وأَقبَلَ يتأمَّل القَذفَ، إلى أن طَرَحَ الغُلامُ شيئًا أسودَ كالنَّواةِ الكَبيرَة، يَتَحَرَّك.

فأخذه الآسِي، **وقال له**: ارفَعْ رأسكَ، فقد بَرِئتَ وفرَّج الله تعالى عنك.

فرفع الغُلامُ رَأسَه، وانقطع القيء[(٢)]، وسقاه الطَّبيبُ شيئًا يقطعُ الغثيانَ، وصَبَّ على وَجهِهِ ماءَ وَردٍ، وَسَكَّنَ نَفسَه، ثمَّ أَخَذَ ذلك الشَّيءَ الَّذي يُشبِهُ النواةَ، وأَرَاهُ إيَّاه، فإذا هو قُرَادٌ[(٣)]. [ر/١٣٠]

فقال: حَدَسْتُ[(٤)] أنَّ الموضِعَ الَّذي كانَ فيهِ الرُّمّانُ كانَ فيهِ قِرْدانٌ من البَقر، وَأنَّه حَصَلَتْ مِنهُنَّ واحِدَةٌ في رَأس إحدَى الرمَّانات التي اقتلعت رؤوسها بِفِيكَ، فَنَزَل القُرَاد إلى حَلْقِك، وعَلِقَ بمعدَتِك يَمتَصُّها.

---

(١) في (ف، ن، ك) (وشبث). **والفُقَّاعُ**: شرابٌ يُتَّخَذُ من الشَّعيرِ، سُمِّيَ به لما يَعْلُوهُ من الزَّبَدِ. والشِبِتُّ، والشبثُّ، والسِبِتُّ: نبتٌ معروف، وهو معرب «شِوِذّ». ينظر: «لسان العرب» (ف ق ع: ٨/ ٢٥٦)، و(ش ب ت)، و(ش ب ث)، و«تاج العروس» (ش ب ت: ٥/ ٢٧٣).

(٢) (القيء) في (ر): (القَذف).

(٣) **القُرَاد**: دُوَيبَّةٌ تَعَضُّ الإبلَ وغيرها من الحيوانات، تقشر الجلدَ وتمصُّ الدمَ، وجمعها: قِردان. ينظر: «لسان العرب» (ق ر د: ٣/ ١٤٩، ٣٤٨).

(٤) (حدست) في (ر): (إنّي زَكِنْتُ). وكلاهما بمعنى الظنِّ والتخمين. ينظر: «مختار الصحاح» (ح د س)، و«لسان العرب» (ز ك ن: ١٣/ ١٩٨).

وعلمتُ أنَّ القُرَاد يَمِيلُ إلى لحم الكَلب، فأَطْعَمتُك إيَّاه، وقلتُ: إن صَحَّ ظَنِّي فسَيَتَعَلَّقُ القُرَاد بِلَحم الكَلبِ تَعَلُّقًا يخرُجُ معه إن قذفتَ، فتبرأ، وإن لم يكن ما ظَنَنتُ صحيحًا فما يَضُرُّكَ أكلُ لحم الكَلبِ وتَعُودُ تَقذِفُه[1]، فلمَّا أحبَّ الله تعالى من عافيتك صَحَّ ما حَدَسْتُه[2]، فلا تُعاوِدْ بعدها إدخالَ شَيءٍ في فَمِكَ لا ترى ما فيهِ.

قال: فبَرِيَء الغُلامُ مِن وَقتِه، وطابت نفسُه[3]، وصَحَّ جِسمُه[4].

---

(١) (وتعود تقذفه) ليست في (ر).

(٢) في (ض): (رأيته)، وفي (ر): (زكنته).

(٣) (من وقته، وطابت نفسه) ليست في (ر).

(٤) ينظر: «الأذكياء» لابن الجوزي (ص: ١٦٩).

[١٠: ٦] [شُجَّ رأسُه فمَرِضَ ثمَّ شُجَّ بعدها فعافاه اللَّهُ تعالى]

حدَّثني أبو عبد الله الحُسَينُ بنُ محمَّدِ بنِ عبيد الدقاقُ(١)، المعروفُ بابنِ العسكريِّ، شيخٌ محدِّثٌ ثِقَةٌ، كانَ ينزل في درب الشاكريَّة من نهر المُعَلَّى، في الجانِب الشَّرقيِّ من بَغداد(٢)، في المذاكرة، **قال**: كانَ أبي(٣) إذا جلسَ يُفَتِّشُ دفاتِرَه -وأنا صبيٌّ- آخُذُ منها الشَّيءَ بعدَ الشَّيءِ أَسْتَحسِنُه، فألعبُ به.

وكنت أرى في دفاتره دفترًا فيهِ خطوطٌ حمرٌ، فأستحسنه وأطلُبُه، فيمنعني من أَخذِه(٤)، حتَّى بلغتُ مبلغَ الرِّجال.

قال: فَجَلَسَ يومًا يُفتِّشُ الدفاترَ، فأَغْفَلْتُه وأَخَذتُه، وفَتَحتُه(٥).

فالتَفتَ أبي فَرَأى الدفترَ في يدي، فصاح عليَّ وأَخَذَه منِّي، ونظر إلى أيِّ مَوضِعٍ بلغتُ فرآه، فأخذ يُضَعِّفُ ذلك في نفسي لئلَّا أغتمَّ.

---

(١) (عبيد الدقاقُ) في (ض، ل، غ): (عبد الرزاق)، وفي (ر، ط، ح، ن): (عبيد الله الدقاق)، وفي (ج، س، ش): (عبد الله الدقاق) وكلُّه تصحيف، والصواب المثبت من (ف) والمصادر.

(٢) هو أبو عبد الله الحسين بن محمَّد بن عبيد بن أحمد بن مخلد العسكري البغدادي الدقاق، كان ثقةً أمينًا، (ت: ٣٧٥هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٨/ ٦٦٩)، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣١٧).

(٣) هو أبو الحسين محمَّد بن عبيد بن أحمد بن مخلد بن أبان الدقاق، كان ثقةً، ويشهد عند القضاة، (ت: ٣٢٦هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٦٤٥).

(٤) (مِن أخذه) في (ر): (مِنهُ).

(٥) (الدفاتر... وفتحته) في (ر): (كتبه، فَرَأَيت الدفترَ، فاغتفلت أبي وأخذته ففتحته أقرؤه).

ومَضَتْ السنونَ، فلمَّا بلغتُ أربعًا وثلاثين رَكِبتُ مُهْرًا كان لي، وخرجتُ من دار الضَّرب، وأبي فيها، وكانَ إليه العيارُ، فبلغتُ إلى ساباطٍ[1] في درب الدَّيزَج[2]، فنَفَرَ المُهر من كلبٍ كانَ في الطَّريق رابِضًا، فَضَرَبَ رأسي خشبٌ[3] كانَ في الساباط، فوَقَعت عَن المُهرِ مَغْشِيًّا عليَّ.

ثمَّ حُمِلتُ إلى دار الضَّرب، فأحضر إليَّ طَبيبٌ، وَقد انتفخ مَوضِعٌ من رأسي انتفاخًا عظيمًا، فَأَشارَ الطبيب[4] بفَصْدي، ففُصِدتُ فلم يخرج لي دمٌ، فحُملتُ إلى بيتنا، ولم أَشكَّ في أنِّي ميتٌ لشدَّة ما لَحِقَني، فاعتللتُ مدَّةً.

فَكنت يَومًا جالِسًا مُستَندًا على سَريرٍ، وقد أَيِستُ من نفسي، إذ غَلَبَتني[5] عيني، فخَفَقَ رَأسي فَضَرَبَ دَرَابزينَ السريرِ فانشجَّ الموضعُ المنتفِخُ، وخرجَ منهُ أَرطالُ دمٍ، فخفَّ ما بي في الحال، وصَلُحتُ، وبَرِئتُ، وعِشتُ إلى الآن.

وكانَ له يومَ حدَّثني بهذا الحَديث أربعٌ وثمانونَ سنةً وشهورٌ، على ما أخبرني.

---

(١) **السَّاباطُ**: سقيفةٌ بينَ حَائِطَيْنِ، وفي «المُحكَم»: بينَ دَارَينِ. وزاد غيرُهُ: من تحتها طَرِيقٌ نَافِذٌ. ينظر: «لسان العرب» (س ب ط: ٧/ ٣١١).

(٢) في (ض): (درب الدير)، **ودرب الدَّيزَج**: محلة ببغداد. ينظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ١١٥)، و«المنتظم» (١٥/ ٢٤١).

(٣) (خشب) في (ر، ف، ن): (جُرصُنٌ)، **والجُرصُنُ**: غير عربي، وقد اختلف فيه؛ فقيل: البرج. وقيل: مجرى ماءٍ يركَّب في الحائط. وعن البزدويِّ -من فقهاء الحنفية-: جذعٌ يخرجه الإنسانُ من الحائطِ ليبنيَ عليه. ينظر: «المغرب في ترتيب المعرب» (ص: ٨٠).

(٤) في (ر): (فأحضر طست... فأشاروا).

(٥) (غلبتني) في (ر): (حَملتني).

[١٠: ٧] [الطَّبيبُ القطيعيُّ يُعالِجُ مريضًا بالضرب]

حدَّثنا أبو الحسن عليُّ بنُ أبي[١] محمَّدٍ الحسنِ بنِ محمَّدٍ الصِّلْحِيِّ الكاتِب[٢]، **قال**: رَأَيتُ بِمصرَ طَبيبًا كان بها مشهورًا يعرف بالقطيعيِّ، وكانَ يُقال: إنَّه يكسِبُ في كلِّ شهرٍ ألفَ دِينارٍ من جراياتٍ يُجريها عليهِ قومٌ من رُؤَساء العَسكَر، ومن السُّلطان، وممَّا يَأخُذهُ من العامَّة.

قال: وكانَ له دارٌ قد جعلها شِبْهَ مارَسْتان[٣] من جُملَة داره، يأوي إليها ضعفاءُ العامَّة[٤]، يُعالجُهم ويقوم بأغذيتهم وأَدْوِيَتِهم وخِدمَتهم، ويُنفِقُ أكثرَ كَسبِه في ذلك.

قال أبو الحسن: فأُسْكِتَ بعضُ فتيانِ الرؤساء بِمصرَ[٥] -وأسماه لي وذهب عنِّي اسمُه- وكنتُ هناكَ، فَحُمِلَ إليهِ أهلُ الطِّبِّ وفيهمُ القَطِيعيُّ، فأجمعوا على مَوتِه إلَّا القطيعيَّ، وعَمِلَ أهلُه على غَسْلِه وتكفينه ودَفنِه.

---

(١) (أبي) ليس في (ض، ل)، وسقطت أيضًا من «نشوار المحاضرة» (٣/ ١٥٢).

(٢) أبو محمد الصلحي سبقت ترجمته (٢/ ٢٦٥)، وعليٌّ هذا هو ابنه.

(٣) (مارستان) في (ر): (بيمارستان). **المارَستان**: دار المرضى، وهو معربٌ، أصله كلمتان: بِيْمارِسْتان؛ بيمار: المريض، وأُستان: المأوى، ولما حصل التركيبُ أسقطوا الباء والياء عند التعريب. ينظر: «تاج العروس» (م ر س: ١٦/ ٥٠٠).

(٤) في (ر، ن، ف): (الأعلاء).

(٥) **أُسْكِتَ**: انقطعَ كلامُه فلم يتكلَّم، وأسكتت حركته: سكنت. ينظر: «لسان العرب» (س ك ت: ٢/ ٤٣).

فقال القطيعيُّ: دعوني أُعالِجُهُ، فإن برِئ كان من الله[1]، وإلَّا فَلَيسَ يَلْحَقُه أكثرُ من الموت الَّذي قد أجمع عليه هؤلاء.

فخلَّاهُ أهلُه معه، **فقال**؛ هاتوا غلامًا جَلْدًا ومَقَارِعَ[2]. فأُتِيَ بذلك.

فأمر بِهِ فَمُدِّدَ، وضَرَبَه الغلامُ عشرةَ مقارِعَ من أشدِّ الضَّربِ، ثمَّ مسَّ مَجَسَّه، وضَرَبَه عشرةً أُخرَى شَديدَةً، ثمَّ مسَّ مَجَسَّه فضَرَبَه عشرةً أُخرَى، ثمَّ مسَّ مجسَّه، **فقال لأهل الطبِّ**: أيكون للمَيِّت نبضٌ مُتَحَرِّكٌ[3]؟ **قالوا**: لا. **قال**: جُسُّوا نَبضَه. فجَسُّوه فأجمعوا على أنَّ له نبضًا، فضربه عشرةَ مقارعَ أخرى، **وقال**: جُسُّوه. **فقالوا**: قد زاد نَبضُه قوَّةً. فضربَه عشرين مقرعةً أُخرى، فتأوَّهَ وصاحَ[4]، فَقَطَع عنهُ الضَّربَ.

فجَلَسَ العليلُ يجسُّ بدَنَه ويتأوَّه، وقد ثابت قُوَّتُه إليهِ.

فقال له: ما تَجِد؟ **قال**: أنا جائِعٌ.

قال: أَطعِمُوه الساعةَ. فجاءوه بما أَكَلَ[5]، فرجعت قوَّتُه إليه، وقُمنا وقد بَرِئ.

---

(١) (كان من الله) ليست في (ض، ل، ف).

(٢) **المقارع**: جمع **مِقْرَعة**؛ وهي خشبةٌ تُضرَب بها البغالُ والحمير. ينظر: «تاج العروس» (ق رع: ٢١/ ٥٤٧).

(٣) (متحرك) ليست في (ض، ل)، وفي (ف): (ينفض وإن ضُرِب).

(٤) (قوة. فضربه... وصاح) في (ر): (فضربه عشرًا أخر فأنَّ، فضربه عشرًا أخر فتأوَّه، فضربه عشرًا أخر فصاح).

(٥) (أكل) في (ن): (يأكل).

فقال له أهل الطِّبّ: من أين لك هذا؟

قال: كنت مُسافِرًا في قافلةٍ فيها أعرابٌ يَخفِرُونا، فسقط منهم فارسٌ عن [ض/١٨٦] فَرَسِه فأُسْكِت، فَعَمَدَ شيخٌ مِنهُم إليه فَضَرَبهُ ضَرْبًا عَظيمًا، وما رَفَعَ عنهُ الضَّربَ حتَّى أَفاق، فَعَلِمتُ أنَّ الضَّربَ جلبَ إليه حرارةً أزالت سَكْتَتَه، فَقِستُ عليه أمرَ هذا العليلِ فوافق[1].

(١) (فوافق) ليست في (ر)، وقد أورد القصة في «نشوار المحاضرة» (٣/ ١٥٢).

[١٠: ٨] [مريضٌ بالاستسقاء يُشفَى لأَكلِه الجراد]

حدَّثني بعضُ المتطبِّبين بالبصرَةِ[١]، **قال**: حدَّثني أبو مَنصورِ بنِ مارمة[٢] كاتبُ أبي مقاتلٍ صالح بنِ مُدرِكٍ الكلابيِّ، أَميرِ دجلة[٣]، وكانَ أبو مَنصور من رُؤَساء أهل الصَّرَاة[٤] الَّذين يُضرَبُ المثلُ بنعمتهم وتَرَفُّهِهم، وكانَ ثِقَةً أديبًا، وَقد شاهدتُه أنا، ولم أسمع منهُ هذه الحِكايَة، **قال**: أخبرني بعضُ شُيوخنا[٥]، **قال**: كانَ بعضُ أهلنا قد اسْتَسْقَى[٦]، حتَّى أُيِسَ من حياته، فحمل إلى بغداد، فَشاوَرُوا الأطباءَ فيهِ فوَصَفوا له أدويةً كثارًا، فعرفوا أنَّه قد تناولها بأسرها فَلم تَنْجَعْ فيه.

فأَيِسُوا مِنهُ، وقالوا: لا حيلَة في بُرْئه. فسمع العليلُ ذلك، **فقال لمن كان معه**: دَعوني الآنَ أتزوَّدُ من الدُّنيا، وآكلُ ما أشتهي، ولا تقتلوني قبل أجلي بالحِمْيَةِ.

---

(١) قوله: (حدَّثني بعضُ المتطبِّبين بالبصرَةِ) ليس في (ض، ل).

(٢) في (ض): (مارية)، وفي (ف): (صارمة)، والمثبت من بقية النسخ، وهو موافق لما في «تاريخ الطبري» (١١/ ٢٣٧)، و«تاريخ بغداد» (٦/ ٦١٣)، وغيرهما من المصادر.

(٣) في المطبوع: (صالحِ بنِ مرداس الكلابيِّ أمير حلب)، وهو خطأ، فصالح بن مرداس استولى على حلب سنة (٤١٧هـ)، ومات سنة (٤٢٠هـ). ينظر: «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٧)، و«تاريخ الإسلام» (٤/ ٤١٣).

(٤) **الصَّراة**: نهرٌ يأخذ من نهر عيسى من عند بلدةٍ يقالُ لها: المحوّل، بينها وبين بغداد فرسخ، ويسقي ضياعَ بادوريا، ويتفرّع منه أنهار إلى أن يصل إلى بغداد ويصبُّ في دجلة. ينظر: «معجم البلدان» (٣/ ٣٩٩).

(٥) قوله: (كاتبُ أبي مقاتلٍ... بعضُ شُيوخنا) ليس في (ض، ل).

(٦) **الاستسقاء**: أن ينتفخ البطنُ وغيرُه من الأعضاء، ويدوم عطشُ صاحبِه، وهو ثلاثة أنواع: زقيٌّ وطبليٌّ ولحميّ. ينظر: «مفاتيح العلوم» (ص: ١٨٨)، و«فقه اللغة وسر العربية» (ص: ١٠١).

فقالوا: كُلْ ما تُريدُ.

قال: وكانَ يجلسُ على دكَّانٍ ببابِ الدّار، فمهما رآه يجتازُ[1] على الطَّريق، اشتراه فأكله، فَمَرَّ به رجلٌ يبيع جَرادًا مطبوخًا، فأجلسه، فاشترى منهُ عشرَة أَرطالٍ وأكلها بأَسْرها.

فلمَّا كانَ بعد ساعةٍ انحلَّ طَبعُه وتواتَرَ قِيامُه[2]، حتَّى قامَ في ثَلاثةِ أيّام أكثرَ من ثلاثِ مئَةِ مجلِسٍ، وضَعُفَ وكاد يَتلَفُ، وأُيِسَ منه.

ثمَّ انقَطعَ القيامُ وقد زالَ كلُّ ما كان في جَوفِه، وعادت بَطنُه إلى حالها في الصِّحَّة، وثابَتْ إليهِ قوَّتُه، وبرئ.

فخرج برجلَيه في اليوم الخامِس يتَصَرَّفُ في حَوائِجه، فَرَآهُ بعضُ الأطبَّاء الذين أَيِسُوا منه فعَجِبَ من أمره، وسَأَلَه عن الخَبَر فعرَّفَه.

فقال: ليسَ من شأنِ الجَرادِ أن يفعل هذا، ولكن لا بُدَّ أن يكون في هذا الجَرادِ الَّذي فعل هذا خاصِّيَّةٌ، فأُحِبُّ أن تَدُلَّني على الَّذي باعَكَ الجَرادَ. [ر/ ١٣١]

فما زالوا في طَلَبِه حتَّى اجتاز بالباب دَفعَةً ثانية، فآراه الطَّبيبَ، **فقال له**: ممَّن اشتريتَ هذا الجَرادَ؟ **فقال**: ما اشتريتُه، أنا أصيدُه، وأجمعُ منه شيئًا كثيرًا، وأَطبُخُه وأُجَفِّفُه بالشمس وأَبيعُه.

---

(١) (فمهما رآه يجتاز) في (ر): (فمهما كان يراه مما يجتاز به).

(٢) **التواتر**: التتابع، **والقيام**: الإسهال، بلغة مكة. وهو تعبير يستخدمه الأطبَّاء كثيرًا. ينظر: «الحاوي في الطب» (٢/ ٣٧٠، ٣٧٢)، و«المصباح المنير» (و ت ر)، و«تاج العروس» (ق و م: ٣٣/ ٣٢٠).

فقال له: من أين تصيدُه؟ فذكر قريةً على فراسخَ يسيرةٍ من بغداد.

فقال له الطَّبيب: أُعطيك دينارًا وتَدَعُ شُغلكَ وتجيءُ معي إلى الموضِع؟

قال: نعم. فأعطاه دينارًا وخَرَجا.

فعاد الطَّبيبُ من غَدٍ، فَذكر أنَّه رأى ذلك الجَرادَ يرعَى في صحراءَ أكثر نباتِها حشيشةٌ يُقال لها: مازَرْيون[(١)]، وهي دَواءٌ للاستِسقاء، فإذا دُفِعَ منها إلى العليلِ وزنُ دِرهَمٍ أَسْهَلَه إسهالًا يُزيلُ الاستِسقاءَ، ولكِن لا يُؤمَنُ أن يجيءَ بطنُه ولا ينضبطَ[(٢)]، فيقتُلَه الذَّرَبُ[(٣)]، والعلاجُ بها خَطِرٌ جدًّا، وهي مَذكورَةٌ في الكتب، ولفَرطِ غَرَرِها لا يكاد يصفُها الطبيب، فلمّا وَقَعَ الجَرادُ على هذه الحشيشةِ وانطبخت في مَعِدَته، ثمَّ طُبِخَ الجَرادُ، ضَعُفَ فِعلُها بطبخين اجتمعا عليها، وجُفِّفَتْ بعد ذلك في الحرِّ الشديد فصار طبيخًا ثالثًا[(٤)]، وقُضِيَ أن تناولها هذا بالاتِّفاقِ، وقد تعدَّلت بمقدار ما يدفع طبخُه[(٥)] دفعًا يَنقَطِعُ بانقطاعِ العلَّة، فبَرَأَ[(٦)].

---

(١) وهو ضَرْبان: أحدهما ما ورقه كبيرٌ رقيق، والآخر صغيرُ الورق ثخينه، وهذا أردؤهما، وما كان أسود فهو قتَّال. وأجوده ما كان ورقه كثيرًا وشبيهًا بورق الزيتون. ينظر: «القانون في الطب» (١/ ٥٥٥).

(٢) (تؤمن أن يجيء بطنه، وَلا ينضبط) في (ر): (يؤمن أن لا ينضبط بطنه، وَلا يقف).

(٣) **الذَّرَبُ**: المرضُ الَّذي لا يَبْرَأُ، وذَرِبَتْ مَعِدَتُه: فسدت. ينظر: «لسان العرب» (ذ ر ب: ١/ ٣٨٧).

(٤) (وجففت بعد ذلك في الحرِّ الشديد فصار طبيخًا ثالثًا) ليست في (ر).

(٥) في (ر، ض، ل): (طبعه)، والمثبت من (ف).

(٦) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٤/ ٢١٠)، و«الأذكياء» لابن الجوزي (ص: ١٧١)، و«وعيون الأنباء» (ص: ٢٣).

[١٠: ٩] [زَمِنَةٌ مُقعَدَةٌ عافاها اللّٰهُ بالسببِ الذي أرادَتِ الموتَ به]

حدَّثَني المؤمِّلُ[١] بنُ يحيى بنِ هارونَ المتطبِّبُ، شيخٌ نصرانيٌّ يُكنَى بأبي نَصْرٍ، كانَ ينزل بباب الشَّامِ، رأيتُه في سنة خمسينَ وثلاثِ مِئَة، **قال**: حدَّثني قُرَّةُ[٢] بنُ الشدَّاخِ[٣] العُقَيليُّ[٤]، وكانَ ينزلُ إذا جاءَ من الباديةِ في شارع دارِ الرَّقيق بالقُربِ من درب سُلَيمان[٥]، **قال**: كانت عندنا في الباديةِ جاريةٌ بالغٌ، زَمِنَةٌ مُقعَدَةٌ سِنينَ، ومن عادتنا أن نَأخُذَ الحنظلَ[٦] الرَّطْبَ فنُقَوِّرَ رأسَه ونَمْلَأَه باللَّبنِ الحليبِ، [ر/ ١٣٢] ونردَّ على كلِّ واحِدَةٍ رأسَها، ونَدفِنَها في الرماد الحارِّ حتَّى تغليَ، فإذا غَلَتْ حَسَا كلُّ واحِدٍ منَّا ما في الحنظلة من ذلك اللَّبن فيُسْهِلُه إسهالًا يَحمَدُه، ويَصلُحُ به بَدَنُه.

قال: فكُنَّا أخذنا في سَنَةٍ من السنينَ ثلاثَ حناظِلَ لثلاثة أَنْفُسٍ، يَشرَبُونها، وجَعَلنا فيها اللَّبنَ على الصِّفة التي ذكرتُ، فرأَتْها الجاريةُ الزَّمِنةُ؛ فلضَجَرِها من الزَّمانَةِ خالَفَتْنا إلى الحناظِلِ الثَّلاثِ، فحَسَتْها كلَّها.

---

(١) في (س): (الموكل).

(٢) في (ح): (قراة).

(٣) في (س): (الصداح)، وفي (غ) والمطبوع: (السراج).

(٤) قوله: (حدَّثَني المؤمِّلُ... العُقَيليُّ) في (ج، ش): (عن بعض بني عقيل).

(٥) قوله: (بن هارون، شيخ... درب سُلَيمان) ليس في (ض، ل).

(٦) نبت معروفٌ، يشبه البطيخ. ينظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» (١١/ ٣٠).

وعَلِمنا بذلك بعد أن رأينا من قيامها ما جزعنا مِنهُ، وأيسنا من حياتها فباعدناها عن الأخبية لئلَّا نشتمَّ روائِحَها فتُعدِينا، ولتموت بالبعد عنَّا[١].

فلمّا كانَ في اللَّيل انقَطع قيامُها، فمَشَتْ برِجْلَيها إلى أن عادَت إلى البيوت مُعافاةً لا قَلَبَة بها[٢]، وعاشَت بعد ذَلِك سِنين، وتزوَّجَتْ ووَلَدَتْ.

(١) (عن الأخبية لئلَّا نشتمَّ روائِحَها فتُعدِينا، ولتموت بالبعد) ليست في (ض، ل).

(٢) أي: لا داءَ ولا علَّة بها. ينظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» (١/ ٢٣٣).

[١٠: ١٠] [الطبيبُ جبريلُ بنُ بَختِيَشوع يُنقِذُ الرشيدَ من الموت]

قال جِبريلُ بنُ بَخْتِيَشوعَ: كنتُ مع الرشيدِ بالرَّقَّةِ، وَمعهُ المَأمون ومحمَّد[١]، وكانَ رجلًا كثيرَ الأكلِ والشُّربِ، فأكل في بعض الأيَّام أشياءَ خَلَّطَ فيها، ودخل المُستَراحَ فغُشِيَ عليه فيهِ، وأُخرِجَ وقَوِيَ عليهِ الغَشْيُ حتَّى لم يشكَّ غلمانُه في مَوته، وحَضَرَ ابناه، وشاع عِند العامَّة والخاصَّة خَبرُه، وأُرسِلَ إليّ فحضرتُ، فجَسَسْتُ عِرقَه فوجدتُ نَبْضًا خَفيفًا، وأخذتُ عِرقًا في رِجْلِه فكانَ مثلَه، وقد كانَ قبل ذَلِك بأيامٍ يشكو امتلاءً وحركةَ الدم[٢].

فقلت لهم: لم يَمُتْ، والصَّوابُ أن يُحْجَمَ السَّاعةَ.

فقال كوثرُ الخادِمُ[٣] -لِما يرومُ[٤] مِن أَمرِ الخلافَةِ وإفضائِها إلى سيِّدِه مُحَمَّد-: يا رجل، تقول: احجُموا رجلًا مَيتًا! لا يُقبَلُ قَولُك وَلا كَرامَةَ.

فقال المأمونُ: الأمرُ قد وَقعَ، وليسَ يضرُّ أن نَحجُمه.

---

(١) (المَأمون ومحمَّد) في (ض، ل) (المأمون)، وفي (ف): (الأمين والمَأمون)، والمثبت من باقي النسخ.

(٢) (الدَّم) في (ض): (من دم).

(٣) كوثر خادم الأمين، سبقت ترجمته (٢/ ١٥٧).

(٤) (لما يروم) في (ر، ف): (لما تقرَّر).

فأحضرَ الحجَّام، وتقدَّمتُ إلى جماعةٍ من الغلمانِ بإمساكِه ففعلوا، وأُقعِدَ، **فقلتُ للحجَّام:** ضَعْ محاجِمَك هاهنا، فَفَعَل، فلمَّا مصَّها رأَيتُ الموضِعَ قد احمرَّ، فطابت نَفسي بذلك، وعلمتُ أنَّه حيٌّ، **فقلت:** اشْرِطْ. فَشَرَطَ، فَخرجَ الدَّمُ، فسجدتُ لله عَزَّوَجَلَّ شُكرًا، وجعل كلَّما خرجَ الدَّمُ يتحرَّكُ رأسُه، ويُسفِرُ لونُه، إلى أن تكلَّمَ وقال: أَين أنا؟ [ض/ ١٨٧]

فطيَّبنا نَفسَه، وغَذَّيناه بصَدرِ دُرَّاج[١]، وسقيناه نبيذًا، وما زلنا بالطيب في أَنفِه وحَولَه حتَّى تراجعت إليه قوَّتُه، وأُدخِلَ الخاصَّةُ والقوَّادُ إليهِ فسَلَّموا عليهِ من بُعْدٍ، لما كانَ قد شاعَ من خَبرِه[٢]، ثمَّ تكاملَتْ قوَّتُه، ووهبَ الله عَزَّوَجَلَّ عافيتَه.

فلمّا خرجَ[٣] من عِلَّته دعا صاحِبَ حرسه، وصاحبَ شُرطته، فسأَلَ صاحبَ الحرس عَن غَلَّته في كلِّ سنةٍ، فَعرَّفهُ أَنَّها ألفُ ألفِ دِرهَم. وسأَلَ صاحبَ شرطته عَن غَلَّته في كلِّ سنةٍ، فَعرفهُ أنها خمسُ مئَةِ ألفِ دِرهَم.

ثمَّ قال لي: يا جبريلُ، كم غلَّتُك؟ **قلت:** خمسونَ ألفَ درهمٍ.

فقال: ما أنصفناك، حيثُ غلَّاتُ هؤلاءِ وهم يَحرُسوني ويحجُبُوني من النَّاس على ما هي عليهِ، وتكونُ غلَّتُكَ ما ذكرتَ. وأَمَرَ لي بإقطاعٍ غلَّتُه ألفُ ألفِ دِرهَم.

---

(١) **الدُّرَّاج:** نوعٌ من الطيور، من طير العراق. ينظر: «لسان العرب» (د ر ج: ٢/ ٢٧٠).

(٢) في (ض) زيادة: (أنَّه مات).

(٣) (خرج) في (ف): (بَرأَ).

فقلت: يا سَيِّدي ما لي حاجَةٌ إلى الإقطاع، ولكن تهبُ لي ما أشتري به ضِياعًا. فَفَعَل، وتقدَّمَ بمعونتي[1] على ابتياعها، فابتعتُ بِهِباته وصِلاتِه ضياعًا غَلَّتُها ألفُ ألفِ دِرهَمٍ، فجميعُ ضِياعي أملاكٌ[2] لا إقطاعَ فيها[3].

(١) في (ر): (بمعاونتي).

(٢) في (ر): (حلال).

(٣) ينظر: «الأذكياء» (ص: ١٧٤)، و«عيون الأنباء» (ص: ١٩٤)، و«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (٩/ ٣٤٧).

[١٠: ١١] [لسعتْهُ عقربٌ فشفي من البِرْسَام]

حدَّثني طلحَةُ بنُ عبيد الله بن قناشٍ الطَّائيُّ الجوهريُّ البغداديُّ، أبو جَعفَرٍ[١] رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]، **قال**: كان في دربِ مهرويه من الجانب الشَّرقيِّ ببغدادَ[٣] قديمًا رجلٌ من كُبَراءِ الحُجْرِيَّة[٤]، وكانَ متبنيًا لِغُلامٍ[٥] من غلمانِه، ربَّاه صغيرًا، فاعتلَّ الغُلامُ عِلَّةَ بِرْسامٍ[٦]، فَبلغ بها إلى حالةٍ زالَ بها[٧] عقلُه.

---

(١) (عبيد الله) في (ض، ل): (عبد الله)، وكذا في المطبوع من «معجم الأدباء» (٢/ ٥٢٦). وقوله: (بن قناشٍ الطَّائيُّ الجوهريُّ البغداديُّ، أبو جَعفَرٍ) ليس في (ض، ل).

(٢) نَقَلَ عنه المؤلِّفُ في «نشوار المحاضرة» (١/ ٩٥) أنَّه كان يجالس سيف الدولة الحمداني، وأنَّه كان من نُدمائه، وذكر ياقوت الحمويُّ في «معجم الأدباء» (٢/ ٥٢٦) أنَّ له كتابَ «القضاة». وينظر: «المروءة» لأبي بكر المرزبان (ص: ١١٨).

(٣) **دربِ مهرويه**: نُسِبَ إلى مهرويه الرازي، الذي كان مملوكًا فأعتقَه المهديُّ، وكان يسكنُه الأمراء والكتَّاب والتُّجار. ينظر: «فتوح البلدان» للبلاذري (ص: ٢٩٠)، و«نشوار المحاضرة» (٢/ ٢٦٧).

(٤) **الحُجْرية**: نسبة إلى الحُجَر، وهم مجموعةٌ من الشباب مُقِيمون في حُجَرٍ منفردةٍ، لكلِّ حجرةٍ منها اسمٌ يخصُّها، يكون لكلِّ واحدٍ منهم فَرَسٌ وعدَّةٌ، فإذا قيل له عن شُغلٍ لا يحتاج أن يتوقَّفَ فيه، فإذا تميَّزَ أحدٌ من هؤلاء بعقلٍ وشجاعةٍ قُدِّمَ للإمرة، ويسمُّون أيضاً «صبيان الحجر»، و«غلمان الحجرية». ينظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ٤١٨)، و«صبح الأعشى» (٣/ ٥٥٢).

(٥) في (ض، ل، ر، ف): (بغلام)، والمثبت من (ن).

(٦) (برسام) في (ر، ف، ن): (من بلسام وهو الذي تسمِّيه العامة البرسام). **والبِرسام والبِلْسام** واحدٌ، وهو الحمَّى إذا دامَتْ مع الصُّدَاعِ أو الثِّقَلِ في الرَّأْسِ، والحُمرَةِ في الوَجهِ وكراهةِ الضَّوءِ. ينظر: «فقه اللغة وسر العربية» (١/ ١٠٣)، و«لسان العرب» (بلسم: ١٢/ ٥٥).

(٧) (حالة، زالَ بها) في (ر، ف): (خطة وزال).

فَتَفَرَّقوا عَنهُ يَومًا -وهو في مَوضِعٍ فيهِ خيشٌ- ووكَّلوا به صَبيًّا يُراعِيه، فَسَمِعوا صياحَ الصبيِّ الموكَّلِ به، فبادرُوا إليهِ، **فقال**: انظُروا ما قد أصابَهُ. فإذا عقربٌ قد نزلت من المَسْنَدِ على رأسِ العليلِ، فلَسَبَتْهُ[1] في عِدَّة مَواضِعَ، وإذا به قد فَتَحَ عَينَيهِ وهو لا يشكو ألمًا.

فَسَأَلوهُ عَن حاله، فطلب ما يَأكُل، فأطعموه، وبَرَأَ.

فلاموا طبيبَه، فقال: علامَ تلومونَني، لو أمرتكُم أن تُلْسِبوه عقربًا[2]، أَكُنتُم تَفعَلونَ؟

(١) (فلسبته) في (ف): (فلسعته). ومعناهما واحد. ينظر: «الصحاح» (ل س ب: ١/ ٢١٩).

(٢) (تلسبوه عقربًا) في (ف): (تلسعوه بعقرب).

[١٠: ١٢] [مريضٌ ميؤوسٌ منه يشفى بأكْلِهِ طعاماً أكلت منه أفعى]

حدَّثني أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الله بنِ محمَّدٍ الـرّازيُّ، المعروفُ بابنِ حمدون[١]، **قال**: حدَّثني أبو بكرٍ أحمدُ بن عليٍّ الرَّازيُّ الفَقيهُ[٢]، **قال**: سَمِعت أبا بكرِ بنِ قارنٍ الرَّازيُّ، وكانَ تلميذًا لأبي بكر مُحَمَّد بن زَكَريا الرَّازي الطَّبيب في الطبِّ[٣]. **قال أبو بكرِ بنُ حمدونَ**: وقد رأيتُ هذا الرجل بالرَّيِّ، وكانَ يُحسِنُ علومًا كثيرةً، منها الحديثُ، فيَرويه ويكتبه الناس عنهُ، ويُوثَقُ بقوله، ولم أسمع هذا منهُ.

---

(١) في (ف): (حمدان)، وفي (ن): (مهرون)، وفي (س): (ميرون).

(٢) هو أحمد بن علي، أبو بكر الرازي، الفقيه الحنفي الكبير، المعروف بالجصاص، سكن بغداد، وانتهت إليه رئاسة الحنفية، تفقَّه على أبي الحسن الكرخي وتخرج به، من كتبه: «أحكام القرآن»، و«شرح مختصر الكرخي»، (ت: ٣٧٠هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٥١٣)، و«الجواهر المضية» (١/ ٨٤).

(٣) هو أبو بكر محمَّد بن قارن (أو قازن) بن العباس الرازي، وله في الحديث تصانيف ومجموعات، وكان من العدول الكبار، وكان محذقًا في الطب، (ت: ٣٣٠هـ). ينظر: «الإرشاد» للخليلي (٢/ ٦٩٠)، و«عيون الأنباء» (ص: ٤١٧، ٤١٨)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ٦١٧).
وأبو بكر مُحَمَّد بن زَكَريا الرَّازي الطَّبيب: فيلسوف، من الأئمَّة في صناعة الطبِّ، تولَّى تدبير مارستان الري، ثم رياسة أطباء البيمارستان المقتدري في بغداد، له تصانيف كثيرة، مختلف في وفاته بين نيف و(٢٩٠هـ) و(٣٢٠هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٧/ ٢٤٧)، و«الأعلام» (٦/ ١٣٠).

قال مُؤلِّف هذا الكتاب: ولم يتَّفِق لي مع كثرَةِ ملاقاتي أبا بكرٍ الرازيَّ الفقيهَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أسمعَ هذا الخبر مِنهُ(١).

قال ابنُ قارنٍ: سَمِعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنِ زكريَّا الرَّازيَّ الطَّبيب، بعد رُجوعِه من عِند أَمير خُراسانَ لمَّا استدعاه فعالجه من عِلَّة صعبةٍ، **قال**: اجْتَزتُ في طريقي إلى نَيْسابورَ بِبَسْطَامَ، وهي النِّصْفُ من طَريقِ نَيْسابور إلى الرَّيِّ(٢)، فاسْتَقْبَلَني رَئِيسُها، فأنزلني دارَه، وخَدَمَني أتمَّ خِدمَةٍ، وسألني أن أَقِفَ على ابنٍ له به استسقاءٌ.

فأدخلني إلى دارٍ له قد أفردَها(٣)، فشاهدتُ العليلَ، ولم أطمعْ في بُرْئِه، فعلَّلتُ القولَ بمَشْهَدٍ من العليلِ، فلمَّا انفردتُ بأبيه سألني أن أَصْدُقَه، فصَدَقتُه، وآيَسْتُه من حَياة ابنه، **وقلت له**: مَكِّنْه من شهواته، فإنَّهُ لا يعيشُ.

وخرجتُ إلى خُراسانَ، وعدتُ منها بعد سنةٍ، فاستقبلني الرجلُ بعد عَوْدي، فلما لَقِيَني استحييتُ منه غايةَ الحياءِ، ولم أشُكَّ في وفاةِ ابنِه الذي نَعَيتُه إليهِ، وخشيتُ من تثقُّلِه بي، فأنزلني في داره، فلم أجِدْ عندَه ما يدلُّ على ذلك، فكرهت مُساءَلَتَه عنه لئلَّا أُجَدِّدَ عليهِ حُزنًا.

فقال لي بعد يومٍ: تَعرِف هذا الفتى؟ وأومَـأَ إلى شابٍّ حَسَنِ الوجهِ والسَّحنَةِ(٤)، كثيرِ الدَّمِ والقوَّة، واقفٍ مع الغلمان يَخدُمنا.

---

(١) قوله: (حدثني أبو بكر مُحَمَّد بن... هذا الخبَر منه) ليس في (ض، ل).

(٢) (إلى الرَّيِّ) ليست في (ض).

(٣) في (ر) زيادة: (له).

(٤) في (ر): (والصحة). والسَّحنة: الهيئة. وهي بفتح السين والحاء، وقد تسكَّن. ينظر: «مختار الصحاح» (س ح ن).

فقلت: لا.

فقال: هذا ابني الَّذي آيَسْتَنِي منهُ عند مُضِيِّك إلى خُراسانَ.

فتَحَيَّرتُ، **وقلت له**: عَرِّفْني سَبَبَ بُرئه.

فقال لي: إنَّه كانَ بعد قيامك من عنده فَطِنَ أنَّك آيَسْتَني منهُ، فقال لي: لستُ أشكُّ أنَّ هذا الرجلَ -وهو أوحدُ زَمانِه في الطِّبِّ- قد آيَسَكَ منِّي، والَّذي أسألكَ أن تمنعَ هؤُلاءِ -يعني غلماني الَّذين أخدمتُه إيّاهُم- فإنَّهُم أترابي، وإذا رأيتُهم معافين وقد علمتُ أنِّي ميِّتٌ تَجدَّد على قلبي حمّى تُعَجِّلُ ليَ الموتَ، فأَرِحْني من هذا بأن لا أراهُم، وأَفْرِد لخدمتي فلانةَ دَايَتِي[1].

ففعلتُ ما سأَلَ، وكانَ يُحمَلُ إلى الدايةِ في كلِّ يومٍ ما تَأكُله، وإليه ما يطلب على غير حِمْيَةٍ.

فلمَّا كانَ بعد أيّامٍ يسيرَةٍ حُمِلَ إلى الدايةِ مَضِيرَةٌ[2] لتأكلَ، فتركتها بحيثُ يقع عليها نظرُ ابني، ومَضَتْ في شغلٍ لها، ثمَّ عادت، **فذَكَرَتْ** أنَّه نهاها عَن أكل ما في الغَضَارَة[3]، ووَجَدَتها قد ذهب كثيرٌ ممَّا كانَ فيها، وبَقِيَ بعضُه متغيِّرُ اللَّونِ.

قالت: فقُلتُ له: ما السَّبَب؟

---

(١) **الداية**: الحاضنة المربية. ينظر: «تاج العروس» (ح ض ن: ٣٤/ ٤٤٣).

(٢) **المَضِيرَةُ**: طَبيخٌ يُتَّخَذُ من اللَّبَنِ الماضِرِ؛ أي: الحامض. وقيل: أن تَطْبُخَ اللَّحْمَ باللَّبَنِ البَحْتِ الصَّرِيحَ الذي قد حَذَى اللسانَ حتَّى ينْضَجَ اللحمُ وتَخْثُرَ المضِيرَةُ. ينظر: «مختار الصحاح» (م ض ر)، و«لسان العرب» (م ض ر: ٥/ ١٧٨).

(٣) **الغَضَارة**: وعاءٌ مصنوعٌ من الطين الحر. ينظر: «لسان العرب» (غ ض ر: ٥/ ٢٣).

قال: رَأَيتُ أَفعَىً عَظيماً[١] قد خرجَ من مَوضِعٍ ودبَّ إليها فأكلَ منها ثمَّ قذف فيها، فصارَ لونُها كما تَرَيْن، فقلت: أنا ميتٌ، وهُوَ ذا يلحقني ألمٌ شديدٌ، ومتى أظفرُ بمثل هذا؟ فزَحَفتُ فأكلتُ من الغضارةِ ما استَطَعتُ؛ لأموتَ عاجلًا وأستريحَ[٢]، فلمَّا لم أستطع زيادَةَ أكلٍ زحفتُ حتَّى رجعتُ إلى مكاني وفِراشي، وجِئت أنت.

قالت: ورأيتُ آثارَ المَضِيرةِ على ثوبِه[٣] وفَمِه فصِحتُ.

فقال: لا تعملي شيئًا[٤] حتَّى تَدفِني الغَضارةَ بما فيها؛ لِئَلَّا يأكُلَها إنسانٌ فيموتَ، أَو حَيَوانٌ فيلسعَ إنسانًا من أهل الـدار[٥] فيقتُلَه. ففَعَلْتُ ما قالَ، وخرجتُ إليك.

قال: فلمَّا عَرَّفَتْني ذلك ذَهَبَ عليَّ أمري، ودخلتُ إلى ابني فوجَدتُه نائمًا، فقلت: لا تُوقِظُوه حتَّى نَنظُرَ ما يكون من أمرِه.

[ر/١٣٢] فانْتَبَه[٦] آخِرَ النَّهارِ وقد عَرِقَ عرقًا شَديدًا، وهو يطلُب المستَحَمَّ، فأُنهِضَ إليهِ، فاندفعَ بَطنُه، وقامَ من ليلته ومن غَدِه أكثرَ من مئَة مجلِسٍ[٧]، ثمَّ انقَطع القيامُ،

---

(١) **الأفعى**: تقعُ على المذكَّر والمؤنث، فإذا أرادوا ما لا يكون إلَّا مُذَكَّراً قالوا: أُفعُوان. ينظر: «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري (١/ ٨٥).

(٢) هذا الفعل يؤدي إلى الانتحار وقد نهانا الإسلام عنه.

(٣) (ثوبه) في (ر): (يديه).

(٤) في (ف): (لا تعلمي أبي شيئاً).

(٥) (من أهل الدار) ليست في (ر).

(٦) (فانتبه) في (ر): (فَأَتيته).

(٧) في (ر) زيادة: (فازداد إياسنا منهُ، وقل القيام، إلا أنَّه استمرّ أيّامًا).

وقد صارَ بطنُه مع ظَهْرِه مثلَ بطون الأصِحَّاءِ، وطَلَبَ فراريجَ فأكلَ[1]، ولم تَزَلْ قوَّتُه تزدادُ[2] إلى أن صارَ كما ترى، ولله الحمد، فعَجِبتُ من ذلك.

(١) **الفراريج**: جمع فَرُّوج، وهو الفَتِيُّ من وَلَدِ الدَّجاج. ينظر: «لسان العرب» (ف ر ج: ٢/ ٣٤٤).

(٢) في (ر) زيادة: (وطمعنا في حياته فمنعناه التخليط، فثابت قوته وتزايدت).

البَابُ الحَادِي عشَرَ

فِي مَنِ امْتُحِنَ مِنْ لُصُوصٍ بِسَرَقٍ أَوْ قَطْع فَعُوِّضَ مِنَ الارْتِجَاعِ والخَلَفِ بِأَجْمَلِ صُنْع

[١١: ١] [الشاعرُ دِعبِل الخزاعيُّ ينجو من قطَّاع الطريق]

حدَّثني عليُّ بن [شيران][١] بن سهل القاضي بعسكر مُكْرَم، **قال**: حدَّثني أبو الحُسَين عبدُ الواحِدِ بنُ محمَّد الخَصِيبي ابن بنت [ابن المدبَّر][٢] بِبَغداد، **قال**: حدثني مُحَمَّد بن عَليّ بن موسى[٣]، **قال**[٤]: حدثني الحسنُ بنُ دِعبِل بنِ عليٍّ الخُزاعيِّ الشَّاعِرِ[٥]، **قال**: **حدثني أبي قال**: لما قلتُ: [من الطويل]

مَـــدَارِسُ آيــاتٍ خَلَتْ مِـنْ تـلاوَةٍ ... ومَهبِطُ وَحيٍ مُقْفِرُ العَرَصَاتِ[٦]

قَصَدتُ بها أبا الحسنِ عليَّ بنَ موسى الرِّضا -وهو بخراسان- وليَّ عَهدِ المأمون، فوصلتُ إليه، وأنشدتُه إيَّاها، فاستحسَنَها، **وقال**: لا تُنْشِدْها أحدًا حتَّى آمُرك.

---

(١) في (ض، ظ، ل): (سيرين)، وفي (ف): (سيراد)، وفي المطبوع (شيراز)، والمثبت موافق لما ذكره المؤلف في الباب الخامس (٢/ ٩٢)، ولما رواه ابن العديم القصة عن التنوخي في «بغية الطلب» (٧/ ٦٦٠).

(٢) في النسخ: (مدبّر)، والمثبت من كلام المؤلِّف في الباب السادس، ومن «نشوار المحاضرة» (٨/ ١٣١).

(٣) في (ر، ن، ح، ط): (قوس)، والمثبت من (س). ومُحَمَّد بن عَليّ بن موسى هو أبو جعفر، محمد (الجواد) بن علي (الرضا) بن موسى (الكاظم) بن جعفر (الصادق) بن محمد (الباقر)، أحد الأئمة الاثني عشر أيضًا، (ت: ٢١٩، أو: ٢٢٠هـ). ينظر: «وفيات الأعيان» (٤/ ١٧٥).

(٤) قوله: (حدثني عليّ بن... بن موسى، قال) ليس في (ض، ل).

(٥) في المطبوع: (الحسن)، وهو تصحيف، والمثبت هو الصواب، فهو الحسين بن دعبل بن علي الخزاعي، شاعر كأبيه مليح الشعر. ينظر: «الفهرست» (ص: ١٩٧)، و«طبقات الشعراء» (ص: ٤٠٧).

(٦) (ومهبط وحي مقفر العرصات) ليست في (ض، ل).

واتَّصَلَ خبري بالمأمون، فأحضرني، وسألني عن خبري، **وقال**: يا دِعبِلُ، أنشدني: «مَدارِسُ آياتٍ خَلَتْ من تِلاوَةٍ».

فقلت: لا أعرفها يا أمير المؤمنينَ.

فقال: يا غُلام، أَحضِر أبا الحسن عليَّ بن موسى.

فلم يكن بأسرعَ من أن حضر؛ **فقال له**: يا أبا الحسن، سألتُ دِعبِلًا عن: «مَدارِس آياتٍ...» فذكر أنَّه لا يعرفُها.

فالتَفتَ إليَّ أبو الحسنِ، **فقال**: أَنْشِدهُ يا دِعبِل.

فأنشدتُ القصيدةَ، فلم يُنكِرْ ذلك المأمونُ، إلى أن بلغتُ إلى بَيتٍ فيها، وهو:

فآلُ رَسُولِ اللهِ هُلْبٌ[1] رِقابُهُمْ[2] وَآلُ زِيَادٍ غُلَّظُ القَصَراتِ[3]

فَقال: والله لا هَنَّيتُها[4].

---

(١) في (ض، ل): (هلت). **الهُلبُ**: ما غَلُظَ من الشعر، كأذناب الخيل ونحوها، يُقال: **هَلَبْتَ الفَرَسَ**؛ إذا أخذتَ شَعرَ ذَنَبِه. ينظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٦٠٤)، وللخطابي (٢/ ٥٥٢).

(٢) كذا رواه التنوخي، وفي معظم المصادر، وفي ديوانه (ص: ٤٥): (وَآلُ رسولِ الله نُحْفٌ جسومُهم). ينظر: «التمثيل والمحاضرة» (ص: ٩٠)، و«التذكرة الحمدونية» (٥/ ١٣٩)، و«تاريخ دمشق» (١٧/ ٢٦٢).

(٣) **القَصَرات**: جمع قَصَرَة، وهي أصل العنق. ينظر: «العين» (ق ص ر: ٥/ ٥٩).

(٤) (لا هنَّيتها) في (ر): (لأُهِينَنَّها)، وفي المطبوع: (لأهلبنها) وليست في النسخ.

ثمَّ تممَّتُها إلى آخرِها، فاستحسنها، وأَمَرَ لي بخَمسينَ ألفِ دِرهَمٍ، وأمر لي عليُّ بن موسَى بقريبٍ منها.

[ض/١٨٨] **فقلت له**: يا سيِّدي، أُريد أن تهب لي ثوبًا يلي بدنَك. فوَهَبَ لي قَميصًا قد ابتذَلَه، ومِنْشَفَةً، وأَظنهُ قال: وسَراويلَ.

قال: ووصلني ذو الرئاستين(١)، وحملني على برذونٍ أصفرَ خراسانيٍّ عجيبٍ، وكنتُ أُسايِرُه في يوم مطيرٍ، وعليهِ مِمْطَرُ خَزٍّ(٢) وبُرْنُسٌ(٣) منه، فأمر لي بهما، ودعا بِغَيرِهما(٤) جديدًا فلبسَه، **وقال**: إنَّما آثرتُك باللَّبِيسَين(٥) لأَنَّهُما خيرُ المِمْطَرَين. فأُعطِيتُ به ثمانينَ دينارًا، فلم تَطِبْ نفسي بِبَيعِهِ.

وقضيتُ حاجتي، وكَرَرْتُ راجعًا إلى العراق، فلمَّا صرتُ ببعض الطَّريق، خَرَجَ علينا أكرادٌ يُعرَفونَ بالمازنجان(٦)، فسلبوني، وسلبوا القافِلَة، وكانَ ذلك في يَومٍ مَطيرٍ، فاعتزلت في قميصٍ خَلَقٍ قد بَقِيَ عليَّ، وأنا متأسِّفٌ من جميع ما

---

(١) هو أبو العباس الفضل بن سهل بن عبد الله، وسبقت ترجمته (١/ ٢٣٥).

(٢) **المِمْطَر**: ما يُتوقَّى به من المطر. ينظر: «شمس العلوم» (٩/ ٦٣٥٢).

(٣) **البُرْنُس**: قَلَنْسُوَةٌ طويلةٌ. ينظر: «المصباح المنير» (ب ر ن س).

(٤) (بهما، ودعا بِغَيرِهما) في (ر): (به ودعا بغيره).

(٥) في (ر): (الملبوس). **اللَّبِيسُ**: الثَّوبُ يُلبَسُ كثيرًا. ينظر: «المصباح المنير» (ل ب س).

(٦) في (ض): (بالبادنجات)، وفي المطبوع: (بالماريخان)، وكلاهما تصحيف، والمثبت من (ر).

وهي قبيلة كردية كبيرة تقيم بنواحي أصفهان الجنوبية الممتدة إلى إقليم فارس - محافظة شيراز الحالية- وتسمى أيضًا: (البازنجان). ينظر: «القبائل والزعامات القبلية الكردية في العصر الوسيط» (ص: ١٣٨).

كانَ معي، على القَميصِ والمِنْشَفَةِ اللَّذين وَهَبَهما لي عليُّ بن موسى، إذ مرَّ بي منهم كرديٌّ تحته الأصفرُ الَّذي وهبه لي(١) ذو الرئاستين، وعليهِ المِمْطَرُ الخَزُّ، ثمَّ وقف بالقربِ منِّي يُنشِدُ: «مدارس آياتٍ...» ويبكي، فلمّا رأيتُ ذلك طمعت في القَميص والمنشفةِ، **فقلت**: يا سيِّدي لمن هذه القصيدة؟

فقال: ما أنتَ وذاكَ، ويلك.

فقلت: لي فيها(٢) سَبَبٌ أخبرك به.

فقال: هي أشهرُ بصاحبها من أن يُجهَلَ.

فقلت: من هو؟

فقال: دِعبِلُ بنُ عَليٍّ الخُزاعيُّ، شاعِرُ آل مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله، جزاه الله خيرًا.

فقلت له: أنا واللهِ دِعبِلُ بنُ عليٍّ الخزاعيُّ، وهذه قصيدتي.

فقال لي: ويلك، ما تقول؟

فقلت: الأَمر أسهلُ(٣) من ذلك، فاسأل أهلَ القافِلَة يخبرونك بِصِحَّة ذلك.

فقال: لا جرم، والله لا يذهبُ لأهل القافِلَة خلالةٌ(٤) فما فوقَها.

---

(١) (وهبه لي) في (ر): (حملني عليه).

(٢) في (ر): (فيه).

(٣) في (ر): (أشهر).

(٤) **الخَلالَةُ**: البلحةُ بلُغَةِ أهلِ البصرة. ينظر: «المصباح المنير» (ب ل ح).

ثمَّ نادى في النَّاس: مَنْ أخذ شَيئًا فليردَّه على صاحبه، فَرَدَّ -واللهِ- على النّاس أمتعتَهم، وعليَّ جميعَ ما كانَ معي، حتَّى ما فَقَدَ أحدٌ عِقالًا[1].

ثمَّ بَذْرَقَنا[2] إلى مَأْمَنِنا.

قال: فقال لي[3]: فحدَّثتُ بهذا الحديث عليَّ بن بهرامٍ الكرديَّ، فقال: ذاكَ واللهِ أبي الَّذي فعل هذا[4].

(١) **العِقال:** الحبل الذي يُربَطُ به البعير. ينظر: «مختار الصحاح» (ع ق ل).

(٢) أي: حَرَسَنا، وحمانا. ينظر: «التكملة والذيل» (٥/ ٨)، و«المصباح المنير» (خفر).

(٣) (قال: فقال لي) في (ر، ن، ح): (فقال لي قوس)، وفي (ح): (فقال لي موسى)، وفي (ش): (فقال لي راوي هذا الخبر عن دعبل).

(٤) ينظر: «مرآة الزمان» (١٥/ ١٨٠)، و«بغية الطلب» (٧/ ٦٦٠- ٦٦٢).

[١١: ٢] [أبو أحمدَ الحارثيُّ ينجو من قاطع طريقٍ يروي الشِّعرَ ويَفْهَمُ النحوَ]

حدَّثني عبدُ الله بنُ عمرَ بنِ الحارِثِ الواسطيُّ السرَّاجُ، المعروفُ بأبي أحمدَ الحارثيِّ[(١)]، **قال**: كنت مُسافِرًا في بعض الجبال، فخرج علينا ابنُ سباب[(٢)] الكردي، فَقَطَع علينا، وكانَ بِزِيِّ الأُمَراءِ، لا بزيِّ القطَّاع.

فقربتُ منهُ أنظرُ إليه وأسمع كلامَه، فرأيت منه ما يدلُّ على فَهمٍ وأدبٍ، فداخلتُه وإذا هو رجلٌ فاضلٌ، يروي الشِّعرَ، ويفهم النَّحوَ، فطمعتُ فيه، **فعَمِلْتُ** من الشعر أبياتًا في الحال ومدحته[(٣)] بها.

فقال لي: لستُ أعلمُ أنَّ هذا من شعركَ، ولكِن اعْمَل على قافيةِ هذا البيت ووَزنِه شعرًا السَّاعةَ؛ لأعلمَ أنَّك قُلتَه. وأَنْشَدَني بَيتًا.

قال: فَعَمِلْتُ في الحال إجازَةً له ثلاثةَ أبياتٍ.

فقال لي: أيُّ شَيءٍ أُخِذَ منكَ لأردَّه عليكَ في الحال؟

---

(١) قوله: (عبدُ الله... الحارثي) في (ض، ل): (عبد الرحمن الواسطي)، وسبقت ترجمته (٣/ ٢٠٤).

(٢) في (ر): (شباب)، وفي (ض): (سياب).

(٣) في (ض، ل): (فخدعته).

فذكرت ما أُخِذَ منِّي، واسْتَضَفْتُ[1] إليه قماشَ[2] رَفيقَينِ كانا لي.

فَرَدَّ جميعَ ذلك، ثمَّ أَخذَ من أكياس التُّجَّار التي أُخِذَت في الحال[3] كِيسًا فيه ألفُ دِرهَمٍ، فوهبه لي.

قال: فجزيتُه خيرًا، ورَدَدْتُه عليه.

فقال لي: لم لا تأخُذُهُ؟ فورَّيتُ عن ذلك.

فقال: أحبُّ أن تَصدُقَني.

فقلت: وأنا آمِنٌ؟

قال: وأنتَ آمِنٌ.

فقلتُ: لأنَّك لا تملكه، وهو من أموالِ المسلمين، أخذتَه[4] منهم السّاعةَ ظلمًا، فكيف يَحِلُّ لي أخذُه؟

فقال لي: أما قرأتَ ما ذَكَرَه الجاحِظُ في كتاب «اللُّصوص»، عن بعضهم، أنه قال: إنَّ هؤلاءِ التُّجَّارَ لمَّا أُسقِطَ عنهم استخراجُ زكاة أموالهم[5] ووُكِلَتْ إليهم تأديتُها؛ خانوا أماناتهم، ومنعوا الزكاةَ واتَّجروا، فتركَّبَت الزكواتُ عليهم، فَصارَت أموالهم مُستهلَكةً بها، واللصوصُ فُقَراءُ إليها، فإذا أخذوا منهم أموالهم،

---

(١) في (ن، ف) (وأضفت). واستضفت: طلبتُ إضافةَ.

(٢) **القُماشُ**: المتاع. ينظر: «لسان العرب» (ق م ش: ٦/ ٣٣٨).

(٣) (أخذت في الحال) في صادر: (نهبها).

(٤) (المسلمين أخذته) في (ر): (النّاس أخذت).

(٥) (أموالهم) في (ر): (الناض).

وإنْ كَرِهَ التجَّارُ أَخْذَها؛ كانت لهم مُباحًا[١]؛ لأنَّ عينَ المالِ مستهلكةٌ بالزَّكاةِ، وهؤلاء يستَحقّونَ أخذَ الزَّكاة بالفقر، شاءَ أربابُ الأموالِ أو كرهوا؟

فقلت: بلى، قد ذكر الجاحظُ هذا، ولكن من أين تعلمُ أنَّ هؤلاءِ ممَّن استهلكت الزَّكواتُ أموالَهم؟

فقال: لا عليك، أنا أُحضِرُ هؤلاءِ التُّجَّارَ السَّاعةَ، وأُريكَ ذلك بدليلٍ صحيحٍ أنَّ أموالهم لنا حلالٌ.

ثمَّ قال لأصحابه: هاتوا التُّجَّارَ. فجاؤوا.

فقال لأحدهم: منذُ كم تتَّجِرُ في هذا المال الَّذي قطعنا عليك؟

قال: منذُ كذا وكذا سنةً.

قال: فكيف تُخرِجُ زكاتّه؟

قال: فتَلَجْلَجَ[٢] وتكلَّمَ بكلامِ مَنْ لا يعرف الزَّكاةَ على حَقيقَتها، فضلًا عن إخراجِها.

ثمَّ دعا بآخَرَ، فقال: إذا كانَ معك ثلاثُ مئة درهَمٍ[٣] وعشرةُ دنانير، وحالت عليكِ السَّنةُ، كم كنتَ تُخرِجُ عنها من الزكاة؟ فما أحسنَ أن يُجيب.

---

(١) هذا الفعل لا ينبغي لأنه أخذ أموال الناس بالباطل.

(٢) **التَّلَجْلُجُ**: التَّرَدُّدُ في الكلام. ينظر: «مختار الصحاح» (ل ج ج).

(٣) (درهَم) ليست في (ر).

ثمَّ قال لآخَرَ: إذا كانَ معك متاعٌ[1] للتِّجارة، ولك دينٌ على نفسَين، أحدهما مَلِيءٌ، والآخرُ معسِرٌ، ومعك بضاعةٌ قد حال الحولُ عليها وعلى الدَّين[2]، كيفَ كنتَ تُخرِجُ الزكاة لذلك؟

قال: فما فهم الآخَرُ عنه[3] السُّؤالَ، فضلًا عن أن يتعاطى الجواب.

قال: فصرفهم، **ثمَّ قال لي**: بَانَ لك صدقُ حكايةِ أبي عُثمانَ الجاحظ الآن، وأنَّ هؤلاءِ ما زكَّوا قطُّ على أموالهم، خُذ الآن الكيسَ. [ر/١٣٤]

فأخذتُه، وساق القافِلَة لينصرفَ بها؛ **فقلتُ له**: إن رَأَيتَ أيُّها الأميرُ أن تُنفِذَ معنا مَن يبلِّغُنا المأمنَ. ففَعَلَ ذلك.

---

(١) في (ر): (مال).

(٢) (بضاعة... الدين) في (ر): (دَراهِم، وقد حال الحول على الجميع).

(٣) في (ل): (عين).

[١١: ٣] [القاضي أبو القاسم التنوخيُّ ينجو من قطّاع الطريق]

حدَّثني أبي قال: لما كنتُ مُقيمًا بالكرخ أتقلَّد القضاءَ بها وبأعمالها[(١)]، كانَ بوَّابي رجلٌ من أهل الكرخ، له ابنٌ سِنُّه ستٌّ[(٢)] سنين أو نحوها، وكان الصبيُّ يدخل داري بلا إذنٍ، ويمزحُ مع غلماني، وأهب له في بعض الأوقات الدراهمَ[(٣)] وأرقِّصُه كما يفعل النّاسُ بأولاد غلمانهم.

ثمَّ انصرفتُ عن الكرخ، ورحلتُ، ولم أعرف للرجلِ ولا لابنه خبرًا.

ومَضَت السنون، فأنْفَذَني أبو عبد الله البريديُّ[(٤)] من واسِطٍ برسالةٍ إلى أبي بكر بنِ رائق[(٥)]، فلَقِيتُه بحدود دَيرِ العاقول[(٦)]، وانحدرت أُريد واسطًا، وقد كانَ

---

(١) (وبأعمالها) في (ر): (وبالبرج وأعمالها).

(٢) في (ر): (عشر).

(٣) في (ر) زيادة: (والثياب، وأحمله).

(٤) هو أحمد بن محمد بن يعقوب، أبو عبد الله البريدي، من أهل البصرة، ولي الوزارةَ للراضي بالله، ثمَّ للمتقي لله، ثمَّ اختلفَ عليه الجند وحاربوه، فانحدر مُنهَزِمًا إلى واسط، ثمَّ ولي الوزارة للمتقي مرَّة ثانية، وهو أحد ثلاثة إخوةٍ عاثوا في العراق فسادًا، هو أكبَرُهم، والثاني يعقوب أبو يوسفَ البريدي، والثالث عليٌّ أبو الحسين البريدي. (ت: ٣٣٢هـ). ينظر: «الأوراق» للصولي (٢/ ٢٨٩)، و«تجارب الأمم» (٥/ ٣٠٤)، و«الوافي بالوفيات» (٨/ ٧٥).

(٥) هو محمد بن رائق أبو بكر، قاتَل كورتكين ببغداد، وانتصر عليه، ثم التقى بناصر الدولة، فأمر بقتله، وألقي في دجلة، وذلك سنة (٣٣٠هـ). ينظر: «الكامل في التاريخ» (٧/ ٩٦).

(٦) **دَير العاقول**: بين مدائن كسرى والنّعمانية، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخًا. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٥٢٠).

قيل لي قبل إصعادي: إنَّ بالطَّريق لصًّا يُعرَف بالكرخيِّ، مُشتَهِرَ[1] الأمرِ.

فلمَّا انحدرتُ من دَيرِ العاقول وصرتُ[2] في بعض الطَّريق، خرج علينا اللُّصوصُ في سفنٍ عدَّةٍ، بقِسِيٍّ، ونُشَّابٍ[3]، وسلاحٍ شَاكٍ[4]، وهم نحو مئةِ نَفسٍ، كالعسكر العظيم. [ر/٤٦٩]

وكانَ معي غلمانٌ يرمونَ، فمنعتُهم من الرمي؛ لأنِّي خِفتُ أن يَقصِدَنا اللُّصوصُ، ثمَّ لا يرضَون بعد الظفر إلَّا بالقتل لي[5].

قال: فبادرتُ وأخذتُ سلاحَهم فرمَيتُه جميعَه في الماء، واستسلمتُ للأمرِ؛ طلبًا للسلامة في نفسي، والنّاسُ قد أُدِيروا[6] إلى الشطِّ، وأنا في جُملَتهم، وسُفُننا تُفرَغُ ويُنقَلُ ما فيها إلى الشطِّ[7] وهم يخبطون بالسُّيوفِ، وكنتُ في وسطِ الكَارِ[8]، وما[9] انتهى الأمر إليّ.

فأنا كذلك، وإذا سفينةٌ فيها رئيسُهم قد طرح على زَبْزَبي[10] -كما كان يُطرَح على سفنِ التُّجَّار- ليُشرِفَ على ما يُؤخَذ منها؛ فحين رآني منع أصحابَه

---

(١) في (ر): (مستفحل).

(٢) (من دير العاقول وصرت) في صادر: (إلى واسِط، وَكُنّا).

(٣) **النُّشَّابُ**: جمع النُّشابة، وهي السهم. ينظر: «المصباح المنير» (ن ش ب).

(٤) (شاك) ليست في (ض، ل).

(٥) في (ر): (بقتلي)

(٦) في (ر): (أدبروا).

(٧) (وسفننا تفرغ وينقل ما فيها إلى الشطِّ) ليست في (ض).

(٨) **الكارُ**: نوعٌ من السفن. ينظر: «المحيط في اللغة» (٦/ ٣١٩).

(٩) في (ل): (ولما).

(١٠) **الزَّبزَب**: نوع من السفن. ينظر: «الصحاح» (ز ب ب: ١/ ١٤٢).

من انتهابِ شيء من زَبْزَبي، وصَعِدَ وحدَه إليَّ، فتأمَّلني طويلًا، ثمَّ انكبَّ فقبل يدي، وكانَ متلثِّمًا، فلم أعرِفْه، فارتعتُ، **وقلتُ**: يا هذا ما لك[1]؟

فسَفَرَ عن وجهه، **وقال**: أما تعرفني يا سَيِّدي؟ فتأملتُه، وأنا جَزِعٌ، فلم أعرفهُ. **فقلت**: لا والله، مَن تكون حيَّاك الله؟

قال: أنا عبدك، ابنُ فلانٍ الكَرخيِّ حاجبِك هناك، وأنا ولدُه الذي رُبِّيتُ في دارِكَ، وكنتَ تحملني على عُنُقك، وتُطْعِمُني بيدِك.

قال: فتأمَّلتُه، وإذا الخِلقَةُ خلقَتُه إلَّا أنَّ اللِّحيَةَ غيرته في عَيني، فسكن رَوعِي، **وقلتُ**: يا هذا، كيفَ بلغت إلى هذه الحال؟

فقال: يا سَيِّدي، نشأتُ ولم أتعلَّم غيرَ معالجةِ السِّلاحِ، وجئتُ إلى بغداد أطلب الدِّيوان، فما قَبِلَني أحدٌ، فانضمَّتْ إليَّ هذه الرجالةُ، فقطعتُ[2] الطَّريقَ، فلو كانَ أَنْصَفَنِي السُّلطانُ، ونزَّلَني بِحَيثُ أستحقُّ من الشجاعَةِ؛ انتفعَ بخدمتي، وما كنت[3] فعلتُ بنفسي هذا[4].

ثمَّ قال: يا سَيِّدي، هل بعض هَؤُلاءِ أخذ منك شيئًا؟ **فقلت**: ما ذهب منِّي إلا السلاحُ، رَمَيتُ به أنا إلى الماء، وشرحتُ القصة[5]؛ فَضَحِك، **وقال**: قد -واللهِ-

---

(١) (وكانَ متلثمًا، فلم أعرفه، فارتعت، وقلت: يا هذا ما لك) ليست في (ض، ل).

(٢) (فانضمَّت إليَّ هذه الرجالة فقطعت) في (ر): (فانضافت إليّ هذه الرِّجالة، وَطلبت).

(٣) (انتفع بخدمتي، وما كنت) في (ر): (وانتفع بخدمتي ما).

(٤) في المطبوع زيادة: (قال: فأقبَلت عَلَيهِ أعظه، وأخوفه الله، ثمَّ خشيت أن يشق ذَلِك عليه، فَيفسد رعايته لي، فأقصرت) ليست في النسخ التي لدينا.

(٥) نسخة على هامش (ض)، و(ر، ل): (له الصّورة).

أصابَ القاضي، فمَنْ في الكار مِمَّن تعتني به حتَّى أطلقَه؟ **فقلت**: كلُّهم عندي بمنزِلَةٍ واحِدَةٍ، فلو أفرجتَ عن الجميع كانَ أحسن بك.

فقال: والله، لولا أنَّ أصحابي تفرَّقوا بما أخذوا، لفَعَلت، ولكنهُم لا يطيعوني في ردِّه، ولكن أدعُ ما بقيَ في[1] السُّفُن في الكار التي[2] لم يُؤخَذ منها شيءٌ. فجزيتُه الخيرَ.

فصَعِدَ الشطَّ، وأصعد جَميعَ أصحابه، ومنعَ أن يُؤخَذ شَيء من باقي السفنِ، فما تعرَّضَ لها أحدٌ، وردَّ على قومٍ ضعفاءَ أشياءَ كثيرةً كانت أُخِذَت منهم، وأطلق الناسَ، وسار معي في أصحابه إلى أن صار بيني وبين المأمَنِ شيءٌ يسيرٌ ثمَّ ودَّعني ورجع[3].

---

(١) في (ر): (من).

(٢) في (ر): (الذي).

(٣) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٤/ ٧٥)، و«معجم الأدباء» (٤/ ١٨٨٥).

[١١: ٤] [بعضُ التُّجار البغداديين مع اللِّصِّ ابنِ حمدي]

حدَّثني عبد الله بن عمر الحارِثي، **قال**: حدَّثني بعضُ التُّجَّار البغداديِّين، **قال**: خرجت بمتاعٍ لي[١] من بغدادَ أريد واسطًا، وكانَ البريديُّ بها، والدُّنيا منقلبةٌ به جدًّا[٢]. فقطع عليَّ الطريقَ وعلى الكارِ الَّذي كنتُ فيه لصٌّ كانَ في الطَّريق، يقال له: «ابن حمدي[٣]»، يقطع قريبًا من بغداد، فأفقرني، وكانَ مُعظمُ ما أملكهُ معي، فسَهُلَ عليَّ الموتُ، وطَرَحْتُ نفسي له.

وكنتُ أسمعُ من بغدادَ أن ابنَ حمدي هذا، فيه فتوَّةٌ، وظَرْفٌ، وأنَّه إذا قَطَعَ لم يَعرِضْ لأصحاب البضائع اليَسيرةِ الَّتي تكون دون الألف، وإذا أخذَ ممَّن حالُه ضيقةٌ شيئًا قاسَمَه عليه، فترك شطرَ ماله في يده، وأنَّه لا يفتِّشُ امرَأةً، ولا يسلُبُها، وحكاياتٌ كثيرة.

قال: فأطمَعَنِي ذلك في أن يَرِقَّ لي، فَصَعدتُ التلَّ[٤] الذي هو فيه جالسٌ، فخاطبتُه في أمري، وبكيتُ، ورقَّقتُه، ووعَظْتُه، وحلفتُ له أنَّ جَميع ما أملكهُ قد أخذتَه، وأنِّي أحتاج أن أتصدَّقَ[٥] بعده.

---

(١) (بمتاع لي) في (ر): (بسراح لي ومتاع).

(٢) (منقلبة به جدًّا) في (ر): (مُفْتَتِنَةٌ).

(٣) ظهر في صفر سنة (٣٣٢هـ)، وكان لصًّا فاتكًا، أعيا السلطان؛ فخلع عليه ابن شيرزاد، وقُتِلَ في نفس السنةِ، قتله صاحب شُرطة بغداد. ينظر: «تجارب الأمم» (٦/ ٨٤)، و«مرآة الزمان» (١٧/ ٢١٦).

(٤) في (ر): (الموضع).

(٥) قال الخليلُ: المعطي مُتَصَدِّقٌ، والسائلُ مُتَصَدِّقٌ، وهما سواء. ونقل ابنُ السيِّد في «شرح =

فقال لي: يا هذا، السُّلطانُ قد أحوجنا إلى هذا، فإنَّهُ أسقط أرزاقَنا، فاحتجنا إلى هذا[1] الفِعلِ، ولسنا فيما نفعلُه نرتكبُ أكثرَ[2] ممّا يرتكبه السلطان.

أنتَ تعلمُ أنَّ ابنَ شيرزادَ[3] ببغدادَ يُصادر النّاسَ ويُفقِرُهم، حتَّى يأخذَ الموسِرَ المُكثِرَ، فلا يخرج من حبسه، وهو يهتدي إلّا إلى[4] الصَّدَقَة، وكذلك يفعل البريديُّ بواسطٍ والبَصرة، والدَّيلمُ[5] بالأهواز؛ فقد علمتُ أنَّهم يَأْخُذونَ أصولَ الضِّياع، والدورِ، والعَقارِ، وربما تجاوزوا إلى الحُرَم والأولاد، فاحْسِبْ أنَّ[6] نحن مثل هؤلاءِ، وأنَّ واحِدًا مِنهُم صادركَ.

فقلت: أعزّكَ الله، ظلمُ الظَّلَمَةِ لا يكون حجَّةً، والقبيحُ لا يكون سُنَّةً، وإذا وقفتُ أنا وأنتَ بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، ترضى أن يكون هذا جوابك؟

= أدب الكاتب» عن أبي زيدٍ الأنصاري، وابن جني، وابن الأنباري: أنَّه يقال: «تصدَّق»؛ إذا سأَلَ الصدقةَ. قال: والاشتقاقُ أيضًا يُوجِبُ أن يكون جائزًا، لأنَّ العربَ تستعمل «تفعَّلتُ» في الشيء الذي يؤخذ جزءًا بعد جزء؛ فيقولون: تحسَّيتُ المرَقَ، وتجرَّعتُ الماء. فيكون معنى تصدَّقتُ: التمستُ الصدقةَ شيئًا بعد شيء. وخطَّأَ الأصمعيُّ وابنُ قتيبةَ ومعظمُ اللغويين ذلك، وجعله ابنُ درستويه في «تصحيح الفصيح» من قول العامَّةُ. ينظر: «تصحيح الفصيح» (ص: ٥٠٩)، و«الاقتضاب في شرح أدب الكتاب» (٢/ ١٥)، و«تاج العروس» (ص د ق: ٢٦/ ١٥).

(١) (فَإِنَّهُ أسقط أرزاقنا، فاحتجنا إلى هَذا) ليست في (ر).

(٢) (نرتكب أكثر) في (ر): (نرى أنه أعظم).

(٣) هو أبو جعفرٍ محمَّدُ بن يحيى بن زكريَّا بن شيرزاد، سبقت ترجمته (٣/ ١٦٦).

(٤) (إلَّا إلى) في (ف): (لشيء سوى)، وفي (ر): (إلى شيء غير).

(٥) **الدَّيلَمُ**: جِيلٌ سُمُّوا باسم أرضهم في قولِ بعض أهل الأثر، وزعم بعض الناس أنَّ الديلمَ طائفة من بني ضبَّة. وقد سبق الكلام عنهم (٤/ ١٣٤).

(٦) في (ر): (أنَّا).

قال: فأطرقَ مَلِيًّا، فلم أشكَّ في أنَّه يقتلني، ثمَّ رفع رأسه، **فقال**: كم أُخِذَ منك؟ فصدقتُه.

فقال: أحضروه. فأحضروه، فكانَ كما ذكرتُ، فأعطاني نصفَه، وأَخَذَ نصفه.

فقلت له: الآن قد وجب عليك حقِّي، وصارَ لي بإحسانِكَ إليَّ حُرمَةٌ.

فقال: أجل.

فقلت: الطَّريقُ فاسدٌ، وما هو إلَّا أن أتجاوزَك حتى يؤخذ هذا أيضًا، فأنْفِذْ معي من يُؤَدِّيني إلى المأمن.

قال: فَفعل ذلك، وسَلِمتُ بما أَفْلَتَ معي، وجعل الله فيه البركة، وأخلف.

[١١: ٥] [احتالَ على قطَّاعِ الطَّريقِ بخاتم عقيقٍ]

حدَّثني الحسن بن صافي، مولى ابنِ المتوكِّل القاضي، وكانَ أبوهُ يُعرَف بِغُلام ابن مقلة[١]، **قال:** لما حُمِلَ المتقي لله[٢] إلى الرقَّة، ومعهُ أبو الحسين عليُّ بن محمَّدِ بنِ عليٍّ ابن مقلة، وزيره[٣]، كاتبني بأن أخرجَ إليه، فخرجت، ومعي جماعَة من أسبابه[٤] وأسباب الخَليفَة إلى هِيتَ.

وضم إلينا ابنُ قان[٥] خفراءَ، يؤدُّونا إلى الرقَّة، فرحلنا من هِيتَ ومعنا الخفراءُ والغلمان، ومَن انحدر معنا من هِيت، فصرنا نحوًا من مئتي مقاتلٍ.

فلمّا كانَ في اليوم الثالث أو الرابع من مسيرنا ونحن في البرِّ الأقفرِ، وقد نزلنا نستريحُ؛ إذا سوادٌ عَظيمٌ من بعيد، لا نعلم ما هو، فلم نَزَلْ نَرقُبُه إلى أن بانَ لنا، فإذا هو نحوُ مئةِ مَطيَّةٍ، على كلِّ مَطيَّةٍ رجلانِ.

فجَمَعنا أصحابَنا ورَجَّالَتَنا[٦] وجِمالَنا، وقرَّب القَومُ منَّا، وأناخوا جمالهم وعَقَلُوها، وأخذوا حَجَفَهُم[٧]، وسلُّوا سيوفَهم، **وتقدَّمَهم رئيسٌ لهم، فقال لنا:**

(١) قوله: (مولى... ابن مقلة) ليست في (ض، ل).

(٢) سبقت ترجمته (٢/ ٢٢٣).

(٣) قوله: (لما حمل المتقي لله إلى الرقة،... وزيره) في (ر): (حدثني دري الخصي مولى أبي علي بن مقلة ووزيره)، وسبقت ترجمته (٣/ ١٤٥، ١٩٩).

(٤) في (ر): (أسبابي).

(٥) في (ش، ج): (فتان)، وفي (ح، ن): (قنان)، في المطبوع: (فتيان)، ولم نجد ترجمته.

(٦) (ورجالتنا) ليست في (ض). **والرَّجَّالة:** جمع راجلٍ، وهو خلافُ الفارس. ينظر: «المصباح المنير» (١/ ٢٢٠).

(٧) **الحَجَفُ:** جمع (حَجَفَة)، وهي نوعٌ من التُّروسِ يُصنَع من جلود الإبل. ينظر: «لسان العرب» =

يا معاشر المسافرين، لا يَسُلَّنَّ أحدٌ مِنكُم سَيفًا، ولا يَرمِيَنَّ سَهمًا، فَمن فعل ذلك فَهو مقتول.

ففَشِلَ[1] مَن كانَ معنا، وقاتل قومٌ قتالًا ضعيفًا، وخالطَنا الأعرابُ، وجرحوا جماعةً منَّا، وأخذوا جميعَ ما كان معنا، واقتسموه، وتركونا مطروحين في الشَّمس. ونظرت فإذا بي قد عَرِيتُ، وَبَقي عليَّ خَلَقٌ[2] لا أتوارى منهُ[3]، وليسَ معي ماءٌ أشربه، ولا ظهرٌ أركبه، وليسَ بيني وبين الموت إلا ساعاتٌ يسيرةٌ، فقامت قيامتي[4]، واشتَدَّ جَزَعي، ولم يكن لي حيلَةٌ، فأَيِسْتُ من الحياة. [ر/١٣٥]

فبينا أنا كَذَلِك، إذ وجدتُ شُسْتَجَةً[5] كان لي فيها خاتمُ عقيقٍ، كبيرُ الفَصِّ، كثيرُ الماءِ، فوقع لي في الحال وجهُ الحيلةِ[6]، فأخذتُه، وجَعَلته في قطنٍ، وخبَّأتُه معي، وقصدتُ رئيسَ القَومِ، وكان هو الَّذي تولَّى أخذَ مالي، وقد عرف موضعي وقدري؛ **فقلت له**: قد رَأَيتَ عظيم ما أخذتَه منِّي، وأنا خادِمُ الخليفة أطالَ الله بقاءَه، وقد خرجتُ لأمرٍ كبيرٍ من خدمتِه، وقد فُزتَ بما أخذتَه منِّي، فما قَولك في

= (ح ج ف: ٩/ ٣٩).

(١) أي: جَبُنَ. ينظر: «مختار الصحاح» (ف ش ل).

(٢) **الخَلَقُ**: البالي. ينظر: «مختار الصحاح» (خ ل ق).

(٣) في (ش): (لا يصدُّ عني شيئًا).

(٤) في (ر): (عليّ القيامة).

(٥) في (ض): (سبحة).
الشُّسْتَجَة، ويقال: الشُّسْتَكة، والشُّسْتَقة: فارسية، وتسمَّى بالعربية **الغفارة**، وهي خرقةُ حَريرٍ تُشَدُّ على العمائم. أو **السَّكْبَة**، وهيَ الخِرْقَةُ التي تُقَوَّر للرأسِ. ينظر: «تهذيب اللغة» (١٠/ ٤٩)، و«التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» (ص: ١٤٣)، و«معجم الأدباء» (٥/ ٢٣٦٠).

(٦) (وجهُ الحيلة) ليست في (ض، ل).

أمرٍ آخرَ أعظمَ ممَّا أخذتَه، أُعطِيكَ إيَّاه وأُسدِي إلَيك به حلالًا من الأموال التي لا تُحصَى كثرةً، ولا[1] يجري مجرى الغصوب؛ على أن تُؤَمِّنَني على نفسي، وتردَّ عليَّ من ثيابي ما تسترني به، وتردَّ عليَّ من دوابي دابَّة، وتسقيني ماءً، وتَسِيرَ بي حتَّى تبلِّغَني مأمني؟

فقال لي: ما هو؟

قلت: تُعطيني أمانك، وعَهْدَكَ، وذِمامَكَ على الوَفاء؟ فَفَعَل. [ض/١٨٩]

فانفردتُ به، وجعلت الخاتمَ الذي في يَدي مُقابلَ الشمس[2]، فكاد أن يُخطَفَ بَصَرُه، ورأى ما لم يَرَ مثلَه قطُّ فهالَهُ، **وقال**: اسْتُرْه، وقُلْ لي خَبَرَه.

فقلت: هذا خاتم الخلافة، هذا[3] ياقوتٌ أحمَرُ، هذا الَّذي يتداوله الخُلَفاء منذُ العهد الطَّويل، يُعرَفُ بالجَبَلِ، وقد كانَ مخبوءًا ببغداد، وأمرني الخليفة أن أحملَه إليه في جملة ما حَمَلْتُه، وحيثُ حُصِّلَ هذا الخاتمُ من بلاد الله تعالى، تسبَّبَ الخُلَفاءُ إلى أخذه بكلِّ ثَمَنٍ، وإن حصلَ عندك حتَّى تمتنعَ من إعطائه إلَّا بمئة ألف دينارٍ -ولم يقدروا عليك- لأعطَوكَ إيَّاها وأضعافَها.

والرأيُ أن تأخُذَهُ، وتُبعِدَ به إلى ناحية الشّام، وتوافِقَني على موضعِ الحِلَّةِ التي تكون فيها[4]، وتخفي حصولَ الخاتم معك، فإذا وصلتُ حضرةَ الخليفةِ،

---

(١) (أعطيك إياه... كثرة ولا) في (ر): (أعاملك بِهِ، فأسديه إليك حلالًا لا).

(٢) (الخاتم... الشمس) في (ر): (يدي مقابلة الشمس، وأريته الخاتم في يدي، وأقمت فَصَّه في شعاع الشمس).

(٣) في (ش): (وهذا الفص منه).

(٤) (الحلة التي تكون فيها) في (ر): (حِلَّتِكَ). **والحِلَّة**: القوم النازلون، وتطلق على البيوت مجازًا؛ تسمية للمحلِّ باسم الحالِّ. ينظر: «المصباح المنير» (ح ل ل).

وعرَّفتُه خبرَه؛ جاءتك رسلُه بالرغائبِ، حتَّى يرتجع الخاتمَ منكَ بأيِّ شيءٍ طلبتَ، وبأيِّ ثَمَنٍ قُلتَ.

فقال: إذًا فخُذْ من ثيابك ما تُريدُ.

فأخذتُ من ثيابي ما احتجت إليه، وأخذ الخاتمَ فخبَّأه في جَيبِه، وأركبني راحِلَة موطَّأةً، وأعطاني إداوتين كبيرتين ماءً، وسار معي، والناس يَهلِكون عطشًا.

ولم يَزَلْ يسير بي حتَّى بلغنا إلى حِصنٍ في البَريَّة، يُعرَف بالزيتونة، من بناء هشام بن عبد الملك، وفيه رجلٌ من بني أُميَّةَ يُكنَى بأبي مروان، معه في الحصن نحو مئتَي رجلٍ؛ فلمَّا حصلنا عنده انصَرف الأعرابيُّ، وعرَّفت أبا مَروانَ خبري في القطع ومَن أنا، فأعظمَ أمري، وأكرمني وأضافني، وأنفذ معي من أصحابِه مَن بَلَّغني الرقَّةَ سالمًا.

[١١: ٦] [سَرَقَ مالَه بالبصرةِ فاستعادَه من السَّارقِ بواسطٍ]

حدثني مُحَمَّدُ بنُ عمرَ بنِ شُجاعٍ المتكَلِّمُ، ويلقَّبُ بجُنَيدٍ، **قال**: حدثني رجلٌ من الدَّهَاقِين[١] في دار الزبير بِالبَصرَةِ، **قال**: أَوْرَدَ عليَّ رجلٌ غريبٌ سَفْتَجَةً بأجلٍ[٢]، ولم يَزَلْ يتَرَدَّدُ إلى أن حلَّت السفتجةُ؛ **ثمَّ قال لي**: دَعْها عندك لآخذها مُتَفَرِّقَةً. فكان يجيء في كلِّ يومٍ فيأخذ بقدر نَفَقَتِهِ إلى أن نَفِدَت، وصارت بيننا معرفَةٌ وأُنسٌ، وأَلِفَ الجلوسَ عندي.

وكان يراني أُخرِج كيسي من صندوقي وأُعطيه منه؛ **فقال لي يومًا**: إنَّ قُفلَ الرجلِ صاحبُه في سَفَرِهِ، وأمينُه في حَضَره، وخليفتُه على حفظ مالِه، والَّذي يَنْفي الظِّنَّةَ عن أهله وعياله، فإن لم يكن وثيقًا تطرَّقت الحِيَلُ عليه؛ وأرى قُفلَكَ هذا وَثِيقًا، فَقُلْ لي ممَّن ابتعته، لأبتاعَ مثلَه لنفسي.

---

(١) في (ف، ش): (الدقَّاقين)، ولعله تصحيف. **فالدِّهقان**: يُطلَقُ على رئيسِ القريةِ، وعلى التَّاجرِ، وعلى مَن له مالٌ وعقارٌ. **أما الدقَّاق**: فهو بائع الدقيق، وهو من لحن العامة، والصواب: دقيقي. ينظر: «المدخل إلى تقويم اللسان» (ص: ٤٦١)، و«لسان العرب» (دقق: ١٠/ ١٠١)، و«المصباح المنير» (دهقن).

(٢) **السَّفتَجة**: قيل بضم السين وقيل بفتحها، وأمَّا التاء فمفتوحة، وهي كلمة معربة عن «سفته» بالفارسية، وهي أن يُقرِضَ إنسانًا ليوفيه المستقرِضُ في بلدٍ يُرِيدُه المُقرِضُ؛ ليستفيدَ به أَمْنَ الطَّريقِ. ينظر: «المصباح المنير» (س ف ت ج)، و«كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» (١/ ٩٥٦).

فقلت: من فلانٍ الأقفالي، في جَوْبات الصفَّارين(١).

قال: فما شعرتُ يومًا، وقد أتيت إلى دكَّاني، فطلبتُ صندوقي لأخرجَ منهُ شيئًا من الدَّراهِم فحُمِلَ إليَّ، ففتحته، فإذا ليس فيه شيءٌ من الدراهم؛ **فقلتُ لغلامي** -وكانَ غيرَ مُتَّهمٍ عندي-: هل أنكرتَ من الدرابات شيئًا(٢)؟ **قال**: لا.

قلت: ففتِّشْ، هل ترى في الدّكان نقبًا(٣)؟ **قال**: لا أرى شيئًا.

فقلت: فمِنَ السّقف حيلةٌ؟ **قال**: لا.

قلت: فاعلَم أنَّ دراهمي قد ذهبت.

فقلق الغُلامُ، فسكَّنتُه، وأقمتُ يومي لا أدري أيَّ شيءٍ أعملُ، وتأخَّرَ عنِّي الرجلُ، فلمَّا تأخَّر عنِّي اتَّهمتُه، وذكرتُ مسألتَه عن القُفل.

فقلت للغلام: أخبرني كيفَ تفتح دكَّاني وتُغلِقُه؟

---

(١) (جوبات) في (ر): (موضع كذا من).

الجَوْبات: جمع **جَوْبة**؛ وهي فَجْوةُ ما بينَ البُيُوتِ، أو: فضاءٌ أَمْلَسُ سَهْلٌ بينَ أرضَينِ. ينظر: «لسان العرب» (ج و ب: ١/ ٢٨٦).

والصفَّارين: جمع صَفَّارٍ؛ وهو بائعُ -أو صانع- الأواني الصُّفرِيَّة؛ المتخذة من الصُّفر؛ وهو النحاس الجيد، وقيل: هو ضرب من النحاس يتخذ منه الأواني. ينظر: «الأنساب» للسمعاني (٨/ ٣١٥)، و«لسان العرب» (ص ف ر: ٤/ ٤٦١).

(٢) **الدرَّاباتُ**: شِبَاكٌ مِنْ خُيُوطٍ تُجعَلُ على الدَّكاكينِ. ينظر: «النظم المستعذب» (٢/ ٣٢٦).

(٣) (هَل ترى في الدّكان نقبًا) ليست في (ض).

قال: رسمي أن أُدَرِّبَ الدكانَ درَّابتَين درَّابتَين، والدرَّابات في المسجد، فأحملها في دفعاتٍ، درابتين أو ثلاثة[1]، فأُشْرِجُها[2]، ثمَّ أقفل، وهكذا أفتحُها.

فقلت: البارحةَ، واليومَ، هكذا عملتَ؟ **قال:** نعم.

فقلت: فإذا مضيتَ لِتَرُدَّ الدرَّابات أو تحضرها على مَن تَدَعُ الدُّكَّان؟ **قال:** خاليًا.

قلت: من هاهنا ذَهَبَتِ الدراهمُ[3].

فمضيت إلى الصّانِع الَّذي ابتعتُ منه القُفلَ، **فقلت:** جاءَك إنسانٌ منذُ أيّام اشترى منك مثل هذا القفل؟

قال: نعم، رجلٌ من صفته كَيتَ وكَيتَ. فأعطاني صفةَ صاحبي، **فعلمت أنَّه** احتالَ على الغُلام وقتَ المساء لمَّا انصرفتُ أنا، ومضى الغُلامُ يحمل الدرَّاباتِ، فدخل هو إلى الدُّكَّان فاختبَأَ فيه، ومعهُ مفتاحُ القُفل الذي اشتَراهُ، الَّذي يقع[4] على قُفلي، **وأنَّه** أخذ الدَّراهم، وجلسَ طول الليل خلف الدرَّابات، فلمّا جاءَ الغُلام ففتح درابتين، وحملهما ليرفعهما إلى المسجد؛ خرج هو، **وأنَّه** ما فعل ذلك إلَّا وقد خرج إلى بغداد.

---

(١) (درابتين أو ثَلاثة) في (ر): (اثنين اثنين). وفي (ل) زيادة: (في كل دفعة).

(٢) أي: داخَلْتُ بين أشرَاجِها، وهي العُرَى. ينظر: «المصباح المنير» (ش ر ج).

(٣) (ذهبت الدراهم) في (ر): (دُهِيت).

(٤) (الَّذي يقع) ليست في (ر).

فسلَّمتُ الدكانَ إلى الغُلام، وقلتُ له: مَن سَأل عنِّي فعرِّفهُ أنِّي خرجت إلى ضيعتي.

قال: فخرجتُ ومعي قُفلي ومفتاحُه، **فقلت**: أبتدئُ بِطَلَب الرجلِ بواسطٍ؛ فلمَّا صعدت من السميريَّة[1] طلبتُ خانًا في الكُتْبِيِّين بواسطٍ أَنْزِلُه[2]، فأُرشِدْتُ إليه، فصعدتُ فإذا بقُفلٍ مثل قُفلي سواء على باب[3].

فقلت لقيِّم الخان: هذا البيتُ مَن فيه[4]؟ **قال**: رجلٌ قدم من البصرة أمسِ.

فقلت: أيُّ شيء صفتُه؟ فوَصَفَه لي على صفة صاحبي، فلم أشكَّ أنَّه هو، وأنَّ الدَّراهِمَ في البيت؛ فاكتريتُ بيتًا إلى جانبه، ورصدت البَيتَ، حتَّى انصَرفَ قيِّمُ الخان، فقمتُ ففتحتُ القُفل بمفتاحي، فحين دخلتُ البيتَ وجدتُ كيسي بِعَينِه على فراشِه، فأخذتُه وخرجتُ في الحال، وأقفلتُ البابَ، ونزلت في الوقت إلى السَّفينة الَّتي جئتُ فيها، وأرغبتُ الملَّاحَ، وانحدرت إلى البصرَة.

وما أقمت بواسطٍ إلَّا ساعةً[5] من النهار، ورجعت إلى منزلي بمالي بعَينِه[6].

---

(١) **السميريَّة**: نوع من السفن، منسوبةٌ إلى رجلٍ يقال له: سمير؛ كان يعمل بالبصرة، وهو أول مَن عملها فنُسِبَتْ إليه، ويقال: سمارية. وهو خطأ. ينظر: «التكملة والذيل على درة الغواص» للجواليقي (ص: ٨٧١).

(٢) (أنزله) ليست في (ض، ل).

(٣) في (ر): (بيت).

(٤) في (ر): (من ينزله).

(٥) في (ر): (ساعتين).

(٦) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٨/ ٢٢٢)، و«الأذكياء» لابن الجوزي (ص: ١٨٥).

[١١: ٧] [الأسدُ يُنقِذُه من قاطِع طريقٍ يُرِيدُ قتلَه]

حدَّثني عبدُ الله(١) بنُ محمَّدٍ الصَّرَوِيُّ(٢)، **قال:** حدَّثني أكَّارٌ كان بنهر سَابُسَ(٣)، **قال:** خرجتُ من نهر سابُسَ إلى مَوضِعٍ في طرف البَرِيَّة، يُقال له: كوخ زادوه(٤)، أُريد أَعمال سقي الفُرات.

فبلغني أنَّ في طريقي رجلًا يقطع الطَّريق وحده، وحُذِّرتُ منهُ، فلمَّا خرجت من القريَة، رأيت رجلًا تدلُّ فِراستُه على شدَّتِه ونَجْدَتِه، وفي يده زَقَّاية(٥) فجسَّرني على الطَّريق، فترافقنا فانتهينا إلى سِقايَةٍ(٦) في البَرِيَّة، فخرج علينا اللصُّ

---

(١) في (ر): (عبيد الله).

(٢) وهو الشاعر أبو القاسم العَبْقَسي الصَّرَوِيُّ، سبقت ترجمته (٣/ ٤٦).

(٣) في (ر) زيادة: (يقال له شاوخ)، وفي (ف، ن): (سارح).
نهر سابُس: نهر قريب من واسط؛ عليه قرى. ينظر: «معجم البلدان» (٣/ ١٦٧)، و(٥/ ٣٢٠).
يقال: أَكَرْت النَّهرَ أَكرًا؛ أي: شَقَقْته. وأَكَرْت الأرضَ: حَرَثْتها. واسمُ الفاعلِ أَكَّارٌ. ينظر: «المصباح المنير» (أ ك ر).

(٤) في (ض): (كرخ زاده)، وفي: (ر، ح، س): (ذوخ زاد قرية)، وفي (ش، ن، ف): (كوخ راذويه). **وكوخ زادوه**: مكان قيل إن سيدنا علي بن أبي طالب دفن فيه ثم حمل إلى البقيع، وهو بقرب واسط، وبنى به شباشي الحاجب المشهدَ. ينظر: «تحفة الألباب ونخبة الإعجاب» (ص: ١٦٤)، و«المنتظم» (١٥/ ١٢٧) وفيه: (كوخ ودربه)، و«مرآة الزمان» (٦/ ٤٦٧).

(٥) **الزقاية**: عصا كانت تستخدم كالسلاح. ينظر: «تاريخ الطبري» (٩/ ٤١٧)، و«تكملة المعاجم العربية» (زقو: ٥/ ٣٤١).

(٦) **السِّقاية**: الموضعُ يُتَّخَذُ لسَقيِ النَّاس. ينظر: «المصباح المنير» (س ق ي).

منها مُتَحَزِّمًا، متسلِّحًا، فصاح بنا، فطرح رفيقي كارَةً[1] كانت على ظَهرِه، وأخذ زقايته، وبادَرَ[2] اللصَّ، فَلَمّا داخله اللصُّ ليضربَه، ضرب بعصاه يَدَ اللصِّ، فعطَّل الضَّربةَ، وضرب الرجلُ اللصَّ بالعصا ثانيةً فاستقبل اللصُّ العصا بسيفه فقطعها، ثمَّ ضرب بِسَيفِهِ رجلَي الرجل فأقعده، ثمَّ وشَّحَه بالسَّيفِ حتَّى قَتَلَه، وحمل عليّ ليقتلني؛ فقلت له: ما حاربتُكَ، ولا أَمْتَنِعُ عليك من أخذ ثيابي، فلأيِّ شيءٍ تقتلني؟

قال: اسْتَكْتِفْ. فاسْتَكْتَفْتُ، فكَتَفَني بِتِكَّتي[3]، ثمَّ حمل الثِّيابَ وانصَرف. فَبَقِيتُ متحيِّرًا، مُشفِيًا على التَّلف بالعطش والشَّمس والوحش.

وما زلتُ أتمطَّى في التِّكَّة حتَّى قطعتُها، وقمتُ أمشي إلى أن جنَّنِي اللَّيلُ؛ فَرَأَيت في البريَّةِ على بُعدٍ ضوءَ نارٍ خفيًّا، فقدَّرتُه في قَريَةٍ، فقصدته، ومشيتُ إلى نصفِ الليلِ، فوجدتُه يخرج من قُبَّةٍ في الصَّحراء، فقَرُبْتُ منها، واطَّلعتُ، وإذا اللصُّ فيها جالسٌ، ومعهُ امرَأَةٌ. [ض/ ١٩٠]

فلمَّا أبصرني[4] صاحَ وأخذ السيفَ وخرج إليَّ، فما زلت أُناشِدُه اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وأحلفُ له أنِّي ما علمتُ أنَّه هو، ولا قَصَدْتُه عَمْدًا، وإنَّما رأيتُ النَّارَ فقصدتُها، فلم يَعْبَأْ بقولي.

(١) **الكارَةُ**: ما يُحمَلُ على الظَّهر من الثِّيابِ. ينظر: «مختار الصحاح» (ك و ر).
(٢) في (ر): (وبارز).
(٣) **التِّكَّة**: رِباطُ السَّرَاوِيلِ. وكَتَفَه: شَدَّ يَدَيهِ إلى خَلْفِ كَتِفَيهِ مُوثقًا بحَبلٍ ونحوه. ينظر: «لسان العرب» (ت ك ك: ١/ ٧٦)، و«المصباح المنير» (ك ت ف).
(٤) في (ر): (بَصُرَ بي).

وحلَّفَتْه المرأةُ أن لا يقتلَني عندها، فجَذَبَنِي إلى نهرٍ جافٍّ قريبٍ من القُبَّة، [ر/١٣٦] وطرحني فيه تحتَهُ، وجرَّد سَيفَه ليذبحَني وهو على صَدْري، فَسَمِعَ صوت الأسدِ قريبًا منهُ، فأُرْعِدَتْ يَدُه، وسَكَنَ، وأخذ يُسَكِّنُني، فأنستُ بالسَّبُع استيحاشًا منه، فزدتُ في الصياحِ، فما شعرتُ إلَّا بالأسدِ قد تناولَه عن صدري وهرول في البريَّة.

فقُمت، وأخذتُ السَّيفَ، وجئت إلى القُبَّة، فلم تشكَّ المرأةُ أنِّي هو، **فقالت**: قتلتَه؟ **فقلت لها**: الله قَتَلَه، لا أنا، ونجَّاني منه برحمته. وقَصَصْتُ عليها القِصَّة، وسألتُها عن شَأنها.

فقالت: أنا امرأةٌ من أهل القرية الفلانيَّةِ، أسرني هذا الرجلُ في هذا الموضع بعد قتلِ بَعْلي، وجاء بي إلى هذه القبَّة[1]، وهو يتَرَدَّد إليَّ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فحملتُ الجاريةَ معي فبلغتُ القريةَ فسلَّمتُها إلى أهلها وعدتُ إلى بلدي.

---

(١) (في هذا الموضع بعد قتل بعلي وجاءني إلى هذه القبة) في (ر): (وخبأني في هذا الموضع).

[١١: ٨] [التّاجِرُ البَصريُّ والقارئ الأعمى المحتال]

وحدَّثني أيضًا، قال: حدَّثني ابن الدنانيريِّ التمارُ الواسِطيُّ، قال(١): حدَّثني غُلامٌ لي، **قال:**

كنتُ ناقدًا بالأُبُلَّةِ(٢) لرجلٍ تاجرٍ، فاقتضيتُ له في البصرة نحوَ خمسِ مئةِ دينارٍ عَينًا ووَرِقًا(٣)، ولَفَفْتُها في فُوطَةٍ(٤)، وقصدت المسيرَ إلى الأُبُلَّة.

فنزلت الشطَّ(٥) أطلب ملَّاحًا فلم أجد، إلى أن رأيتُ ملَّاحًا مُجْتازًا في خَيطِيَّةٍ(٦) خَفيفَة فارغة، فسألني أن يحمِلَني، وخفَّفَ(٧) عليّ الأُجرَة، **وقال:** أنا راجع إلى منزلي بالأُبُلَّةِ فارغًا، فانزِل. فنزلتُ، وجعلت الفوطةَ بين يدي.

---

(١) (حَدثني ابن الدنانيري التمار الواسِطي، قال) ليست في (ض، ل).

(٢) **الأُبُلَّة**: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٧٧).
والناقد: القابض؛ من «انتقد الدراهم»؛ أي: قبضها. ينظر: «لسان العرب» (ن ق د: ٣/ ٤٢٥).

(٣) **العين**: الذهب، والدينار. **والـوَرِقُ**: الدراهم، والفضَّة. ينظر: «لسان العرب» (ع ي ن: ١٣/ ٣٠٥)، و«المصباح المنير» (و ر ق).

(٤) **الفُوطة**: مئزرٌ مخطَّطٌ يتَّزِرُ به الجمَّالون والأعرابُ والخدم بالكوفة، وقال ابن دريد: فأمَّا الفُوَطُ التي تُلبَسُ، فليست بعربيَّة، أو هي لغةٌ سِندِيَّة معرَّبةُ «بُوته». ينظر: «لسان العرب» (ف و ط: ٧/ ٣٧٣)، و«تاج العروس» (ف و ط: ١٩/ ٥٤٩).

(٥) (فنزلت الشط) في (ر): (فما زلت).

(٦) **الخَيْطِيَّة**: نوع من السفن يُصنَعُ من خشب الساج، ولا يدخل في تثبيت ألواحها مسمارٌ، ولكنها مخيطةٌ بخيوطِ القِنْبار؛ وهو الحبل من لِيفِ جَوزِ الهند. ينظر: «تاج العروس» (ق ن ب ر: ١٣/ ٤٧٨)، و«السفن الإسلامية على حروف المعجم» (ص: ٤٣).

(٧) (فسألني أن يحملني، وخفف) في (ر): (فَسَأَلته أن يحملني، فسهل).

وسرنا إلى أن تجاوزنا مِسْماران[1]، وإذا برجلٍ ضَريرٍ على الشطِّ، يقرَأ أحسنَ قراءَةٍ تكون، فلمّا رآهُ الملّاح كبَّر، فصاح هو بالملّاح: احمِلْني معك، فقد جنَّني اللَّيلُ، وأخاف على نفسي. فشَتَمَه الملّاح. **فقلتُ له**: احمله معك. فدخل الشطَّ فحمَلَه، فرَجَعَ إلى قراءَتِه، فخَلَبَ عقلي بطيبها[2].

فَلَمّا وصلنا إلى[3] الأُبُلَّة، قطع القِراءَةَ، وَقامَ ليخرجَ في بعض المشارع[4] بالأُبُلَّة، فلم أرَ الفوطةَ، فاضطربتُ، وصِحتُ، واستغثتُ، فاستغاث الملّاح، **وقال**: السّاعَة تنقلب الخَيطِيَّة، وخاطبني خطابَ مَن لم يعلم حالي.

فقلت له: يا هذا، كانَت بين يَديَّ فوطةٌ فيها خمسُ مئةِ دينارٍ.

فلمَّا سمع الملّاح ذلك، بَكَى، **وقال**: لم أدخل الشطَّ ولا لي مَوضِعٌ أخبِّئُ فيه شيئًا فتتَّهِمَني بسرقته، ولي أطفالٌ، وأنا ضَعيفٌ، فاللهَ، اللهَ في أمري، وفعل الضَّريرُ مثلَ ذلك.

وفتَّشتُ الخَيطِيَّةَ فَلم أَرَ فيها شيئًا، فرَحِمتُهما، **وقلت**: هذه محنةٌ لا أدري كيفَ التَّخَلُّص منها. وخرجنا، فَعمِلتُ على الهَرَبِ، وأَخَذَ كلُّ واحِدٍ منَّا طريقًا، وبتُّ في بيتي، ولم أمضِ إلى صاحبي، وأنا بليلةٍ عظيمة.

---

(١) **مسماران**: من ضواحي البصرة، كان فيها دار أبي القاسم البريدي. ينظر: «تجارب الأمم» (٦/ ١٤٣).

(٢) أي: أخذه وسلبه. ينظر: «تاج العروس» (خ ل ب: ٢/ ٣٧٧).

(٣) (وصلنا إلى) في (ض): (قربنا من).

(٤) **المشارع**: جمع مشرعة، وهي المواضعُ التي يُنحَدَر إلى الماءِ منها. ينظر: «لسان العرب» (ش رع: ٨/ ١٧٥).

فَلَمّا أَصبَحتُ عَمِلتُ على الرجوع إلى البصرَةِ لأستخفيَ بها أيّامًا، ثمَّ أخرُجُ إلى بلدٍ شاسع.

فانحدرتُ، وخرجتُ من مَشْرَعَةِ البصرَةِ، وأنا أبكي وأمشي وأتعثَّر، وعندي قَلَقٌ عظيمٌ على فراق أهلي وأطفالي، وذهابِ مَعِيشَتِي ومالي[١]؛ إذ اعترضَني رجلٌ، فقال: يا هذا، ما لكَ؟ فأخبرتُه.

فقال: أنا أردُّ عليك مالكَ.

فقلتُ: يا هذا أنا في شغلٍ عن طَنْزِكَ بي[٢]، فلا تفعل.

قال: ما أقول لك إلّا الحقَّ، امْضِ إلى السجن ببني نُمَيرٍ[٣]، واشترِ معك خبزًا كثيرًا، وشواءً جيِّدًا، وحلوى، واسأل السجَّانَ أن يُوصِلَكَ إلى رجلٍ محبوسٍ هناك، يُقال له: أبو بكرٍ النقَّاش. قل له: أنا زائِرُه، فإنَّك لا تُمْنَعُ، فإن مُنِعْتَ، فَهَب للسجَّان شَيئًا يسيرًا فإنَّهُ يُدخِلُك إليه، فإذا رأيتَه فسلِّم عليه، ولا تُخاطِبْه بشيءٍ حتَّى تجعَلَ بين يديه ما معك، فإذا أكلَ وغَسَلَ يديه، فإنَّهُ يسأَلُك عن حاجتك، فأخبرهُ خبركَ، فإنَّهُ سيدلُّك على من أخذ مالَكَ، ويَرْتَجِعُه لك.

ففعلتُ ذلكَ، ووصلتُ إلى الرجل، فإذا شيخٌ مُثْقَلٌ بالحديد، فسلَّمتُ عليهِ، وطرحت ما معي بين يَدَيهِ، فَدَعا برُفَقاءَ له فأقبَلوا يأكلون، فلمَّا استوفى الأكلَ وغَسَلَ يَدَيهِ، **قال:** من أنتَ، ومَن جاءَ بك، وما حاجتك؟ فشرحتُ له قصَّتي.

---

(١) في (ر): (وجاهي).

(٢) **الطَّنْزُ**: السخرية. ينظر: «لسان العرب» (ط ن ز: ٥/ ٣٦٩).

(٣) (ببني نمير) ليست في (ض، ل).

فقال: امْضِ السَّاعةَ لوقتك، ولا تتأخَّر، إلى بني هلالٍ، فادْخل الدَّربَ الفُلانيَّ حتَّى تَنتَهيَ إلى آخِره، فإنَّك تشاهدُ بابَ دارٍ شَعثَةٍ[1]، فافتحه وادخُلْه بلا استِئذانٍ، فتجدُ دِهلِيزًا طويلًا يُؤَدِّي إلى بابَينِ، فادخُل الأَيمنَ منهما، فسيُدخِلُك إلى دارٍ فيها بَيتٌ فيهِ أوتادٌ وبواري[2]، وعلى كلِّ وَتَدٍ إزارٌ ومئزر، فانزِعْ ثيابَك، وألقِها على الوتد، واتَّزِرْ بالمئزر، واتَّشِحْ بالإزار، واجلِس، فسيجيءُ قومٌ يفعلونَ كما فعلتَ، إلى أن يتكاملوا، ثمَّ يُؤتَونَ بِطَعامٍ فكُلْ معهم، وتعمَّد أن تفعلَ كما يفعلونَ في كلِّ شيءٍ.

فإذا جلسوا فقل لهم: خالي أبو بكر النقاش يقرأ عليكم السلام، ويقول لكم: يا فتيان، رُدُّوا على ابن أُختِي الفوطةَ التي أخذتموها[3] أمسِ من السَّفينَة بنهر الأُبُلَّة. فإنَّهم يردُّونه عليك.

فخرجتُ من عنده، ففعلتُ ما قال، وجَرَت الحالةُ على الصورة التي ذَكَرَها، فرُدَّت عليَّ الفوطةُ بعينها، وما حُلَّ شَدُّها.

فلمَّا حَصَلَتْ لي، **قلت لهم**: يا فتيان، هذا الَّذي فعلتموه هو قضاءٌ لحقِّ خالي، وأنا لي حاجةٌ تخصُّني.

فقالوا: مَقْضِيَّة.

فقلت: عرِّفوني كيفَ أخذتم الفوطةَ. فامتنعوا ساعةً، فأقسمتُ عليهم.

---

(١) (باب دار شعثة) في (ر): (بابًا شعثًا).

(٢) **البواري**: جمع بوري، وهو حصير منسوج من القصب. ينظر: «تاج العروس» (ب و ر: ١٠/ ٢٥٤).

(٣) في (ر): (المئزر الذي أخذتموه).

فقال لي واحِد مِنهُم: أتعرفني؟ فتأمَّلتُه ساعةً(١)، فإذا هو الضَّرير الَّذي كانَ يقرَأ، وإنَّما كانَ مُتَعامِيًا. وأَوْمَأَ إلى آخَرَ، **فقال:** أتعرف هذا؟ فتأمَّلتُه فإذا هو(٢) الملاح.

فقلت: كيفَ فعلتما؟

فقال الملاح: أنا أدور المشارِعَ في أوقات المساء، وقد سبقت بهذا المتعامي فأجلستُه حيثُ رَأَيتَ، فإذا رَأَيتُ مَن معه شيءٌ له قَدْرٌ، ناديته وأَرْخَصْتُ الأُجرَةَ عليه، وحَمَلتُه فإذا بلغتُ(٣) إلى القارئ، وصاح بي، فأَشْتِمُه؛ حتَّى لا يشكَّ الرّاكِب [ض/١٩٢] في بَراءَة الساحة، فإن حَمَلَه الرّاكِبُ فذاك، وإن لم يحمله رقَّقْتُه حتَّى يحمِلَهُ، فإذا حَمَلَه وجلسَ هذا يقرَأ قراءَته الطّيبَة، ذُهِلَ الرجلُ كما ذُهِلتَ(٤)، فإذا بلغنا إلى الموضع الفلانيِّ فإنَّ فيه رجلًا متوقِّعًا لنا، يسبح حتَّى يلاصقَ السَّفينَة، وعلى رأسه قَوْصَرَّةٌ(٥)، فلا يفطن الرّاكِبُ به، فيَسلُب هذا الرجلُ المتعامي الشيءَ بخفَّةِ يَدِه(٦)، فيُلقِيه إلى الرجلِ الَّذي عليهِ القَوصَرَّة، فيأخذُه ويسبحُ إلى الشطّ، فإذا أَرادَ الرّاكِبُ الصعودَ، وافتقدَ ما معه، عَمِلنا كما رَأَيتَ، فلا يتَّهِمُنا، ونتفرَّقُ، فإذا كانَ من الغَد، اجتَمَعنا واقتسمنا ما أخذناه، واليوم كانَ يومَ القِسمَةِ، فلمّا جئتَ برسالة أستاذنا خالِكَ، سلَّمنا إليك الفوطةَ.

---

(١) في (ر): (جيدًا).

(٢) (فقال أتعرف هذا؟ فتأملته فإذا هو) في (ض، ل): (وإذا به).

(٣) (فإذا بلغت) ليست في (ض، ل).

(٤) قوله: (فإن حمله الرّاكِب فَذاك، وَإن لم... ذهلت) ليس في: (ض، ل).

(٥) **القَوْصَرَّة:** وعاءٌ من قصبٍ يُرْفَعُ فيه التمرُ. ينظر: «لسان العرب» (ق ص ر: ٥/ ١٠٤).

(٦) (الشيءَ بخفَّةِ يَدِه) في (ر): (بخفَّةٍ الشيءَ الذي قد عينا عليه).

قال: فأخذتُها، وانصرفتُ[1].

(١) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٧/ ٨٨)، و«الأذكياء» لابن الجوزي (ص: ١٨٧).

[١١: ٩] [تاجرٌ ببغدادَ يستعيدُ رُزَمَه بحيلةٍ وذكاءٍ]

حدَّثني عبد الله[١] بن محمَّدٍ الصَّرَوِيُّ، **قال:** حدَّثني بعضُ إخواننا: أنَّه كانَ ببَغدادَ رجلٌ يَطلُبُ التلصُّصَ في حداثته، ثمَّ تابَ، فصارَ بزَّازًا.

قال: فانصَرف ليلَةً من دكَّانِه، وقد أَغْلَقه، فجاء رجلٌ لصٌّ محتالٌ[٢] قد تزيَّا بزيِّ صاحب الدّكان، في كمِّه شمعةٌ صَغيرةٌ، ومفاتيحُ، فصاح بالحارس، فأعطاهُ الشمعةَ في الظُّلمَة، **وقال:** أَشْعِلها وجئني بها، فإنَّ لي اللَّيلَةَ في دكَّاني شُغلًا.

فمضى الحارسُ فأشعلَها، وركَّب اللصُّ المفاتيحَ المقدودةَ[٣] على الأقفال فَفَتحها، ودخل الدُّكانَ.

وجاء الحارسُ بالشمعة مشعلةً، فأخذها من يده وهو لا يتبيَّنُ وجهَهُ، فجعلها بين يَدَيهِ، وفتح سَفَطَ[٤] الحسابِ، فأخرج ما فيه، وجعل ينظر في الدفاترِ، ويُرِي[٥] أنّه يحسب بيده، والحارسُ يُطالِعُه في تردُّدِه، ولا يشكُّ أنَّه صاحب الدُّكان.

---

(١) في (ر): (عبيد).

(٢) في (ض، ل): (مجتاز).

(٣) (المفاتيح المقدودة) في (ر): (المقادير). في (ل): (المفاتيح المقدرة).

(٤) **السَّفَطُ**: وعاءٌ يعبأ فيه الطِّيبُ وَمَا أَشْبَهَه، وهو كالقُفَّة، والقُفَّةُ ما يُتَّخَذُ من خُوصٍ كهيئة القَرْعة. ينظر: «المصباح المنير» (ق ف ف)، و«تاج العروس» (س ف ط: ١٩/ ٣٥٠).

(٥) في (ر): (ويوري).

إلى أن قاربَ السَّحَرُ، فاستدعى اللصُّ الحارسَ وكلَّمه من بعيد، **وقال**: اطلب لي حمَّالًا.

فجاءه بحمَّالٍ، فَحَمَل عليهِ من متاعِ الدُّكان أربعَ رُزَمٍ مُثْمِنَةٍ[1]، وقَفَلَ الدُّكَّان، وانصَرف ومعهُ الحمالُ، وأعطى للحارس درهَمَينِ.

فلمّا أصبح النّاسُ، جاءَ صاحبُ الدُّكَّان ليفتح دكَّانه، فقامَ إليه الحارسُ يدعو له، ويقول: فَعَلَ الله بكَ وصَنَع كما أعطيتني البارحةَ تلك الدرهمين. [ر/ ١٣٧]

فأنكرَ الرجلُ ما سَمِعَه، ولم يَرُدَّ جوابًا، وفتح دكَّانَه، فوجدَ سيلانَ الشمعة، وحسابَه مطروحًا، وفَقَدَ الرزم الأربع، **فاستدعى الحارس، وقال**: من كان الذي حمل الرزم معي من دكاني؟

فقال: ألستَ استدعيت منِّي حمَّالًا، فجئتك به، فحَمَلَها معك؟

قال: نعم، ولكنِّي كنتُ ناعسًا، وأريد الحمَّال تجيئني به، فمضى الحارس فجاءَ بالحمَّالِ.

فأغلقَ الرجلُ الدّكانَ، وأخذ الحمالَ معه ومشى، **وقال**: إلى أين حملتَ الرزمَ معي البارحة؟

فقال: إلى المشرعة الفُلانيَّة، واستدعيتُ لك فلانًا الملَّاح فركبتَ معه.

---

(١) أي: كثيرة الثمن. ينظر: «جمهرة اللغة» (١/ ٤٣٣)، و«شرح درة الغواص» للشهاب الخفاجي (ص: ٢٤٤).

فقصد الرجلُ المشرعةَ وسألَ عن الملَّاح، فحَضَرَ، فركب معه، **وقال له**: أين رقيتَ اليوم بأخي الذي كان معه الأربع الرزم؟

فقال: إلى المشرعة الفلانيَّة. **فقال**: اطرحني إليها. فطَرَحَه.

فقال: مَن حملها معه؟ **فقال**: فلانٌ الحمالُ.

فدعا به **فقال له**: امشِ بين يدي، فمشى، وأعطاه شيئًا واستدلَّه برفقٍ إلى الموضع الذي حمل إليه الرزمَ.

فجاء به إلى باب غرفةٍ في مَوضِعٍ بعيد من الشطِّ، قريبٍ من الصَّحراء، فوجدَ البابَ مقفلًا؛ فاستوقفَ الحمالَ وفشَّ القُفل[1]، ففتَحَه، ودخل فوجد الرُّزَمَ بحالِها، وإذا في البَيت كساءٌ[2] معلَّقٌ على حَبلٍ، فلفَّ الرُّزَمَ فيهِ، ودعا الحمَّالَ فحملها عليه، وقصد المشرعةَ؛ فحين خرج من الغرفة استقبله اللصُّ، ورآه وما معه، فأبلس، واتبعه إلى الشطِّ.

فجاء إلى المشرعةِ، ودعا الملَّاحَ ليَعبُرَ؛ فطلب الحمَّالُ مَن يحطُّ معه، فجاء اللصُّ فحطَّ الكساءَ معه، كأنَّهُ مُجتازٌ مُتَطَوِّعٌ، فأدخلَ الرُّزَمَ إلى السَّفينةِ، ورمى الكساءَ[3] على كتفه، **وقال**: يا أخي، أَسْتَودِعُك اللهَ، قد ارتجعتَ رُزَمَك، فدَعْ كِسائي.

---

(١) **فشَّ الرجلُ البابَ**: إذا فَتَحَ الغلقَ بآلةٍ غيرِ مفتاحه، حِيلةً ومَكرًا. ينظر: «المصباح المنير» (ف ش ش).

(٢) في (ر، ن): (بَرْنكان)، وفي (ح، غ): (بَرَّكان). قال في «العين» (٥/ ٤٣٢): «**البَرْنكانُ**: كساءٌ أسودُ بلغة أهل العراق». وفي «التكملة» للصغاني (٥/ ١٧٩): «وقال الفرَّاءُ: يقال للكِساء الأسودِ: بَرَّكَانٌ، بتشديدِ الرَّاءِ المفتوحةِ؛ ولا يقال: بَرْنَكَانٌ».

(٣) (ورمى الكساء) في (ر): (وجعل البَرْنكان).

فضحك مِنهُ وقال: انزِلْ معي فلا خوفَ عليك، فنزل معه، فاستتابَهُ ووَهَبَ له شيئًا، وصَرَفَه(١).

(١) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٧/ ٩٢)، و«الأذكياء» لابن الجوزي (ص: ١٩٠).

[١١: ١٠] [الأخوينِ عاد وشدَّاد]

وحدَّثني عبد الله[١] بن محمَّد بن الحسين العَبْقَسِيُّ الشّاعِر[٢]، **قال**: حدَّثني شاعِرٌ كانَ يُعرَفُ بغُلام أبي العرب[٣]، **قال**: حدثني أستاذي أبو العرب[٤]، **قال**:

كنتُ من أهل قَريَةٍ بنواحي الشَّام، أسكنها أنا وأسلافي، وكنَّا نطحَنُ أقواتَنَا في رَحَى ماءٍ على فراسخَ منَّا، تُخْرَج إليها غلاتُ أهل القريةِ وغَيرِها من القرى، ونَكثُر فلا يتَمَكَّن من الطَّحن بها إلَّا الأَقوَى فالأقوى.

فمضيتُ مرَّةً ومعي غلَّةٌ، وحملتُ معي خُبزًا ولَحمًا مطبوخًا يكفيني لأيَّامٍ، وكانَ في زمن الشتاء، لأُقِيمَ على الرَّحى حتَّى يَخِفَّ النّاسُ فأطحنَ فيها على عادتي في ذلك الموضع.

فلمَّا صرتُ عند الرَّحى حطَطْتُ أحمالي[٥]، وجَلَستُ في مَوضِعٍ نَزِهٍ[٦]، وفرشتُ سفرتي لآكل، فاجتازَ بي رجلٌ عظيمُ الخِلقَةِ، فدعوتُه إلى الأكل، فجلسَ فأكلَ كلَّ ما كانَ على السفرة، حتَّى لم يَدَعْ فيها شيئًا، ولا لقمةً واحِدَة.

---

(١) في (ر): (عبيد الله).

(٢) في (ض) (وحكى عبدُ الله بنُ محمَّد).

(٣) كذا في جميع النسخ التي لدينا، وفي المطبوع (الغوث).

(٤) قوله: (كانَ يعرف... أبو العرب) ليس في (ض، ل).

(٥) في (ر): (أعدالي).

(٦) أي: بعيد خالٍ من أي أحدٍ. ينظر: «المحكم» (٤/ ٢٣٦)، و«تفسير غريب ما في الصحيحين» لأبي نصر الحميدي (ص: ١٥١).

فعَجِبْتُ من ذلك عَجَبًا بانَ له، فأمسَكَ، وغَسَلْنا أيدِيَنا.

فقال: على أيِّ شيءٍ مقامُك هاهنا؟

فقلت: لأطحَنَ هذه الغلَّةَ.

قال: لمَ لا تطحَنُها اليوم؟

فأخبرتُه بسَبَبِ تعذُّرِ ذلك عليَّ؛ فثارَ كالجمَلِ، حتَّى شقَّ النَّاسَ وهم يزدحمون على الرَّحى، وهي تَدورُ، فجعل رِجْلَه على الرَّحى فوَقَفَتْ ولم تَدُرْ، فعَجِبَ الناسُ، **وقال:** مَن يتَقَدَّم؟ فجاء رجلٌ يُدِلُّ بشدَّته[1]، فأخذَ بيَدِهِ، ورَمَى به كالكُرَة[2]، وجعله تحتَ رجلِه الأُخرَى، فما قَدَرَ أن يَتحَرَّك.

وقال: قدِّموا غَلَّتي إلى الطَّحن وإلَّا كسرتُ الرَّحى، وكسرتُ عظامَ هذا.

فقالوا لي: هاتِ الغلَّةَ، فجئتُ بها، وطحنتُ، وفَرَغْتُ منها، وجعلتها في الأعدال.

وقال لي: قُم.

قلتُ: إلى أين؟

قال: إلى مَنزِلك.

قلتُ: لا أَسْلُكُ الطَّريقَ وحدي، فهو مَخُوفٌ، ولكن أَصْبِرُ حتَّى يَفْرُغَ أهلُ قريتي، فأرجعَ معهم.

---

(١) أي: يثق بها. ينظر: «مختار الصحاح» (د ل ل).

(٢) في (ض): (كالإبرة).

فقال: قُم وأنا معك، فليس تخافُ بإذن الله تعالى شيئًا.

فقلت: مَن كانَت تِلكَ قوَّتُه يجب أن آنسَ به؛ فقُمت، وحملت الدقيقَ على الحمير، وسِرْنا، وجئتُ إلى قريتي، ولم نلقَ في طريقنا بأسًا.

فلمَّا دخلتُ إلى بيتي، خرج أبي وإخوتي يتعجَّبون من سرعةِ وُرُودِي بالغلَّة، ورأَوا الرجلَ، وسألوني عن القِصَّة فأخبَرتهم.

وسألتُ الرجلَ أن يُقيمَ في ضيافتي ما شاء، ففعل، فذَبَحْنا له بقرةً، وأصلحنا له سِكْبَاجًا[1]، وقدَّمت إليه.

فقال له أبي: يا هذا، ما رَأينا مثلَك قطُّ، فأيُّ شيءٍ أنت؟ ومن أين معاشُك؟

فقال: أنا رجلٌ من النّاحية الفُلانيَّة، وكانَ لي أَخٌ أشدُّ بدنًا وقَلبًا منِّي، واسمه عاد، واسمي شدَّاد، وكُنَّا نُبَذرِقُ[2] القوافِلَ من قريتنا إلى المواضِعِ البعيدة، لا نستعين بأحدٍ، وتخرُجُ علينا الرِّجالُ، فنلقاهم أنا وَأخي فَقَط فنهزِمُهم، فاشتهر أمرُنا، حتَّى كانَ إذا قيل: قافلةُ شدّاد وعاد؛ لم يَعرِضْ لها أحدٌ.

فمكثنا كذلك سنين كثيرة، فخرجنا مرَّة أنا وأخي، نُسَيِّر قافلةً قد خَفَرْناها، فلمّا صِرْنا بالفلاة رأينا سَوادًا مُقْبِلًا نحونا، فاستطرفنا[3] أن يُقدِمَ علينا أحدٌ، ثمَّ بان لنا شخصُ رَجُلٍ أسود، على ناقَةٍ حمراءَ، فخالَطَنا، **وقال:** أهذه قافلةُ شدَّاد وعاد؟ **فقلنا:** نعم.

---

(١) **السِّكباج:** لحمٌ يُطبَخُ بخلٍّ. ينظر: «تاج العروس» (سكبج).

(٢) أي نحرسها. ينظر: «التكملة والذيل» (٥/ ٨)، و«المصباح المنير» (خفر).

(٣) **استَطْرَفَ الشيءَ:** عَدَّه طَرِيفًا. ينظر: «مختار الصحاح» (ط ر ف).

فترجَّل لنا ودعانا إلى البِرَازِ(١)، فانْقَضَضْنا عليه، فضربَ ساقَ أخي بالسَّيفِ ضَربةً أَقْعَدَتْه، وعَدا عليَّ، فقَبَضَ على كَتِفي فما أطقتُ الحَرَكَة؛ فكَتَفَني، ثمَّ كَتَفَ [ض/١٩٣] أخي، وطرحنا على النّاقة كالزَّامِلَة(٢)، ثمَّ رَكِبَها وسارَ بعد ما أخذَ من القافِلَة ما كانَ فيها من عَينٍ، ووَرِقٍ، وحُلِيٍّ، وشَيءٍ من الزَّاد، وأَوْقَرَ راحلتَه بذلك.

وسار بنا على غير مَحَجَّةٍ، في طريقٍ لا نعرفه، بَقيَّةَ يومنا وليلتنا وبعضَ الثاني، حتَّى أتى جبلًا لا نَعرِفُه، فأوغل(٣) فيهِ، وبلغ إلى فُرْجَةٍ منهُ فدخلها(٤)، وانتهى إلى مغاراتٍ، فأناخَ الرّاحِلَةَ، ورمى بنا عنها، وتركنا في الكِتَاف.

وجاء إلى مَغارٍ(٥) على بابه صَخرَةٌ لا يُقِلُّها إلَّا جماعةٌ كبيرة، فنحَّاها عن الباب، واستخرجَ منه جاريةً حسناء، فاستَخْبَرَها عن خبرها، وجلسا يأكلان ممَّا جاءَ به من الزَّاد، ثمَّ شَرِبا، **فقال لها**: قومي. فقامَت، فدخلت المغارَ.

ثمَّ جرَّني، فلم أشُكَّ أنَّه يُريدُ ذَبْحِي، فإذا هو قد طَرَحَني في مغارٍ من تلك المغارات، وحَلَّ كِتافي، وأطبقَ البابَ بصخرةٍ عظيمَةٍ، فأَيِسْتُ من الحياة، وعلمتُ أنَّه قد ادَّخَرَني لغَدٍ.

---

(١) **البِراز**: المبارزة في الحرب. ينظر: «مختار الصحاح» (ب ر ز).

(٢) في (ر): (كالزاملتين). **الزَّامِلَة**: هي في الأصلِ البَعِيرُ الذي يَحمِلُ عليه المسافِرُ متاعهُ وطَعَامَه، قال في «المُغرِب» (ز م ل): «ثمَّ سُمِّيَ بها العِدْلُ الذي فيه زادُ الحاجِّ من كعكٍ وتمرٍ ونحوِه، وهو متعارَفٌ بينهم، أخبرني بذلك جماعةٌ من أهل بغداد وغيرهم».

(٣) (بَقية يومنا وليلتنا وَبَعض الثّاني، حتَّى أَتى جبلا لا نعرفه، فأوغل) ليست في (ض).
(فأوغل) في (ل): (فطلع).

(٤) (فرجة منهُ فدخلها) في (ر): (وجه منه فدخله).

(٥) **الغَارُ، والمَغَارُ، والمَغَارَةُ**: كالكَهْفِ في الجَبَلِ. ينظر: «مختار الصحاح» (غ و ر).

فلمّا كانَ في اللَّيل، لم أُحِسَّ إلَّا بالمرأة تكلِّمُني، **فقلت لها**: ما لك؟

فقالت: إنَّ هذا العَبدَ قد سَكِرَ ونام، وهو يَذْبَحُكَ في غَدٍ كما ذبحَ صاحِبَك، فإن كانت لكَ قوةٌ فاجْهَدْ[1] في دفع الصَّخرَةِ واخْرُجْ فاقْتُلْه، وانْجُ بنفسك وبي.

فقلت: ومن أنت؟

فقالت: أنا امرَأَةٌ من أهل البلد الفلانيِّ، ذاتُ نعمَةٍ، خرجتُ أريد أهلًا لي في البلد الفُلانيِّ، فخَرَجَ هذا -عدوُّ الله- على القافلة التي كنتُ فيها، فاسْتَهْلَكَها، ورآني فأخذني غَصْبًا، فأنا مُنذُ كذا وكذا شهرًا على هذه الحالة، ثم إنَّه إذا غدا[2] حَبَسَني في المغار الذي رأَيتَه، وخلَّف عندي مأكولًا وماءً لأيامٍ يُقَدِّرُها، ولو اتَّفق أن يَحتَبِسَ عنِّي فضلَ يومٍ، مُتُّ جوعًا وعطشًا.

فقلتُ: واللهِ ما أُطِيق قلعَ الصَّخرَة.

قالت: ويلك، جرِّب نفسَك.

فجئتُ إلى الصَّخرَة فاعتمدتُ عليها بقوتي، فتحرَّكَتْ، فنظرتُ فإذا قد وَقَعَ تحتها حَصاةٌ صَغيرَةٌ، وقد صارَت الصَّخرَةُ غيرَ[3] متركِّبَةٍ تركيبًا صحيحًا؛ وذلك لما أرادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ من خَلاصي. [ر/١٣٨]

فقلت لها: أَبشِري، ولم أزل أَجْهَدُ حتَّى زَحْزَحتُ الصَّخرَةَ شيئًا أمكنني الخُروجُ منهُ.

(١) **جَهَدَ الرَّجُلُ في كذا**: جَدَّ فيه وبَالَغَ. ينظر: «مختار الصحاح» (ج هـ د).

(٢) في (ر): (غزا).

(٣) (غير) سقطت من (ض، والمطبوع).

فخَرَجْتُ، وأخذتُ سيفَ الأسودِ، واعتمدت بكِلْتَا يديَّ، فضربتُ ساقَيه، فإذا قد أَبَنْتُ إحداهما وكسرتُ الأُخرَى، فانتبَهَ، فرامَ الوُثوبَ فلم يَقْدِرْ، فضربته على حَبلِ(١) عاتِقه فسقط، وضَرَبْتُه أُخرَى فأَبَنْتُ رأسَه.

وعَمِدتُ إلى المغارات فأخذتُ كلَّ ما وجدتُ فيها من عَينٍ، ووَرِقٍ، وجَوهرٍ، وثيابٍ فاخرة خَفيفةِ الحَمْلِ، والمرأةَ، وأخذتُ زادًا لأيَّامٍ، وركبتُ راحِلَته، وأردفت المرأَةَ.

ولم أَزَلْ أتسكَّعُ(٢) في طُرُقٍ لا أعرفها، حتَّى وقفتُ على المَحَجَّة، فَسَلَكتُها، وأفضيتُ إلى بعضِ القرى، فسلَّمتُ الرّاحِلَةَ إلى المرأةِ، وأعطيتها نَفَقَةً تكفيها إلى بلدها(٣)، وسَيَّرتُها مع خُفَراءَ.

وعُدْتُ إلى بلدي بتلكَ الفَوائِد الجليلة، وعاهدتُ اللهَ تعالى أن لا أتعرَّضَ لخِفَارَةِ قافلةٍ، ولا أُخاطِرَ بنفسي.

فأنا أعيشُ في ضِياعٍ اشتَرَيتُها من ذلك المال، وأقوم عليها، وتَعُمُّني غَلَّتُها في كلِّ سنة، وأنا بخيرٍ كثيرٍ(٤).

---

(١) حَبْلُ العَاتِقِ: وَصْلة ما بينَ العاتِقِ والمَنْكِبِ، والعاتق: مَوْضِعُ الرِّدَاءِ منَ المَنْكِبِ. ينظر: «مختار الصحاح» (ع ت ق)، و«لسان العرب» (ح ب ل: ١١/ ١٣٥).

(٢) في (ف): (أسلك). وتسكَّع: مشى متحيرًا لا يدري أين يذهب. ينظر: «لسان العرب» (س ك ع: ٨/ ١٥٩).

(٣) (تكفيها إلى بلدها) ليست في (ض، ل).

(٤) (وتعمني غَلَّتها في كل سنة وأنا بخير كثير) في (ر): (وأعيش من غلتها إلى الآن).

[١١: ١١] [رجلٌ يتغلَّبُ على سبعين رجلًا من قطّاع الطريق]

حدَّثني سعدُ بنُ محمَّدِ بن عليٍّ الأَزديُّ، الشّاعِرُ، البَصريُّ، المعروف بالوحيد[١]، **قال:** حدَّثني **أبو عليٍّ الكردي**[٢]، رجلٌ رأيتُه بعسكرِ عمرانَ بن شاهين[٣]، قَصَدَه من عِنِدِ حَسْنَوِيه بن الحُسَين الكردي[٤]، فَقَبِلَه، وأجرى عليه رِزْقًا كثيرًا، وكان شُجاعًا[٥]، **قال:**

خرجنا مرَّة بالخيل[٦] في أيّام الموسم، عددنا سبعونَ فارسًا وراجلًا، فاعترَضْنا الحاجَّ[٧] الخراسانيَّة، وكَمَنَّا لهم، وكانَ لنا عينٌ في القافِلَة، فعادَ وعرَّفنا أنَّ في القافِلَة رجلًا من شاشِ فَرْغانَة[٨] معه اثنا عشرَ حِملًا بَزًّا، وجاريةٌ

---

(١) سبقت ترجمته (٤/ ٢١١).

(٢) (أبو عليٍّ الكردي) ليست في (ض).

(٣) سبقت ترجمته (١/ ٢٣٩).

(٤) حسنويه بنُ الحسين الكردي البرزيكاني، كان أميرًا على جيشٍ من البرزيكان يسَمَّون «البرزينية»، منع أصحابه من التلصص، وكان يُخرِجُ أموالًا كثيرة في الصدقات، توفي في قلعته بسَرْماج سنة (٣٦٩هـ). ينظر: «المنتظم» (١٤/ ٢٧٢)، و«الكامل» (٧/ ٣٧١).

(٥) في (ر) زيادة: (نجدا).

(٦) في (ر): (بالجبل)، وفي (ش): (بالجبال).

(٧) في (ر): (الحجاج).

(٨) في (ش، والمطبوع): (وفرغانة) وهو خطأ. ولعلَّه أضافها إلى فرغانة لتمييزها عن الشاش التي هي قرية بالرَّي، والنسبة إليها قليلة، ولكن الشاش التي خرج منها العلماء ونُسِبَ إليها خلقٌ كثير فهي بما وراء النهر، بقرب فرغانة. ينظر: «معجم البلدان» (٣/ ٣٠٨)، و(٥/ ٤٦).

في قُبَّةٍ، عليها حُلِيٌّ ثقيل، فجعلنا أَعيُننا عليهِ، حتَّى وثبنا عليه، وهو مع جاريته في عَمارِيَّة(١).

فقطعنا القِطارَ(٢) وكَتَفْناه، وأَدخَلناهُ وما معه بين الجبال، ووقفنا على ما معه، ففرحنا بِالغَنيمَةِ.

وكانَ له برذونٌ أصفرُ يساوي مِئَتي دِرهَم، فلمّا رآنا نُريدُ القفولَ، **قال**: يا فتيان، هنَّأَكُم الله بما أَخَذتُم، ولكِنّي رجلٌ حاجٌّ، بعيد الدَّار، فلا تتعرَّضُوا لسخط الله تعالى بمَنعي من الحَجِّ، فأمَّا المالُ فيذهب ويجيء، وتعلمون أنَّه لا نجاةَ لي إلَّا على هذا البِرْذَون فاتركوه لي، فلَيسَ يَبِينُ ثَمَنُه في الغَنيمَة الَّتي أخذتموها.

فتشاورنا في قوله، **فقال شيخ لنا مجرِّبٌ**: لا تردُّوه عليهِ، واتركوه مكتوفًا، فإن كانَ له أجلٌ فسَيُقَيِّضُ اللهُ له مَن يَحُلُّ كِتافَه. وكنتُ ممَّن عَزَمَ على هذا.

وقال بعضُنا: ما مقدارُ دابَّةٍ بمئتي درهَم حتَّى نمنَعَها رجلًا حاجًّا. وجعلوا يُرَقِّقُون قُلوبَ الباقينَ، حتَّى سَمَحْنا بذلك، فأطلقناه، ولم نَدَعْ عليه إلَّا ثوبًا يستر عَورَته.

---

(١) **العَمارية**: مَحمَلٌ كبيرٌ مُظَلَّلٌ يُجعَل على البعير من الجانبين كليهما. وهي بتخفيف الميم وتشديدها، قال النووي: والتخفيف أجودُ، وقال: هي مركب صغيرٌ على هيئة مهد الصبيِّ أو قريبة من صورته. ينظر: «النظم المستعذب» لابن بطال الركبي (١/ ١٨٣)، و«المجموع» للنووي (٣/ ٢٣٢).

(٢) **القِطارُ** من الإبل عددٌ على نسقٍ واحد. ينظر: «المصباح المنير» (ق ط ر).

فقال: يا فتيان، أنا عرضٌ لِغَيرِكم هكذا، وقد مَنَنْتُم عليَّ بنفسي وفَرَسي، وربَّما أخشى أن يَأخُذَه غَيرُكم، فأعطوني قَوْسي ونُشَّابي[1]، أَذُبُّ به عن نفسي وعن فرسي.

فقُلنا: إنَّا لا نردُّ سلاحًا أخذناه على أحدٍ.

فقال بعضُنا: وما مقدارُ قَوسٍ قيمَتُها دِرهَمانِ، وما نخشى من مثل هذا!

فأعطيناه قوسَه ونُشَّابه، **وقلنا له**: انصَرِف.

فشَكَرَنا، ودعا لنا، ومَضَى حتَّى غابَ عَن أعيننا؛ فلما كدنا نسيرُ، والجاريةُ معنا تبكي، وتقول: أنا حرَّة، ولا يحِلُّ لكم أن تأخذوني. فنحن في هذا، إذا بالرجلِ قد كرَّ راجعًا، **فقال لنا**: يا فتيان، إنَّكُم قد أحسَنتُم، فلا بُدَّ من مكافأتكم على إحسانكم، بنصيحتي لكم.

فقلنا: وما نصيحَتُك؟

فقال: دَعُوا ما في أيدكم، وانصَرفوا سالِمين بأنفُسِكُم، ومعكم الفضلُ؛ فإنَّكُم مَنَنْتُم على رجلٍ واحِدٍ، وأنا أَمُنُّ على سبعين رجلًا. وإذا قد انقلَبَتْ عَيناهُ وخرجَ الزَّبَدُ من أشداقه كالجَمَلِ الهائج.

فَهَزِئْنا منه وسَخِرْنا به، وضَحِكنا، فأعادَ القولَ، **وقال**: يا قوم، قد مَنَنتُ عَلَيكُم، فلا تجعَلوا لي على أرواحكم سبيلًا.

---

(١) **النُشَّاب**: جمع «نُشابة» وهي السَّهم. ينظر: «تاج العروس» (ن ش ب: ٤/ ٢٦٧).

فَزاد غَيظُنا عليهِ، فقَصَدْناه، وحَمَلْنا عليه، فانحاز عنَّا، ورَمَى بخمس نُشَّابات كانت بيده، فقتل بها خمسةَ أَنفُسٍ منَّا.

وأخذ خمسَ نُشَّاباتٍ أُخَر، **وقال**: إنَّ جماعتكم تموتُ على هذا، إن لم تُخَلُّوا ما في أيديكُم.

فلم نَزَلْ نُدافِعُه، ويقتل منَّا، حتَّى قتل منَّا ثلاثينَ رجلًا، وبقي معه نُشَّابٌ في جَعْبَتِه.

فقلنا: ما ترَونَ -ويحكم- أنَّه لم يخطئ سهمٌ[1] واحدٌ؟ فأَحْجَمَت الجماعةُ عنه، وأَفْرَجْنا له عن الجِمَال والقُبَّة، فصارَ القطارُ في حَيِّزِه.

فتنكَّسَ ونحن نراهُ، ففَتَقَ عِدْلًا بالسيفِ وأخرجَ منهُ نُشَّابًا[2]، وأراناه، فلمَّا رأينا ما صار إليه يَئِسْنا ووَلَّيْنا عنه.

فقال: يا فتيان، سألتكم هذا فلم تُجيبوا إليه، مَن نَزَلَ عن دابَّته فهو آمنٌ، ومَن أحبَّ أن يكون فارسًا، فهو بِشَأْنِهِ أَبْصَر.

فشَدَدْنا عليهِ، فقتل منَّا جماعَة، واضطَرَرْنا[3] إلى أن ترجَّلنا، فحازَ دوابَّنا كلَّها وحدَه، وساقها قليلًا، ثمَّ رَجَعَ، **وقال**: أُطالبكم بحُكمِكُم، مَن رمى سلاحَه فهو آمِن، ومن تمسَّكَ به فهو أبصرُ، فرَمَيْنا بسلاحِنا. **فقال**: امضوا آمنين.

---

(١) في (ر): (بسهمٍ).
(٢) في (ر): (جعبة نشاب).
(٣) في (ر): (واضطرَّنا).

فأخذ جميعَ السِّلاح والدَّواب، وإنَّا لندعوها بأسمائها، فتَنِدُّ عنهُ، فيرميها فيَصْرَعُها، حتَّى قتلَ منها جماعةً، وأَفاتَنا[1] الغَنيمَةَ، والخيلَ، والسِّلاحَ.

فكانَ ذلك سَبَبَ توبتي من قطع الطريق؛ أَنَفَةً لما لحقني منه، وأنا على ذلك إلى هذا اليوم.

(١) في (ر) (وفاتتنا).

فهرس الموضوعات